الغلاف الأمامي

الغلاف الأمامي

من الروايات الأكثر مبيعًا فى العالم
كيرا كاس
الاختيار
خمس وثلاثون فتاة،
وتاج واحد،
منافسة لم يسبق لها من مثيل.
روايــة
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

الاختيار

كيرا كاس

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

حقوق النشر

- لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى.
- إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.
- رجاءً عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

الطبعة الأولى 2025

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2025. All rights reserved.

The Selection
Copyright © Kiera Cass 2012
All Rights Reserved.

للتعرف على فروعنا نرجو زيارة www.jarir.com

إذا كانت لديكم أي ملاحظات حول الترجمة أو الكتاب، أو اقتراحات لترجمة كتب أخرى، فالرجاء مراسلتنا على:

jbpublications@jarirbookstore.com

THE SELECTION

KIERA CASS

JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

إهداء

إلى أبي

الفصل 1

عندما وصلتنا الرسالة بالبريد، كانت أمي في غاية السعادة وكأنما قررت بالفعل أن جميع مشاكلنا قد حُلت وتلاشت إلى الأبد. أما أنا، فكانت تراني أمثل العقبة الكبيرة في خطتها المُحكمة التي نسجتها. لم أكن أَعدُّ نفسي ابنة عاقة أو متمردة، لكن هذا الشيء بالتحديد لم يكن بوسعي قبوله مطلقًا.

لم أُرد يومًا أن أنتمي إلى أي من العائلات الملكية أو أن أكون من الطبقة الأولى، بل حتى لم أُرد المحاولة.

لذا ببساطة اختبأت في غرفتي، إذ إنها تمثل ملجئي الوحيد الذي يمكنني فيه تجنب ضجيج بيتنا المزدحم، وحاولت العثور على حجة لأقنعها بها. ظللت أفكر وكان لديَّ الكثير من الحجج المُقنعة، لكنني لم أظن أنها استمعت ولو لحجة واحدة منها.

لم أستطع تجنبها لفترة أطول، فقد اقترب وقت العشاء، وكانت مهمة الطهي تقع على عاتقي بصفتي الابنة الكبرى في المنزل. وهكذا، نهضت متثاقلة من فوق السرير سائرةً نحوهم... نحو وكر الأفاعي!

نظرت إليَّ أمي بحدة؛ لكن دون أن تنطق بكلمة.

تحركنا دون صوت عبر المطبخ وغرفة الطعام بينما نجهز الدجاج والمكرونة وشرائح التفاح ونعد المائدة لخمسة أشخاص، وكلما رفعت بصري نحوها أثناء القيام بإحدى المهام، كنت أجدها تحدق إليَّ بشدة بنظرات تقصد بها إحراجي وإرغامي على ما تريدني أن أقبله. كانت تحدجني بتلك النظرات بين الحين والآخر، مثل تلك المرة التي لم أقبل فيها تأدية عرض في منزل عائلة بعينها؛ لأنني كنت أعرف أنهم سيعاملوننا بوقاحة دون سبب، أو تلك

المرة التي أرادت مني القيام فيها بتنظيف شامل للمنزل في الوقت الذي لا نتحمل فيه تكاليف تعيين خادمة من الطبقة السادسة لتساعدنا.

أحيانًا كانت محاولاتها تنجح، وأحيانًا أخرى تفشل، لكن من الصعب إقناعي بهذه المسألة خصوصًا.

هي لا تحتمل عنادي، لكنني على كل حال ورثت هذه الصفة منها؛ لذا لا أعلم لماذا يفاجئها ذلك! لم يكن الأمر يتعلق بي فحسب، إذ كانت أمي متوترة في الآونة الأخيرة؛ لأن الصيف يوشك على الانتهاء وسرعان ما سنواجه صقيع الشتاء والقلق الذي يصحبه.

وضعت أمي إبريق الشاي في منتصف الطاولة بغضب، لكن كل ما خطر لي هو تناول كوب من الشاي بالليمون. بالطبع كان عليَّ أن أنتظر؛ ستكون خسارة إذا احتسيت كوب الشاي الآن ثم اضطررت لشرب الماء مع وجبتي.

تحدثت أمي حين فاض بها الكيل وقالت : «هل سيقتلك أن تملئي الاستمارة؟ إن تلك المسابقة فرصة رائعة لكِ ولنا جميعًا».

تنهدتُ بصوت عالٍ وأنا أفكر أنني قد أموت قبل أن أقبل ملء تلك الاستمارة.

لم يكن سرًّا أن المتمردين - في تلك المستعمرات السرية التي تكره بلدتنا إيليا الكبيرة والحديثة - كانوا يشنون هجماتهم على القصر بشكل عنيف ومتكرر. لقد شاهدناهم في كارولينا من قبل حيث تم إحراق أحد منازل القضاة وتسويته بالأرض، وتخريب سيارات بعض أفراد الطبقة الثانية. بل استطاع السجناء الهروب في إحدى المرات، لكن بالنظر إلى أن المتمردين ساعدوا يومها في هروب فتاة مراهقة حامل ورجل من الطبقة السابعة كان أبًا لتسعة أطفال، أعتقد أنهم كانوا على حق، تلك المرة.

بغضِّ النظر عن الخطر المحتمل، فقد شعرت بأن قلبي لن يحتمل نتائج الانضمام إلى مسابقة الاختيار. ولم أستطع إخفاء ابتسامتي عندما فكرت في كل الأسباب التي تحثني

على البقاء كما أنا.

استطردت أمي بغضب: «كانت السنوات الأخيرة عصيبة على والدك، فكِّري به وبحاله إذا كان لديك أي إحساس بالشفقة!».

كنت فعلًا أرغب في مساعدة أبي، وماي، وجيراد، وأظن أنني حتى أردت مساعدة أمي أيضًا. لم يكن هناك ما يدعو للابتسام عندما كانت تتحدث بهذه الطريقة. لقد ظلت الأمور متوترة هنا لفترة طويلة جدًّا، وتساءلت عما إذا كان أبي سيعدُّ هذه المسابقة وسيلة للعودة إلى الحياة الطبيعية، وما إذا كان المال سيجعل الأمور أفضل حقًّا.

لم يكن وضعنا مزريًا لدرجة أن نعيش في خوف دائم من الفقر أو شيء من هذا القبيل. لم نكن معدمين، لكن في الوقت نفسه لسنا بعيدين عن أن نصبح في وضع أسوأ.

كنا فنانين، وطبقتنا الاجتماعية تبعد ثلاث درجات فقط عن القاع؛ فالفنانون والموسيقيون الكلاسيكيون كانوا يبعدون حرفيًّا بثلاث طبقات فقط عن السقوط في هوة الفقر والانحدار. كان دخلنا ضئيلًا جدًّا ويعتمد بشكل كبير على تغير الفصول.

تذكرت أنني قرأت في كتاب تاريخ قديم أن جميع الاحتفالات الرئيسية كانت كلها في أشهر الشتاء؛ احتفال يسمى عيد الهلع يتبعه احتفال الشكر، ثم احتفال رأس العام، كلها يأتي واحدًا تلو الآخر.

ظل احتفال رأس العام كما هو، ولكن عندما أبرمت إيليا معاهدة السلام الضخمة مع الصين، أصبح احتفال رأس السنة إما في يناير أو فبراير، وهذا حسب تغير القمر. وأصبحت جميع الاحتفالات الفردية مثل الشكر والاستقلال في منطقتنا تسمى احتفال الشكر الكبير الذي يأتي في الصيف، وهذا الاحتفال يأتي بعد تشكيل إيليا، وكذلك تعبيرًا عن الامتنان؛ لأننا لا نزال هنا.

لا أعرف ما هو احتفال عيد الهلع، فقد توقفوا عن الاحتفال به!

لذا فالأسرة بأكملها تعمل، على الأقل، ثلاث مرات في السنة. أبي وماي كانا يصنعان أعمالهما الفنية، والرعاة كانوا يشترونها كهدايا. وكنت أنا وأمي نؤدي في الحفلات - أنا أغني وهي تعزف على البيانو - لم نكن نرفض أي عمل إذا كان بإمكاننا إنجازه. كان الأداء أمام الجمهور يرعبني عندما كنت صغيرة، لكنني الآن أحاول أن أَعدَّ نفسي كالموسيقى الخلفية. هذا ما كنا عليه في عيون أرباب العمل إذ كانوا دائمًا ما يقولون: أنتم هناك ليستمعوا إليكم لا كي يروكم.

لم يكتشف جيراد موهبته بعد، لكنه ما زال في السابعة من عمره ولديه الوقت.

قريبًا ستتغير أوراق الأشجار، وسيصبح عالمنا الصغير غير مستقر مرة أخرى. خمسة أفواه جائعة، وأربعة يعملون لإطعامها، ولا ضمانات لوجود عمل حتى وقت احتفال بداية العام.

عندما فكرت في الأمر بهذه الطريقة، بدت لي مسابقة الاختيار كحبل يمكنني أن أتمسك به. تلك الرسالة الغبية يمكن أن تخرجني من الظلام، وعندها أستطيع أن أُخرج عائلتي معي إلى النور.

نظرت إلى أمي، كانت ممتلئة القوام بعض الشيء بالنسبة لشخص من الطبقة الخامسة. وهذا كان غريبًا؛ فهي لم تكن نهمة وليس لدينا ما يكفي لنتخم أنفسنا به، على أي حال. ربما هذا هو شكل الجسم بعد إنجاب خمسة أطفال. كان شعرها أحمر مثل شعري، لكن الشيب كساه بشعيرات بيضاء لامعة. كانت تلك الشعيرات قد ظهرت فجأة وبوفرة قبل نحو عامين، ومعها ظهرت التجاعيد عند زاويتيْ عينيها، رغم أنها لا تزال شابة، ورأيت أثناء تحركها في المطبخ أن كتفيها كانتا متهدلتين كما لو أن هناك وزنًا خفيًا يستقر عليهما.

كنت أعلم أنها تحمل على عاتقها الكثير، ولهذا السبب أصبحت تتلاعب بي بشكل خاص. كنا نتشاجر بما فيه الكفاية دون الحاجة إلى الضغوط الإضافية، لكنها أصبحت أكثر عصبية مع اقتراب فصل الخريف الخالي من فرص العمل. كنت أعلم أنها تعتقد أنني أتصرف دون عقلانية الآن، لدرجة أنني لا أريد حتى ملء استمارة تافهة.

لكنَّ هناك أشياء مهمة أحبها في هذا العالم، وتلك الورقة بدت كجدار سميك يحجب عني ما أريده. لعلَّ ما أريده كان سخيفًا، ربما لم يكن شيئًا يمكنني الحصول عليه، لكن على الرغم من ذلك، ما أردته كان شيئًا يخصني، ولا أظن أنني أستطيع التضحية بأحلامي مهما كانت عائلتي تعني لي، كما أنني قدمت لهم الكثير بالفعل.

كنت أكبر ابنة بقيت في المنزل بعد أن تزوجت كينا ورحل كوتا عنا، وبذلت قصارى جهدي للمساهمة. كنا ننسق دراستي المنزلية في وقت تدريباتي التي كانت تستغرق معظم اليوم؛ لأنني كنت أحاول إتقان عزف عدة آلات موسيقية، بالإضافة إلى الغناء.

لكن مع وصول الرسالة، لم يعد أي من عملي ذا أهمية، ففي مخيلة أمي كنت قد أصبحتُ الملكة بالفعل.

لو كنت ذكية، لكنت قد أخفيت تلك الرسالة الغبية قبل أن يدخل أبي وماي وجيراد؛ لكنني لم أكن أعلم أن أمي خبأتها في ملابسها، وأظهرتها أثناء تناول الطعام.

أوضحت أمي بصوت عال: «رسالة موجَّهة إلى بيت سينجر».

حاولت أن آخذها منها، لكنها كانت أسرع مني.

كانوا سيكتشفون ذلك عاجلًا أم آجلًا، لكن إذا أظهرتها بتلك الطريقة، فسيقف الجميع في صفها.

توسلت لها: «أمي! من فضلك!».

صاحت ماي: «أريد أن أسمع!». ولم يكن تصرفها مفاجئًا، فأختي الصغيرة تشبهني تمامًا، بفارق ثلاث سنوات فقط.

لكن على الرغم من تطابق ملامحنا تقريبًا، كانت شخصية كل منا مختلفة تمامًا. وعلى عكس شخصيتي، كانت ماي اجتماعية ومتفائلة، وكانت مولعة بالقصص الرومانسية؛ لذا

كانت هذه المسابقة تبدو فرصة رائعة، من وجهة نظرها.

شعرت بوجهي يحمرُّ من الخجل. كان أبي يستمع بتركيز، وماي تتقافز من الفرح، أما جيراد، أخي الصغير اللطيف، فقد استمر في تناول الطعام.

تنحنحت أمي ثم تابعت حديثها: «أظهرت الإحصاءات الأخيرة أن هناك امرأة عزباء بين سن السادسة عشرة والعشرين تقيم حاليًّا في منزلكم، نود أن نعلمكم بالفرصة المتاحة لتكريم أمتنا العظيمة إيليا».

صاحت ماي مرة أخرى وأمسكت معصمي: « إنهم يقصدونكِ أنتِ!».

«أعرف أيتها القردة الصغيرة، توقفي قبل أن تكسري ذراعي»، لكنها استمرت في الإمساك بيدي وهي تتقافز بحماس.

تابعت أمي: «أميرنا المحبوب، ماكسون شرايف، سيبلغ سن الرشد، هذا الشهر. وبينما ينطلق في هذه المرحلة الجديدة من حياته، يأمل أن يمضيها مع شريكة له، بأن يتزوج ابنة حقيقية من إيليا. إذا كانت ابنتكم أو أختكم أو مَن تعولونها مؤهلة ومهتمة بأن تصبح عروس الأمير ماكسون والأميرة المحبوبة لإيليا، فيرجى ملء الاستمارة المرفقة وإعادتها إلى مكتب خدمات المقاطعة المحلي. سيتم اختيار امرأة واحدة من كل مقاطعة عشوائيًّا للقاء الأمير، وسيتم تسكين المشارِكات في القصر الجميل بإيليا في أنجليس طوال مدة إقامتهن. وستحصل عائلة كل مشارِكة على تعويض سخي» - أطالت أمي في نطق الكلمات الأخيرة لتأكيدها - «مقابل خدمتها للعائلة الملكية».

تطلعتُ إليها باستنكار وهي تتابع القراءة. هكذا جرت العادة مع الأمراء، أما الأميرات اللواتي يولدن في العائلة الملكية فكن يُزوجن من أمراء الدول الأخرى؛ في محاولة لتوطيد علاقاتنا بهم. وأتفهم سبب ذلك - فقد كنا بحاجة إلى حلفاء - لكنه لم يعجبني. لم أكن قد شهدت مثل هذا الشيء، وكنت آمل ألا أشهده أبدًا. لم تُنجب العائلة الملكية أميرة منذ ثلاثة

أجيال. بالنسبة للأمراء، فهم يتزوجون نساء من الشعب للحفاظ على معنويات أمتنا. أعتقد أن مسابقة الاختيار كانت تهدف إلى توحيدنا وتذكير الجميع بأن إيليا نفسها وُلدت من لا شيء تقريبًا.

كانت فكرة أن يتم إلحاقي في مسابقة ليشاهدها البلد كله، بينما يختار هذا الوغد المتعجرف أجمل وأتفه واحدة من بيننا لتكون الوجه الجميل الصامت الذي يظهر بجانبه على التلفاز، كافية لجعلي أصرخ: هل هناك شيء أكثر إهانة من ذلك؟

علاوة على ذلك، فقد زرت منازل عدد كافٍ من الأشخاص من الطبقتين الثانية والثالثة لأتأكد من أنني لا أريد العيش بينهم، ناهيك عن أن أكون من الطبقة الأولى. وباستثناء الأوقات التي ينقصنا فيها الطعام ونظل جائعين، كنت راضية تمامًا بأن أكون من الطبقة الخامسة، أما أمي فهي التي كانت تطمح إلى الطبقات العليا، وليس أنا.

قالت أمي وهي متحمسة: «وطبعًا سيحب أميريكا! إنها جميلة جدًّا».

«كفاكِ يا أمي! ألا ترين أنني إنسانة عادية ولست بهذا الجمال؟».

قالت ماي: «هذا ليس صحيحًا؛ لأنني أشبهك تمامًا وأنا جميلة!» كانت ابتسامتها عريضة ملء وجهها، لم أستطع أن أكتم ضحكتي. وكان معها حق، فهي فعلًا جميلة.

لكن ماي كان فيها شيء أكثر من جمال وجهها وابتسامتها التي تأسر القلوب وعينيها اللامعتين. كانت ماي تشع بالطاقة والحماس الذي يجعل الناس يرغبون في أن يكونوا حيثما كانت. كانت لديها جاذبية خاصة، على النقيض مني تمامًا.

سألتُ جيراد: «ما رأيك يا جيراد؟ هل تعتقد أنني جميلة؟».

توجهت الأنظار جميعها إلى أصغر فرد في عائلتنا، فصاح:

«لا! الفتيات مقرفات!».

تنهدت أمي بملل وقالت: «جيراد، توقف من فضلك»؛ لكنها لم تكن جادة، كان من الصعب أن تغضب منه، ثم أردفت: «أميريكا، يجب أن تعرفي أنكِ فتاة جميلة جدًّا».

«إذا كنت جميلة لهذه الدرجة، فلماذا لا يأتي أحد ليدعوني للارتباط؟».

«إنهم يأتون لكنني أرفضهم، بناتي أجمل من أن يتزوجن من الطبقة الخامسة. كينا تزوجت من أحد أفراد الطبقة الرابعة، وأنا متأكدة من أنكِ تستطيعين فعل أفضل من ذلك»، ثم ارتشفت من الشاي.

سمعت صوتي يرتفع أكثر فأكثر بينما أصيح: «اسمه جيمس، توقفي عن الإشارة إليه برقم. ومنذ متى يأتيني شبان؟».

تحدث أبي، لأول مرة، تعليقًا على هذا الحوار: «منذ فترة». كان صوته يحمل نبرة حزن، وكان يحدق إلى فنجانه وهو غارق في التفكير. كنت أحاول أن أفهم ما الذي يزعجه إلى هذه الدرجة؛ فكرة أن الشبان يطلبونني؟ أم لأنني أتشاجر مع أمي مرة أخرى؟ هل هو حزين لفكرة عدم مشاركتي في المسابقة؟ أم لأنني سأبتعد عنهم إذا فعلتُ؟

رفع عينيه للحظة قصيرة، وفجأة فهمت. لم يكن يريد أن يطلب مني هذا، لم يكن يريدني أن أذهب، لكنه لا يستطيع إنكار الفوائد التي سنجنيها إذا تمكنت من المشاركة ولو ليوم واحد.

قالت أمي: «كوني منطقية يا أميريكا، أظن أننا الوالدان الوحيدان في البلاد اللذان يحاولان إقناع ابنتهما بذلك. فكّري في تلك الفرصة! يمكنك أن تصبحي ملكة يومًا ما!».

«يا أمي، حتى لو أردت أن أصبح ملكة، وهو أمر لا أرغب فيه من الأساس، ما زالت هناك آلاف الفتيات الأخريات في المقاطعة اللواتي سيشاركن في هذه المسابقة، أقول لكِ الآلاف، وإذا تم اختياري بمعجزة، فبلا شك سيكون هناك أربع وثلاثون فتاة أخرى أفضل مني بكثير في فن الإغراء الذي لا أستطيع حتى التظاهر به».

أصغت أذنا جيراد بفضول متسائلًا: «ما فن الإغراء؟».

رددنا جميعًا في صوت واحد: «لا شيء».

ثم أنهيت حديثي قائلة: «من السخافة أن أفكر في أنني سأفوز بطريقة ما، على الرغم من كل ذلك».

دفعَت أمي كرسيها وهي تقف وانحنت عبر الطاولة نحوي قائلة: «إحداهن ستفوز يا أميريكا، ولديك تلك الفرصة نفسها مثل أي فتاة أخرى». ثم ألقت منديلها على المائدة، وبينما تهم لتغادر أردفت: «جيراد، تعال عندما تنهي طعامك، لقد حان وقت استحمامك».

تذمر جيراد عند سماع ذلك.

أكلت ماي في صمت، بينما طلب جيراد المزيد من الطعام، لكن لم يكن هناك المزيد. عندما نهض الجميع، بدأت تنظيف الطاولة بينما جلس أبي هناك يحتسي الشاي. كان على شعره طلاء مرة أخرى؛ بقعة من اللون الأصفر جعلتني أبتسم لرؤيتها. وقف أبي لينفض فتات الطعام عن قميصه.

تمتمت له وأنا أرفع الصحون: «آسفة يا أبي».

«لا تهتمي يا صغيرتي، أنا لست غاضبًا»، وابتسم ثم أحاطني بذراعه.

«أنا فقط...».

«لا تحتاجين إلى شرح ذلك لي يا عزيزتي، أنا أفهمك»، لثم جبهتي بقبلة مضيفًا: «سأعود إلى العمل».

ذهبت إلى المطبخ لبدء التنظيف، ولففت صحني، الذي لم آكل منه سوى القليل، بمنديل وخبأته في الثلاجة. لم يترك الآخرون في طبقهم سوى الفتات.

تنهدت واتجهت إلى غرفتي للاستعداد للنوم، كان الأمر برمته يثير غضبي.

لماذا تصر أمي على الضغط عليَّ لهذا الحد؟ ألم تكن سعيدة؟ ألا تحب أبي؟ لماذا لا يكفيها هذا؟

استلقيت على فراشي المتهالك محاولة اتخاذ قرار بشأن مسألة مسابقة الاختيار. أعتقد أن لها بعض المزايا، سيكون من الجميل أن يكون معنا ما يكفينا من المال لنأكل جيدًا لفترة على الأقل. لكن لم يكن هناك ما يدعو للقلق، لم أكن سأنجذب إلى الأمير ماكسون. ومن خلال ما رأيته في تقرير العاصمة إيليا، لم يكن حتى ليعجبني.

بدت الساعة كأنها تتحرك ببطء حتى جاء منتصف الليل. كانت هناك مرآة بجوار بابي، توقفت عندها لأتأكد من أن شعري يبدو كما كان في الصباح، ووضعت قليلًا من ملمع الشفاه ليكون هناك بعض اللون على وجهي. كانت أمي صارمة في حفظ مستحضرات التجميل للأوقات التي نحتاج فيها إلى الأداء في الحفلات أو الخروج إلى الأماكن العامة، لكنني عادة ما كنت أخفي بعضها لأستخدمها في ليالٍ مثل هذه.

تسللت إلى المطبخ بكل هدوء والتقطت بقايا طعامي وبعض الخبز الذي يوشك على الانتهاء، وتفاحة، وجمعتها كلها. عدت ببطء إلى غرفتي وكان الوقت قد تأخر كثيرًا. لكن لم يكن بوسعي فعل ذلك في وقت سابق، إذ كانت أعصابي متوترة بشدة.

فتحت نافذتي ونظرت إلى فنائنا الخلفي الصغير. لم يكن هناك ما يكفي من ضوء القمر لإنارته، لذا كان عليَّ أن أترك عينيَّ تتكيفان قبل أن أتحرك. على امتداد العشب، كان بيت الشجرة يكاد يظهر كالظل في الليل. عندما كنا أصغر سنًّا، كان كوتا يربط الأغطية على الأغصان لتبدو كأنها سفينة. كان هو القبطان وكنت دائمًا مساعده الأول. كانت مهامي تتلخص في كنس الأرضية وإعداد الطعام، الذي كان عبارة عن تراب وأغصان موضوعة في صواني الخبز الخاصة بأمي. كان يأخذ ملعقة من التراب ويتظاهر بأكله، لكنه يرميه وراء

كتفه. وكان هذا يعني أن عليَّ أن أكنس مرة أخرى، لكنني لم أكن أمانع. كل ما أسعدني أنني كنت على السفينة مع كوتا.

نظرت حولي وكانت جميع المنازل المجاورة بلا ضوء ولم يكن هناك مَن ينظر، وبدأت أزحف بحذر من النافذة. كنت في الماضي أصاب بكدمات على بطني بسبب عدم فعل ذلك بالطريقة الصحيحة، لكن الآن أصبح الأمر سهلًا، فهي موهبة أتقنتها على مر السنين. ولم أُرِد أن أُفسد أيًّا من الطعام بفعل ذلك.

أسرعت خطاي عبر العشب وأنا أرتدي أجمل منامة عندي. كان بإمكاني أن أظل بملابسي التي ارتديتها في النهار، لكنني كنت مرتاحة أكثر هكذا. ربما لم يكن مهمًّا ما ارتديته، لكنني شعرت بجمال مظهري بعد ارتدائي سروالي القصير البني وقميصي الأبيض الضيق.

لم يعد تسلق الألواح المثبتة على الشجرة بيد واحدة صعبًا بعد الآن، كنت قد نمَّيت تلك المهارة أيضًا، وكانت كل خطوة إلى الأعلى تزيدني حماسًا. لم تكن المسافة كبيرة لكن من هنا بدا ضجيج منزلي كأنه يبعد أميالًا.. هنا لم يكن عليَّ أن أكون أميرة لأحد مهماكان.

عندما تسلقت إلى بيت الشجرة الصغير، الذي كان ملاذي، علمت أنني لم أكن وحدي، كان هناك شخص يختبئ في الظلام في الزاوية البعيدة. تسارعت أنفاسي ولم أستطع السيطرة عليها، فوضعت طعامي جانبًا وضيَّقت عينيَّ لأرى بوضوح. تحرك الشخص، وأشعل شمعة بصعوبة يمكن استخدامها. لم يكن هناك الكثير من الضوء ليرانا مَن في المنزل، لكنه كان كافيًا ليضيء لنا. أخيرًا، تحدث المتسلل وعَلَت ابتسامة ماكرة وجهه.

«مرحباً أيتها الجميلة».

الفصل 2

أخذت أزحف بعمق داخل بيت الشجرة؛ كان عبارة عن مكعب صغير بمساحة 150 × 150 سم؛ حتى جيراد لم يكن يستطيع الوقوف فيه بشكل مستقيم؛ لكنني أحببته. كانت هناك فتحة واحدة للزحف إلى الداخل، ونافذة صغيرة على الجدار المقابل. وضعتُ مقعدًا قديمًا في الزاوية ليكون بمثابة مسند للشمعة، وفرشت سجادة صغيرة اهترأت ورقَّت بشدة، لا تكاد تشعر بها تغطي الألواح الخشبية من تحتك. لم يكن بذاك المكان الكبير؛ لكنه كان ملاذي... ملاذنا نحن الاثنين.

«لا تنادِني بالجميلة رجاءً. أولًا أمي، ثم ماي، والآن أنت. لقد بدأ يزعجني الأمر». لكن من الطريقة التي كان ينظر بها أسبن إليَّ مُبتسمًا، كنت أعلم أنه لا يصدقني.

«لا أستطيع تجنُّب حقيقة أنك أجمل مخلوق رأيته في حياتي. لا يمكنكِ أن تلوميني على قول ذلك في الوقت الوحيد الذي يُسمح لي برؤيتك فيه»، مدَّ يده ووضع وجهي بين كفيه، فنظرت طويلًا في عينيه.

لم يتطلب الأمر أكثر من قول ذلك. وسرعان ما تعانقنا ولم أعد أستطيع التفكير في أي شيء آخر، لا المسابقة ولا عائلتي البائسة ولا إيليا نفسها. كل ما كان يهمني هو يدا أسبن على ظهري وهو يقرّبني منه أكثر، وأنفاسه على وجنتيَّ. انزلقت أصابعي بين ثنايا شعره فاحم السواد، الذي كان لا يزال مبتلًّا من أثر الاستحمام – فهو دائمًا ما يستحم في الليل – وتشابكت. كانت رائحته تشبه رائحة صابون أمه المصنوع في المنزل، ولطالما حلمت بتلك الرائحة. وأخيرًا ابتعد كل منا عن الآخر، ولم أتمكن من إخفاء ابتسامتي.

أسندت رأسي إلى كتفه كطفلة تحتاج إلى مَن يداعبها، وقلت له: «آسفة؛ لأن مزاجي سيئ اليوم، لقد... تلقينا هذه الرسالة السخيفة في البريد».

«آه، نعم، الرسالة»، ثم تنهد أسبن متابعًا: «لقد وصلتنا اثنتان».

بالطبع، فقد بلغت أختاه التوأمتان سن السادسة عشرة للتو.

كان أسبن يتأمل ملامح وجهي وهو يتحدث. وهو يفعل ذلك عندما نكون معًا، كأنه يحاول حفظ ملامحي في ذاكرته. كان قد مضى أكثر من أسبوع منذ آخر لقاء لنا، وكنا نصاب بالقلق كلما زادت فترة عدم لقائنا على بضعة أيام.

تأملته أنا أيضًا، كان أكثر الشباب جاذبية في البلدة، بغض النظر عن طبقته الاجتماعية. شعره داكن ،وعيناه خضراوان، ولديه ابتسامة غامضة تجعلك تشعر بأنه يخفي سرًا. كان طويل القامة، لكنه ليس فارع الطول، ويبدو نحيف القوام. لاحظت في الضوء الخافت وجود انتفاخين صغيرين تحت عينيه؛ لا شك أنه ظل يعمل حتى وقت متأخر طوال الأسبوع.

كان قميصه الأسود مهترئًا في عدة أماكن، تمامًا مثل سرواله الجينز البالي الذي يرتديه تقريبًا كل يوم.

لو كان بإمكاني أن أخيط له تلك الملابس، هذا كل ما كنت أتمناه في هذه الحياة؛ أن أكون أميرة أسبن وليس إيليا.

كان يؤلمني أن أبتعد عنه، في بعض الأيام كنت أجنُّ من التفكير فيه. وعندما لا أستطيع تحمُّل ذلك، كنت أعزف الموسيقى. لقد كان لأسبن الفضل في كوني الموسيقية التي أصبحت عليها اليوم. لكنه الآن يشغل جل تفكيري لدرجة تفقدني تركيزي.

كان هذا أمرًا سيئًا.

كان أسبن من الطبقة السادسة؛ تلك الطبقة كانوا خدمًا ويعدون أفضل بدرجة واحدة من الطبقة السابعة لأنهم أكثر تعليمًا وتدريبًا على العمل داخل المنازل. كان أسبن أذكى مما

يظنه أي شخص، وجذابًا بشكل يخطف اللب، لكن من النادر أن تتزوج امرأة برجلٍ من طبقة أدنى. يمكن لرجل من طبقة أدنى أن يطلب يدك، لكن من النادر أن يحصل على موافقة. وعندما يتزوج أي امرأة من طبقة مختلفة، كان عليه أن يملأ الأوراق وينتظر نحو تسعين يومًا قبل أن يتمكن من إتمام أي من الإجراءات القانونية الأخرى التي تحتاج إليها. سمعت أكثر من شخص يقول إن ذلك يمنح الناس فرصة لتغيير رأيهم. لذلك فإن كوننا بهذه الحميمية وفي الخارج بعد حظر التجوال في إيليا يعرِّضنا لعواقب وخيمة في الواقع، ناهيك بما يمكن أن تفعله أمي.

لكنني كنت أحب أسبن؛ أحببته منذ ما يقارب السنتين، كما أنه يبادلني الحب نفسه، بينما كان جالسًا هناك يداعب خصلات شعري، لم أستطع تخيل مشاركتي في مسابقة الاختيار.

سألته: «ما رأيك في هذا؟ أعني تلك المسابقة؟».

«أعتقد أن عليه أن يجد فتاة بطريقة ما، يا له من مسكين»، كان بإمكاني سماع السخرية في صوته، لكنني كنت أرغب حقًّا في معرفة رأيه.

«هيا يا أسبن أخبرني».

حسنًا حسنًا، لديَّ رأيان متناقضان، أظن أن الأمر محزن نوعًا ما، ألا يواعد الأمير أحدًا؟ أعني، هل من الممكن حقًّا أنه لا يستطيع العثور على أي فتاة بنفسه؟ إذا كانوا يحاولون تزويج الأميرات لأمراء آخرين، فلماذا لا يفعلون الشيء نفسه معه؟ لا بد أن هناك أميرة في مكانٍ ما تناسبه. لا أفهم الأمر».

ثم تنهد وأردف :«ولكن رأيي الآخر أنها فكرة جيدة ومثيرة إلى حد ما؛ لأنه سيقع في الحب أمام الجميع، وتعجبني فكرة أن إحداهن ستحظى بنهاية سعيدة، يمكن لأي واحدة أن تكون ملكتنا المقبلة. الأمر يحمل نوعًا من الأمل، يجعلني أفكر أن بإمكاني أن أحظى بنهاية سعيدة أنا أيضًا».

كانت أصابعه تتتبع شفاهي، وعيناه الخضراوان تغوصان في أعماق روحي، وشعرت بتلك الشرارة من خلال تلك الخفقات التي لا أحس بها إلا معه. كنت أرغب في نهاية سعيدة لنا أيضًا.

سألته: «إذن أنتَ تشجع التوأمتين على الانضمام، أليس كذلك؟» .

«نعم، لقد رأينا الأمير من وقت لآخر؛ يبدو أنه شخص لطيف بما فيه الكفاية. متعجرف بلا شك، لكنه ودود. والفتاتان متحمستان جدًّا؛ من المضحك مشاهدتهما. كانتا ترقصان في المنزل عندما عدت إلى البيت اليوم. ولا يمكن لأحد إنكار أن ذلك سيكون مفيدًا للعائلة. أمي متفائلة لأن لدينا مشاركتين من المنزل بدلًا من واحدة».

كان ذلك أول الأخبار الجيدة التي أسمعها عن هذه المسابقة الشنيعة. لم أصدق أنني كنت أنانية إلى درجة أنني لم أفكر في شقيقتيْ أسبن؛ إذا ذهبت واحدة منهما، إذا فازت واحدة منهما...

«أسبن، هل تدرك ما يعنيه الأمر إن فازت كامبر أو سيليا؟».

أحاطني بذراعيه ولمست شفتاه جبهتي.

وأجاب: «هذا ما فكرت فيه طوال اليوم». كان صوته الخشن يطغى على أي فكرة أخرى تراودني، كل ما أردته في تلك اللحظة هو أن يعانقني أسبن. وكنا لنقضي بقية الليلة هكذا، لكن صوت قرقرة معدته من الجوع أوقفني وأعادني إلى الواقع.

قلت بلطف: «بالمناسبة، أحضرت لنا وجبة خفيفة».

«حقًّا؟» كان واضحًا أنه لا يريد أن يُظهر حماسه، لكنه لم يستطع إخفاءه.

«سيعجبك هذا الدجاج؛ لقد أعددته بنفسي».

قدمت الطعام إلى أسبن الذي بدأ يتناوله ببطء وهدوء. أخذت قضمة من التفاحة لأجعله يشعر بأنها لنا معًا، ثم وضعتها جانبًا وتركته يستمتع بالباقي.

بينما كانت عائلتي تعاني نقص الطعام، كان الوضع في بيت أسبن أسوأ بكثير. كان لديه عمل أكثر استقرارًا مقارنة بنا لكنه يتقاضى القليل، لم يكن هناك قط ما يكفي من الطعام لعائلته. كان هو الأكبر بين سبعة إخوة، وبالطريقة نفسها التي تحملتُ بها المسئولية لمساعدة عائلتي قدر ما استطعت، كان أسبن يضطر إلى التنازل عن حصته من الطعام القليل الذي لديهم لإخوته ووالدته، التي كانت دائمًا مرهقة من العمل. توفي والده منذ ثلاث سنوات، وكانت عائلة أسبن تعتمد عليه في كل شيء تقريبًا.

راقبته وأنا أشعر برضا بينما يلتهم الطعام ويلعق توابل الدجاج من أصابعه ويأكل الخبز بنهم. لم أستطع تخيل متى كانت آخر مرة أكل فيها.

قال وفمه ممتلئ بقضمة من التفاحة: «أنتِ طباخة رائعة، ستجعلين أحدهم سمينًا وسعيدًا يومًا ما».

«سأجعلك أنت سمينًا وسعيدًا.. تعرف ذلك».

«آه، أتمنى أن أكون سمينًا!».

ضحكنا معًا وبدأ يروي لي عن حياته منذ آخر مرة رأيته فيها. كان قد نفذ بعض المهام الإدارية لأحد المصانع، وكان أجر ذلك سيكفيه للأسبوع المقبل. أما والدته فقد تمكنت أخيرًا من الحصول على فرصة تنظيف بيوت بعض أفراد الطبقة الثانية في منطقتنا. وكانت التوأمان حزينتين؛ لأن والدتهما جعلتهما يتركان نادي المسرح بعد المدرسة حتى يتمكنا من العمل أكثر.

«سأرى ما إذا كان بإمكاني العثور على عمل إضافي أيام الأحد لأكسب بعض المال. أكره أنهما مضطرتان للتخلي عن شيء تحبانه كثيرًا» قال هذا بأمل وكأنه متأكد من قدرته على

فعل ذلك.

«أسبن ليجر، لا تفعل ذلك! أنت تعمل بجد، بالفعل».

همس في أذني: «عزيزتي مير»، فجعلني ذلك أشعر بالقشعريرة، «أنت تعرفين كامبر وسيليا، يحتاجان إلى الوجود بالقرب من الناس، لا يمكنهما البقاء محبوستين للتنظيف والكتابة طوال الوقت، هذا ليس من طبيعتهما».

«لكن ليس من العدل أن يتوقعا منك أن تفعل كل شيء يا أسبن. أنا أعرف تمامًا ما تشعر به تجاه أخواتك، لكنك بحاجة إلى أن تعتني بنفسك. إذا كنت تحب أسرتك حقًّا، فيجب أن تعتني بنفسك، فأنت عائلها».

«لا تشغلي بالك يا مير، أعتقد أنه سيكون هناك أشياء جيدة في المستقبل، لن أستمر في إنهاك نفسي إلى الأبد».

لكنه كان سيفعل ذلك؛ لأن عائلته ستظل دائمًا بحاجة إلى المال، قلت له: «أسبن، أعلم أنك تستطيع فعل ذلك، لكنك لست بطلًا خارقًا. لا يمكنك أن توفر كل شيء لكل من تحب، لا يمكنك فعل كل شيء».

سادت فترة من الصمت. كنت آمل أن يأخذ كلماتي على محمل الجد، ويستوعب أنه سيستهلك نفسه إذا لم يخفف من وتيرته. لم يكن أمرًا غريبًا أن نسمع عن موت شخص من الطبقة السادسة أو السابعة أو الثامنة من التعب، وأنا لن أستطيع تحمُّل أن يحدث له شيء كهذا. احتضنته محاولة طرد تلك الصورة من رأسي.

«أميريكا؟».

همست له: «نعم؟».

«هل ستشاركين في المسابقة؟».

قلت له بصدق: «لا! بالطبع لا! لا أريد لأحد أن يظن أنني سأفكر حتى في الزواج من شخص غريب، أنا أحبك».

سألني: «لكن هل تريدين أن تصبحي من الطبقة السادسة؟ وتعيشي في جوع وقلق دائم؟». كان بوسعي سماع الألم في صوته، ولكن أيضًا سؤاله المهم: إذا كان عليَّ أن أختار بين النوم في قصر مع خدم تحت إمرتي، أم الإقامة في شقة صغيرة مكونة من ثلاث غرف مع عائلة أسبن، فأيهما كنت سأختار؟

«سنحل المشكلة يا أسبن، نحن ذكيان، سنكون بخير». قلت ذلك وتمنيت أن يكون كلامي صحيحًا.

«أنت تعرفين أن هذا ليس ممكنًا يا مير. سأظل مضطرًّا لدعم عائلتي؛ أنا لست من النوع الذي يتخلى عن عائلته»، تحركت قليلًا بين ذراعيه، ثم تابع حديثه: «وإذا أصبح لدينا أطفال...».

«سنفكر في ذلك عندما يصبح لدينا أطفال، سنتوخى الحذر بشأن الإنجاب. من يقول إننا يجب أن ننجب أكثر من طفلين؟».

«أنتِ تعرفين أن هذا ليس شيئًا يمكننا التحكم فيه!» وسمعت نبرة الغضب تزداد في صوته.

لم أستطع لومه. إذا كان الواحد منا ثريًّا بما فيه الكفاية، لكان بإمكاننا تنظيم مسألة تكوين الأسرة. لكن إذا كنا من الطبقة الرابعة أو أسوأ، كانوا يتركوننا لتدبر أمورنا بأنفسنا. كان هذا الموضوع محور العديد من المشاجرات بيننا خلال الأشهر الستة الماضية، وذلك عندما بدأنا نفكر جديًّا في محاولة إيجاد طريقة لنكون معًا. الفكرة هنا أن الأطفال كانوا مخاطرة. كلما زاد عددهم، زادت فرص العمل وكسب الرزق للعائلة. لكن من ناحية أخرى، الأطفال يحتاجون إلى طعام ورعاية...

سادت فترة صمت أخرى، وكلانا لا يعلم ما يجب أن يقول. كان أسبن عاطفيًّا؛ يميل إلى الانفعال والاندفاع أثناء الجدال. في الماضي، ربما كان يصل إلى درجة غضب شديدة في تلك المواقف، لكن بمرور الوقت، أصبح أفضل في السيطرة على نفسه قبل أن ينفعل. وقد لاحظت أنه يفعل ذلك في هذه اللحظة.

لم أُرد منه أن يقلق أو ينزعج؛ كنت أعتقد حقًّا أننا يمكننا التعامل مع الأمر. إذا خططنا لكل شيء ووضعناه في الحسبان، سننجح في تجاوز كل ما لا يمكننا توقعه. ربما كنت متفائلة بشكل مُبالغ فيه، ربما كنت فقط مغرمة إلى حد الجنون، لكنني كنت أؤمن بأن أي شيء أرغب في تحقيقه بشدة أنا وأسبن، يمكننا أن نجعل منه واقعًا.

قال فجأة: «أعتقد أن عليكِ أن تقومي بذلك».

«أقوم بماذا؟».

«أن تشاركي في المسابقة، أعتقد أن عليكِ القيام بذلك».

حدقت إليه بغضب وصحت: «هل جننت؟».

كان فمه قريبًا من أذني وهو يقول: «مير، استمعي إليَّ».

لم يكن هذا عدلًا؛ كان يعرف أنه يشتت انتباهي بفعل ذلك، عندما يتحدث بصوت خافت كما لو أنه يقول شيئًا رومانسيًّا، على الرغم من أن ما كان يقترحه عكس ذلك تمامًا.

«إذا كانت لديك فرصة لشيء أفضل من هذا الذي تعيشينه معي ولم تنتهزيها بسببي، فلن أغفر لنفسي أبدًا. لا أستطيع تحمُّل ذلك».

زفرتُ بتوتر وقلت له: «هذا كله سخيف! فكر في آلاف الفتيات اللواتي سيشاركن، لن يتم اختياري حتى».

«إذا لم يتم اختيارك، فلماذا تقلقين بشأن المحاولة من الأساس؟»، كانت يداه تدلكان يدي الآن، ولا أستطيع الجدال أبدًا عندما يفعل ذلك.

«كل ما أريده هو أن تشاركي، أريدك فقط أن تحاولي. وإذا نجحت فاذهبي، سيكون خيرًا لك. وإن لم تنجحي، فعلى الأقل لن أضطر إلى جلد نفسي لأنني كنت عقبة في طريقك».

«لكنني لا أحبه يا أسبن، لا أطيقه ولا أعرفه».

«لا أحد يعرفه، لهذا السبب ربما قد تعجبين به».

«توقف يا أسبن، أنا أحبك أنت».

«وأنا أحبك». منحني عناقًا دافئًا ليؤكد وجهة نظره، وأردف: «وإذا كنت تحبينني، فستفعلين هذا حتى لا أُجن من التساؤل عما كان يمكن أن يحدث».

عندما جعل الأمر يتعلق به بهذه الطريقة لم تكن لديَّ فرصة للجدال؛ لأنني لا أستطيع أن أؤذيه، كنت أفعل كل ما بوسعي لجعل حياته أسهل. وكنت مُحقة، لم يكن هناك أي احتمال بأن يتم اختياري؛ لذا يجب أن أتمم الإجراءات وأرضي الجميع. وعندما لا يتم اختياري، سيتوقف الجميع عن التحدث عن ذلك.

همس في أذني: «أرجوكِ»، فجعل القشعريرة تسري في جسدي.

همست أجيبه: «حسنًا، سأفعل. لكن فلتعلم من الآن أنني لا أريد أن أكون أميرة، كل ما أريده هو أن أكون زوجتك أنت».

راح يداعب شعري ويؤكد: «ستكونين زوجتي».

أُقسم أن عينيه امتلأتا بالدموع بينما يقول ذلك، لكن ربما كان انعكاس الضوء أو نقصه هو السبب. لقد مر أسبن بالكثير، لكنني رأيته يبكي مرة واحدة فقط، وذلك عندما جلدوا أخاه

الصغير في الساحة؛ لأنه سرق بعض الفواكه من عربة في السوق. في حالة السرقة، كان البالغون يخضعون لمحاكمة قصيرة، ثم حساب قيمة ما سُرق، وبعدها إما أن يُسجنوا أو يُحكم عليهم بالإعدام.

كان جيمي في التاسعة من عمره؛ لذا تعرض للجلد. لم يكن لدى والدة أسبن المال لأخذه إلى طبيب مناسب؛ لذا بقيت الندوب على ظهر جيمي حتى يومنا هذا.

في ذلك اليوم، انتظرت أسبن في النافذة كي أراه حين يتسلق بيت الشجرة. وعندما رأيته، تسللت للخارج وذهبت إليه. بكى في حضني لساعة كاملة وهو يؤنب نفسه؛ لأنه إذا كان قد عمل بجد أكبر، أو وجد عملًا أفضل، ما كان جيمي سيضطر إلى السرقة. وأخبرني بأنه من الظلم أن يتألم جيمي لأن أسبن فشل في إعالته.

تمزق قلبي لأن ما قاله لم يكن صحيحًا. لكنني لم أستطع أن أخبره بذلك؛ لم يكن سيستمع إليَّ. كان أسبن يحمل على كاهله تلبية احتياجات كل من يحب. وبطريقة ما، وبمعجزة ما، أصبحت واحدة من هؤلاء الأشخاص؛ لذا حاولت أن أجعل حملي خفيفًا قدر الإمكان.

«ألا تغنّين لي؟ غنّي لي شيئًا جميلًا لأنام».

ابتسمت لأنني أحب الغناء له؛ لذا استقررت بالقرب منه وغنيت له أغنية لطيفة.

تركني أغني لبضع دقائق ثم بدأت أصابعه تتحرك ببطء على يدي، واقترب مني ليقبل وجنتي وبدأت أنفاسي تتقطع. كان يفعل ذلك تقريبًا في كل مرة أغني فيها، أظن أنه كان يستمتع بصوت أنفاسي المتقطعة أكثر من استمتاعه بالأغاني نفسها.

قال لي: «أحبكِ يا أميريكا سينجر، سأحبكِ دومًا ما دمت على قيد الحياة»، كان صوته يحمل عاطفة عميقة، وأدفأ قلبي هذا الاعتراف.

«وأنا أحبك يا أسبن، ستظل دائمًا أميرًا في عيني».

عانقني بدفء حتى انطفأت الشمعة.

لا بد أن ساعات عديدة قد مرت، وبدأ جفناي يتثاقلان. لم يقلق أسبن بشأن نومه، لكنه كان دائمًا حريصًا على راحتي؛ لذا نزلت السلالم وأنا متعبة، حاملةً معي صحن الطعام وقرشًا.

عندما كنت أغني، كان أسبن يستمتع بكل لحظة. من وقت لآخر، عندما كان يحظى ببعض المال الإضافي، كان يعطيني قرشًا مقابل أغنيتي، لكنني كنت أُفضِّل أن يعطيه عائلته، فلا شك أنهم بحاجة إلى كل قرش يعطيني إياه. ولكن، امتلاك هذه النقود؛ لأنني لم أستطع تحمُّل فكرة أن أنفقها أبدًا، كان بمثابة تذكير بكل ما كان أسبن مستعدًّا لفعله من أجلي، بكل ما أعنيه له.

عدت إلى غرفتي، وسحبت برطماني الصغير من النقود المعدنية من مخبئه واستمتعت بصوت القرش الجديد وهو يصطدم بالبقية. انتظرت لمدة عشر دقائق، أراقب من النافذة حتى رأيت ظل أسبن وهو ينزل ويقطع الطريق الخلفي ركضًا.

بقيت مستيقظة لبعض الوقت، أفكر في أسبن وكم أحبه، وهذا الإحساس الذي يتملكني عندما أفكر أنه يبادلني الحب نفسه. شعرت بأنني مميزة، لا أقدَّر بثمن، لا يمكن تعويضي. لم يكن لأي ملكة على أي عرش أن تشعر بأهمية أكثر مما شعرت به في تلك اللحظة.

غفوت أخيرًا بينما تترسخ تلك الفكرة في قلبي.

الفصل 3

كان أسبن يرتدي الأبيض وبدا كالملاك. كنا في كارولينا، لكن لم يكن هناك أحد سوانا. وحدنا تمامًا، لكن لا نشعر بالوحدة. كان أسبن ينسج أغصان الأشجار ليصنع لي تاجًا.

«أميريكا» جاء صوت أمي فجأة، يقطع أحلامي ويعيدني إلى الواقع.

أشعلت الأضواء فآلمت عينيَّ، وأخذت أفركهما بيدي لأتكيف على الضوء.

«استيقظي يا أميريكا، لديَّ عرض لكِ»، نظرت إلى المنبه، وكان يشير إلى ما بعد السابعة صباحًا بقليل. أي أنني بصعوبة حصلت على خمس ساعات فقط من النوم.

تمتمت بتعب: «هل العرض يشمل مزيدًا من النوم؟».

«لا يا عزيزتي، اجلسي. لديَّ شيء جاد أريد مناقشته معكِ».

هممت بالجلوس، وملابسي مجعدة، وشعري مبعثر في كل اتجاه. لم تكن أمي صبورة وأخذت تصفق بيديها كثيرًا، وكأن ذلك سيعجِّل من نهوضي.

«هيا انهضي يا أميريكا، عليكِ الاستيقاظ».

تثاءبت لمرتين ثم سألتها: «ماذا تريدين؟».

«أريدك أن تسجلي اسمك في مسابقة الاختيار، أعتقد أنكِ ستكونين أميرة رائعة».

كان الوقت مبكرًا جدًا على هذا الحديث.

«أرجوكِ يا أمي، لقد استيقظت لتوّي...» تنهدت ثم تذكرت ما وعدت به أسبن الليلة الماضية، بأنني سأحاول على الأقل. ولكن الآن وما زلنا في بداية اليوم، لم أكن متأكدة من قدرتي على فعل ذلك.

«أعلم أنكِ معارضة لهذا الأمر، لكنني فكرت في تقديم عرض لكِ لعلّك تغيرين رأيك».

نظرت إليها باهتمام، ما الذي ستعرضه عليَّ؟

«تحدثت مع والدك الليلة الماضية، وقررنا أنك كبرتِ بما يكفي لتبدئي العمل بمفردك. أنتِ تعزفين البيانو مثلي، وإذا بذلتِ قليلًا من الجهد، فستتقنين العزف على الكمان. وفي رأيي لا يوجد أفضل من صوتك في المقاطعة».

ابتسمت وقلت لها: «شكرًا يا أمي، شكرًا لك»، لم أكن أهتم كثيرًا بالعمل وحدي؛ لذا لم أرَ ما قد يغريني في هذا العرض.

«حسنًا، هذا ليس كل شيء. يمكنك الآن قبول أو رفض أعمالك بنفسك والذهاب وحدك، و... ويمكنك الاحتفاظ بنصف ما تكسبينه»، ثم تظاهرت أمامي بالابتسام وهي تقول ذلك.

فتحت عينيَّ بذهول.

«لكن هذا فقط في حال أنك وافقت على التسجيل في مسابقة الاختيار»، وعندها بدأت تبتسم لأنها كانت تعرف أن هذا سيجذبني، رغم أنها كانت تتوقع مني مقاومة أكبر تجاه تغيير رأيي.

لكن كيف يمكنني أن أعارض؟ كنت بالفعل على وشك التسجيل، والآن يمكنني كسب بعض المال بنفسي!

«أنتِ تعرفين أنني أستطيع التسجيل فقط، أليس كذلك؟ لكن لا أستطيع أن أجعلهم يختارونني».

«نعم، أعرف ذلك. لكن التجربة تستحق المحاولة».

«يا إلهي يا أمي»، هززت رأسي وأنا ما زلت مندهشة، ثم تابعت: «حسنًا، سأملأ الاستمارة اليوم. هل أنتِ جادة بشأن المال؟».

«بالطبع، عاجلًا أم آجلًا كنت ستذهبين وحدك على أي حال، ومن المفيد لك أن تكوني مسئولة عن مالك. لكن لا تنسي عائلتك، أرجوكِ، ما زلنا بحاجة إليك».

«لن أنساكم يا أمي، كيف يمكنني أن أنساكم مع كل هذا الإزعاج؟». غمزتُ لها فضحكت، وبذلك تم الاتفاق.

استحممت بينما كنت أحاول استيعاب كل ما حدث في أقل من أربع وعشرين ساعة، فبمجرد ملء تلك الاستمارة، كنت سأكسب رضا عائلتي وسأتمكن من إسعاد أسبن، وكذلك سأجمع المال الذي سيساعدني أنا وأسبن على الزواج!

لم يقلقني أمر المال كثيرًا، لكن أسبن أصرّ على أننا بحاجة إلى بعض المدخرات الخاصة بنا أولًا قبل الإقدام على تلك الخطوة. كان هناك بعض التكاليف للإجراءات القانونية، وكنا نريد إقامة حفل زفاف صغير يجمع عائلتينا. اعتقدت أن توفير المال لن يستغرق وقتًا طويلًا بمجرد أن نقرر استعدادنا للزواج، لكن أسبن كان يريد المزيد لضمان الاستقرار. ربما سيثق أخيرًا بأننا لن نقع في ضائقة مالية إذا عملت بجد.

بعد استحمامي، قمت بتسريح شعري ووضعت قليلًا من المكياج للاحتفال، ثم ذهبت إلى خزانتي وارتديت ملابسي. لم يكن هناك الكثير من الخيارات، فمعظم ملابسي كانت باللون البيج أو البني أو الأخضر. كانت لديَّ بعض الفساتين الأنيقة لمناسبات العمل، لكنها كانت قديمة بالنسبة لعالم الموضة. يسير الأمر هكذا: أفراد الطبقتين السادسة والسابعة كانوا يرتدون غالبًا الجينز أو الأقمشة المتينة، بينما الطبقة الخامسة كانوا يرتدون ملابس مملة إلى حد كبير، حيث كان الفنانون يرتدون المآزر، وكان المغنون والراقصون هم فقط الذين

يحتاجون إلى أن يبدوا مميزين خلال العروض. أما الطبقات العليا، فكانوا يرتدون الكاكي والجينز بين الحين والآخر لتغيير مظهرهم، لكن نوع القماش كان يبدو فاخرًا ومميزًا دائمًا. كأن لم يكفهم أنهم يستطيعون الحصول على أي شيء يريدونه، فقاموا بتحويل ضرورياتنا إلى رفاهيات.

ارتديت ملابس مكونة من شورت كاكي وقميص أخضر- أكثر ملابسي النهارية جاذبية - ونظرت إلى نفسي قبل أن أخرج إلى غرفة المعيشة. شعرت ببعض الجمال اليوم، ربما كان حماسي السبب في ذلك.

كانت أمي جالسة على طاولة المطبخ مع أبي يهمسان، فنظرا إليَّ عدة مرات، لكن حتى نظراتهما لم تزعجني.

عندما أمسكت الرسالة اندهشت قليلًا، كان الورق ذا جودة عالية، وسميكًا، وملمسُه كان خشنًا قليلًا، لم ألمس شيئًا مثله من قبل. ولوهلة أشعرني وزن الورق بأهمية ما كنت أفعله.

طرأ على ذهني كلمتان: ماذا لو؟ لكنني طردت الفكرة بعيدًا ووضعت القلم على الورق وبدأت أكتب.

كانت الأسئلة واضحة إلى حد كبير. ملأت خانة اسمي وعمري وطبقتي ومعلومات الاتصال الخاصة بي. كان يجب أن أذكر طولي ووزني، ولون شعري وعيني وبشرتي أيضًا. شعرت بالرضا بينما أكتب أنني أستطيع التحدث بثلاث لغات. كان معظم الناس يتحدثون لغتين على الأكثر، لكن والدتي أصرّت على أن نتعلم الفرنسية والإسبانية، حيث كانت تُستخدم هذه اللغات في بعض أنحاء البلاد. كما ساعد ذلك في الغناء، فهناك العديد من الأغاني الجميلة باللغة الفرنسية.

كان علينا أن نذكر أعلى مستوى دراسي وصلنا إليه، وهو ما يمكن أن يختلف بشكل كبير، حيث لا تذهب سوى الطبقتين السادسة والسابعة إلى المدارس الحكومية ولديهما

مستويات دراسية فعلية. بالنسبة لي، كنت قد أنهيت تعليمي تقريبًا. كما أنني ذكرت الغناء وجميع الأدوات الموسيقية التي أعزف عليها تحت قسم المهارات الخاصة.

سألتُ أبي: «هل تعتقد أن القدرة على النوم حتى وقت متأخر تُعد مهارة خاصة؟» محاولة أن أبدو مترددة بشأن القرار.

أجابني أبي: «نعم، اذكري ذلك. ولا تنسي أن تكتبي أنك تستطيعين تناول وجبة كاملة في أقل من خمس دقائق»، عندها ضحكت. كان معه حق؛ كنت أميل إلى ابتلاع طعامي بسرعة.

صاحت أمي: «ما الذي تفعلانه أنتما الاثنان! لماذا لا تكتبين أنكِ بدائية بالمرة؟!»، وغادرت الغرفة مندفعة. لم أصدق أنها كانت غاضبة لتلك الدرجة، ففي نهاية المطاف، كانت ستحصل على ما أرادته بالضبط.

نظرت لأبي في حيرة من تصرفها.

قال لي: «إنها فقط تريد الأفضل لك، هذا كل شيء»، واسترخى في كرسيه قبل أن يبدأ العمل على القطعة الموكلة إليه والتي كان من المقرر تسليمها بنهاية الشهر.

قلت له: «وأنت أيضًا تريد الخير لي، لكنك لا تغضب هكذا مثلها».

ابتسم وقال لي: «نعم، لكن أنا ووالدتك لدينا أفكار مختلفة حول ما يعد الأفضل لكِ». لقد ورثتُ شكل فمي منه، سواء في الشكل أم في الميل لقول كلمات بريئة قد تُوقعنا في المشاكل. أما الغضب فقد ورثته عن أمي، لكنها كانت أفضل مني في لجم لسانها إذا كان الموضوع مهمًا وجديًا، أما أنا فلا أستطيع فعل ذلك. كالآن...».

قلت له: «أبي، إذا أردتُ الزواج من شخص من الطبقة السادسة أو حتى السابعة، وكان شخصًا أحبه بصدق، فهل ستسمح لي؟».

وضع أبي كوبه جانبًا ثم نظر إليّ بتركيز، حاولت ألا أظهر أي شيء على وجهي. ثم تنهد بعمق، وكان صوته مثقلًا بالحزن.

«أميريكا، إذا أحببتِ شخصًا من الطبقة الثامنة، كنت سأريدك أن تتزوجيه. لكن يجب أن تعلمي أن الحب يمكن أن يذبل تحت ضغط الحياة. فالشخص الذي تظنين أنك تحبينه الآن، قد تبدئين كراهيته عندما لا يستطيع أن يوفر لك ما تحتاجين، وسيكون الأمر أسوأ إذا لم تتمكني من العناية بأطفالك. الحب لا ينجو دائمًا في هذه الظروف».

وضع أبي يده على يدي وجعلني أنظر إلى عينيه، عندها حاولت أن أخفي قلقي.

ثم أكمل: «لكن مهما كان الوضع، أريدك أن تكوني محبوبة، تستحقين أن تجدي من يحبك. وآمل أن تتزوجي عن حب بعيدًا عن مسألة الطبقات».

لم يستطع قول ما أردت معرفته - أنني سأتمكن من الزواج عن حب - لكن جوابه أعطاني بعضًا من الأمل.

«شكرًا يا أبي».

«كوني لطيفة مع والدتك، فهي تحاول فعل الصواب»، ثم قبّل رأسي وانصرف إلى عمله.

تنهدت وعدت إلى ملء الاستمارة، وشعور بالاستياء يغمرني. كان الأمر أشبه بأن عائلتي لا تعترف لي بأي حق في أن أحلم أو أتمنى شيئًا يخصني وحدي. أزعجني ذلك، لكنني كنت أعلم أنني لا أستطيع لومهم في النهاية. فلم يكن بإمكاننا تحمُّل ترف الرغبات، كنا نعيش فقط لتلبية احتياجاتنا الأساسية.

أكملت الاستمارة وأخذتها معي للبحث عن أمي في الفناء الخلفي. كانت تجلس هناك تخيط ثوبًا، بينما كانت ماي تجلس في ظل بيت الشجرة تقوم بواجباتها المدرسية.

كان أسبن يشتكي من المعلمين الصارمين في المدارس العامة. لكنني أشك في أن أيًّا من هؤلاء المعلمين يمكن أن يضاهي أمي في انضباطها وجديتها. لا أدري لماذا كل هذا الانضباط فما زلنا في الصيف!

سألتني ماي وهي تتقافز: «هل ملأتِ الاستمارة حقًّا؟».

«نعم، ملأتها».

«ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟».

قلت لها بوضوح: «أحيانًا، يمكن لأمي أن تكون مقنعة جدًّا»، على الرغم من أن أمي لم تخجل على الإطلاق من الرشاوى.

ثم قلت لأمي: «يمكننا الذهاب إلى مكتب الخدمات بمجرد أن تكوني جاهزة يا أمي».

ابتسمت قليلًا وقالت: «أحسنتِ يا ابنتي، هيا جهزي أغراضك لنذهب. أريد أن أقدم استمارتك بأسرع ما يمكن».

ذهبت لأحضر حذائي وحقيبتي كما طلبت مني، لكنني توقفت فجأة عند باب غرفة جيراد حين رأيته يُحدّق إلى لوحة فارغة ويبدو عليه الإحباط. كنا نحاول باستمرار خيارات مختلفة معه لكنه لم يُبد اهتمامًا لأي منها؛ فبمجرد النظر إلى كرة القدم القديمة في زاوية الغرفة أو الميكروسكوب المستعمل الذي أعطونا إياه مقابل عملنا، ذات مرة، أثناء احتفال رأس العام، كان من الواضح أنه لم يكن مهتمًّا بعالم الفن.

سألته وأنا أدخل الغرفة: «لا تشعر بالإلهام، اليوم، أليس كذلك؟».

نظر إليَّ وهزّ رأسه بالرفض.

«ربما يمكنك تجربة النحت مثل كوتا، لديك يدان ماهرتان وأراهن أنك ستكون جيدًا في ذلك».

«لا أريد نحت الأشياء أو الرسم أو الغناء أو العزف على البيانو، أريد أن ألعب كرة القدم»، وركل بقدمه السجادة القديمة.

«أعرف ذلك، ويمكنك اللعب من أجل المتعة. لكن عليك أن تجد حرفة تتقنها لكسب لقمة العيش، ويمكنك القيام بالأمرين».

تذمر وقال: «لكن لماذا؟».

«أنت تعرف أن السبب هو اتباع القوانين».

رمى جيراد اللوحة على الأرض فتطاير الغبار في ضوء الشمس الذي تسلل عبر نافذته، ثم صاح: «لكن هذا ليس عدلًا! ما ذنبنا إن كان جدنا الأكبر أو من أسَّس هذه العائلة فقيرًا؟».

«معك حق»، بدا الأمر بالفعل غير منطقي أن نُقيِّد اختيارات حياتنا بناءً على قدرة أسلافنا على مساعدة الحكومة، لكن هذه هي الحياة التي وُجدنا فيها. أعتقد أن عليَّ أن أكون ممتنة لأننا نعيش في أمان.

نظرت إليه وقلت: «أعتقد أن ذلك كان السبيل الوحيدة لجعل الأمور تسير في ذلك الوقت».

ظل صامتًا، فتنهدت والتقطت اللوحة وأعدتها إلى مكانها. للأسف هذه هي حياته، ولا يمكنه ببساطة محوها أو إعادة كتابتها.

«ليس عليك أن تتخلى عن هواياتك، يا عزيزي. لكن يجب أن تكون قادرًا على مساعدة أمي وأبي وتنضج وتتزوج، أليس كذلك؟» قلت ذلك وأنا أدغدغه.

مد لسانه وهو يتظاهر بالاشمئزاز ثم ضحكنا معًا.

نادت أمي من الممر: «أميريكا! ما الذي يستغرق كل هذا الوقت؟».

هتفتُ: «أنا آتية!»، ثم التفتُّ إلى جيراد وقلت له: «أعرف أن الأمر صعب. لكن هكذا تسير الأمور، فهمت؟».

لكنني كنت أعلم أن الأمور ليست بخير على الإطلاق.

سرتُ مع أمي إلى المكتب المحلي، أحيانًا كنا نستقل الحافلات العامة إذا كنا ذاهبتين إلى مكان بعيد أو كنا ذاهبتين للعمل. كان من السيئ أن نصل إلى منزل شخص من الطبقة الثانية ونحن متعرقتان. فقد كانوا ينظرون إلينا بدونية، بالفعل.

لكن الطقس كان جميلًا، ولم تكن الرحلة طويلة جدًّا.

لم نكن بالطبع الوحيدتين اللتين تسعيان لتقديم الاستمارة على الفور. وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه، كان الشارع أمام مكتب خدمات مقاطعة كارولينا مزدحمًا بالنساء.

بينما كنت أقف في الطابور، رأيت مجموعة من الفتيات من حيِّنا أمامي في انتظار الدخول. كان الطابور عريضًا تقريبًا بحجم أربعة أشخاص وملتفًّا نصف دائرة حول الحي، حيث اجتمعت كل فتيات المقاطعة للتسجيل. لم أعلم ما إذا كان ينبغي عليَّ الشعور حينها بالخوف أم الارتياح.

نادت إحدى الفتيات: «ماجدة!»، فالتفتُّ أنا وأمي نحو الصوت.

كانت سيليا وكامبر تسيران خلفنا برفقة والدتهما، ويبدو أنها أخذت إجازة لهذا اليوم لتكون معهما. كانتا ترتديان أفضل ما لديهما من ملابس، وبدا مظهرهما أنيق جدًّا. لم تكن الملابس فاخرة، لكنهما دائمًا تبدوان جميلتين في كل ما ترتديانه، تمامًا كما كانت الحال مع أسبن. كانت كامبر وسيليا تشبهان أسبن في شعره الداكن وابتسامته الجميلة.

ابتسمت لي والدة أسبن، فبادلتها الابتسام، كنت أحبها كثيرًا. لم أكن أتحدث معها إلا من حين لآخر، لكنها كانت دائمًا لطيفة معي. وكنت أعلم أن ذلك لم يكن بسبب أنني كنت في وضع أفضل منها؛ فقد رأيتها تقدم الملابس التي لم تعد تناسب أطفالها للعائلات التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة. كانت في بساطة إنسانة طيبة بطبعها.

قالت أمي بترحاب: «مرحبًا، لينا، كامبر، سيليا، كيف حالكن؟».

رددن معًا بابتسامة: «بخير!».

قلت للفتاتين: «تبدوان جميلتين»، ثم رفعتُ خصلة من شعر سيليا ووضعتها خلف كتفها.

ردت كامبر: «أردنا أن نبدو جميلتين من أجل الصور».

سألتها: «أي صور؟».

تحدثت والدة أسبن بصوت خافت: «نعم، كنت أنظف أحد منازل القضاة البارحة، وسمعت أن هذه المسابقة ليست عشوائية، كما يعتقد البعض. لهذا يلتقطون صورًا ويجمعون الكثير من المعلومات عن الفتيات، لماذا سيكون مهمًّا لهم معرفة كم لغة تتحدثين إذا كان الأمر يعتمد فقط على الحظ؟».

بدت تلك الفكرة مضحكة لي، لكنني اعتقدت أن هذه المعلومات قد تفيد لاحقًا.

«يبدو أن المعلومة تسربت؛ انظري حولك، هناك الكثير من الفتيات المبالغات في تأنقهن».

فحصت الطابور وكانت والدة آسبن مُحقة، كان هناك فرق واضح بين من يدرون بتلك المعلومة ومن لا يدرون. خلفنا مباشرة كانت تقف فتاة بملابس العمل، من الواضح أنها من الطبقة السابعة. قد لا يظهر حذاؤها الموحل في الصورة؛ لكن الغبار على سروالها ربما يظهر. وعلى بُعد عدة أمتار كانت هناك فتاة أخرى من الطبقة السابعة ترتدي حزام أدوات العمل حول خصرها، وأفضل ما يمكنني قوله عنها هو أن وجهها كان، على الأقل، نظيفًا.

وعلى النقيض، رأيت أمامي فتاة رفعت شعرها بشكل متقن وأنيق مع خصلات صغيرة تحيط بوجهها. كان من الواضح أن الفتاة التي بجانبها من الطبقة الثانية بالنظر إلى ملابسها، وبدت كأنها تحاول لفت انتباه العالم إلى فتحة صدرها. كان هناك العديد ممن وضعن مكياجًا كثيفًا، لدرجة أنهن بدوْن كالمهرجات. لكن على الأقل كن يحاولن.

كنت أبدو لائقة، لكن لا أقارَن بهن وما فعلنه بأنفسهن. مثلي مثل الطبقة السابعة، لم أكن أعلم أنه يجب عليَّ الاهتمام بهذا الأمر، وشعرت فجأة بالقلق.

لكن لماذا القلق؟ توقفت عن التفكير وأعدت ترتيب أفكاري.

أنا لم أرغب في المشاركة منذ البداية؛ لذلك إذا لم أكن جميلة بما فيه الكفاية، فبالتأكيد كان ذلك في مصلحتي. على الأقل سيكون أختا أسبن أفضل مني، كانتا بطبيعتهما جميلتين، وزادت لمسات المكياج الخفيفة من جمالهما. إذا فازت إحداهما، فسترتفع مكانة عائلة أسبن، وبالتأكيد لا يمكن لأمي أن ترفض زواجي من شخص لأنه ليس أميرًا؛ لذا كان عدم معرفتي بأنهم سيأخذون صورة لنا خيرًا لي.

قالت أمي: «أعتقد أنك على حق، تلك الفتاة تبدو كأنها تستعد لحفلة رأس العام»،
وضحكت، لكنني رأيت أنها تضايقت لعدم علمنا بالأمر، وقد يقلل هذا من فرصي.

وأضافت السيدة ليجر: «لا أفهم لماذا تبالغ بعض الفتيات في مظهرهن. انظري إلى أميريكا، هي جميلة جدًّا دون كل ذلك، أنا سعيدة لأنكِ لست مثلهن ولم تسلكي طريقهن».

«أنا لست مميزة، من يمكنه اختياري بجانب كامبر أو سيليا؟»، وغمزت لهما فابتسمتا، كذلك فعلت أمي، لكن شعرت بأن ابتسامتها كانت مفتعلة. لا بد أنها كانت مترددة بين البقاء في الطابور أم إجباري على العودة إلى المنزل وتغيير ملابسي.

ردت والدة أسبن: «لا تكوني سخيفة! كلما عاد أسبن إلى المنزل بعد مساعدته لأخيك، يقول دائمًا إن المغنين ورثوا نصيبهم الكامل من الموهبة والجمال».

قالت أمي: «هل يقول ذلك حقًّا؟ يا له من ولد طيب!».

«نعم، وما من أمٍّ يمكن أن تطلب ابنًا أفضل منه. فهو دائمًا ما يساعدنا، ويبذل في سبيل راحتنا كل جهده».

تحدثت والدتي وهي تكاد تكون منتبهة للمحادثة لمواصلتها مراقبة مَن سيتقدمن: «سيجعل إحدى الفتيات سعيدة جدًّا يومًا ما».

نظرت السيدة ليجر حولها بسرعة وقالت: «بينك وبيني، أعتقد أن هناك بالفعل فتاة في حياته».

تجمدتُ في مكاني. لم أكن أدري إن كان عليَّ التعليق أم لا، خوفًا من أن أي رد قد يكشفني.

سألتْ والدتي بفضول: «كيف تبدو؟».

حتى وهي تخطط لتزويجي من شخص غريب، وجدت الوقت للنميمة.

ابتسمت السيدة ليجر وأجابت: «لست متأكدة! لم ألتقِ بها شخصيًّا. لكنني أظن أنه يواعد فتاة، فهو يبدو أكثر سعادة في الآونة الأخيرة».

في الآونة الأخيرة؟ تساءلتُ في نفسي. لقد ظللنا نلتقي لما يقرب من عامين، لماذا فقط بدأ يشعر بذلك مؤخرًا؟

علقت سيليا: «إنه يدندن».

ووافقتها كامبر: «نعم، بل يغني أيضًا».

تساءلت باندهاش: «حقًّا؟».

رددتا معًا: «نعم حقًّا».

تدخلت أمي: «إذن، هو بالتأكيد يواعد إحداهن! أتساءل مَن هي».

«لا فكرة لديَّ، لكنني أراهن أنها فتاة رائعة. في الأشهر الأخيرة، كان يعمل بجد أكثر من المعتاد ويدخر المال. أعتقد أنه يحاول توفير ما يكفي للزواج».

لم أتمالك نفسي وأطلقت شهقة صغيرة عند سماع الخبر. ولحسن حظي ظن الجميع أن ذلك كان مجرد تعبير عن الحماس العام للخبر.

تابعت السيدة ليجر قائلة: «وهذا وحده يبعث في قلبي سعادة غامرة، حتى لو لم يكن مستعدًّا بعد للكشف عن هويتها لنا، إلا إنني أحبها بالفعل، فهي السبب في سعادة أسبن ورضاه. لقد مررنا بأوقات عصيبة منذ أن فقدنا إيليك، وتحمّل أسبن الكثير من المسئوليات. وأي فتاة قادرة على جعل أسبن سعيدًا بهذا الشكل أَعدُّها بالفعل ابنة لي».

قالت أمي: «ستكون فتاة محظوظة! أسبن فتى رائع».

لم أستطع أن أصدق ذلك. هنا كانت عائلته تحاول تدبير أمورها، بينما هو يدخر المال من أجلي! لم أكن أعلم ما إذا كان عليَّ توبيخه أم تقبيله. لم أجد الكلمات المناسبة وعجزت عن التعبير عما شعرت به في تلك اللحظة.

كان حقًّا ينوي طلب يدي!

كان كل تفكيري منصبًّا على حبيبي أسبن. جاء دوري في الصف ووقَّعت عند النافذة لتأكيد صحة المعلومات في استمارتي، ثم التقطوا لي صورة.

جلست على الكرسي وحرّكت شعري بضع مرات لإعطائه بعض الحيوية، ثم استدرت لأواجه المصور.

لا أعتقد أن أي فتاة في إيليا ابتسمت بسعادة بقدر ما ابتسمت في تلك اللحظة.

الفصل 4

كان اليوم الجمعة؛ لذا كان من المقرر عرض النشرة الإخبارية في الساعة الثامنة. لم تكن الدولة تجبرنا على مشاهدتها لكن من الأفضل لنا عدم تفويتها. حتى الطبقة الثامنة المكونة من المشردين كانوا يجدون مكانًا، سواء أكان متجرًا أم دار عبادة، ليتابعوا النشرة. كانت مشاهدة النشرة ضرورية مع اقتراب المسابقة، إذ أراد الجميع أن يعرفوا ما سيحدث.

سألت ماي وهي تدس البطاطس المهروسة في فمها: «هل تظنين أنهم سيعلنون الفائزات، الليلة؟».

«لا يا عزيزتي، لا يزال أمام كل من يحق لهن التقديم تسعة أيام لتقديم طلباتهن، من المحتمل أن ننتظر أسبوعين آخرين قبل أن نعرف»، وكانت نبرة صوت أمي أكثر هدوءًا مما كانت عليه منذ سنوات. كانت في حالة من الاسترخاء التام؛ سعيدة لأنها حصلت على ما تريده.

تذمرت ماي: «لا أستطيع تحمُّل الانتظار كل هذا».

لم تستطع تحمل الانتظار؟ لكن اسمي هو الذي كان في القرعة!

فاجأتني رغبة والدي في الانضمام إلى هذه المحادثة عندما قال: «أخبرتني والدتك بأنك انتظرتِ طويلًا في الصف».

قلت له: «نعم، لم أتوقع وجود هذا الكم من الفتيات. لا أدري لماذا يمنحون الناس تسعة أيام إضافية؛ أقسم بأن كل فتاة في المقاطعة تقدمت بالفعل».

ضحك والدي وسأل: «هل استمتعتِ بتقييم من كنَّ هناك للمشاركة؟».

أجبت بصراحة: «لم أهتم بذلك، تركت هذا لأمي».

أومأت برأسها موافقة وأوضحت: «نعم، قمت بذلك فلم أستطع منع نفسي. لكن أعتقد أن أميريكا بدت جميلة ومتألقة بطريقة طبيعية. أنتِ جميلة جدًّا يا عزيزتي، وإذا كانوا فعلًا يبحثون بعناية بدلًا من الاختيار عشوائيًّا، ففرصك أفضل مما ظننت».

تظاهرت بالتردد وقلت: «لا أعلم، كانت هناك تلك الفتاة التي وضعت أحمر شفاه لدرجة أنها بدت كأنها تنزف، ربما تُعجب الأمير هذه الأشياء».

ضحك الجميع، وواصلت أنا وأمي سرد التعليقات حول الأزياء التي لفتت انتباهنا. كانت ماي تستمع بتركيز، بينما جلس جيراد مبتسمًا وهو يلتهم لقيمات العشاء. في بعض الأحيان، كان من السهل أن ننسى التوتر والمشاكل اللذين يملآن أجواء المنزل، خصوصًا منذ أن أصبح جيراد يعي ما يدور حوله في العالم.

عند الساعة الثامنة، تجمعنا جميعًا في غرفة المعيشة. جلس والدي على كرسيه، وجلست ماي بجانب أمي على الأريكة، وجيراد في حضنها، بينما جلست أنا على الأرض ممددة. قمنا بتشغيل التلفاز على القناة العامة. كانت القناة الوحيدة التي لا تحتاج إلى اشتراك؛ لذا كان بإمكان أي شخص، حتى من الطبقة الثامنة، مشاهدتها إذا كان لديه تلفاز.

بدأوا عزف النشيد الوطني، طالما أحببت نشيدنا الوطني والاستماع إليه. قد يبدو هذا تافهًا، لكنه كان من أغانيَّ المفضلة التي أحب غناءها.

ثم ظهرت على الشاشة صورة للعائلة الملكية. كان الملك كلاركسون يقف أمام المنصة، ومساعدوه، الذين كانوا يقدمون تحديثات حول البنية التحتية وبعض القضايا البيئية، يجلسون عند أحد جانبي المنصة، وكان يتم تصويرهم. يبدو أنهم سيعلنون الكثير من الأنباء، الليلة.

وعلى يسار الشاشة، جلست الملكة والأمير ماكسون على مجموعة من المقاعد التي تشبه العروش الملكية، مرتدين ملابسهم الأنيقة والراقية.

قالت ماي: «ها هو خطيبك يا أميريكا»، فضحك الجميع.

تأملت ماكسون بتركيز، كان وسيمًا بعض الشيء، رغم أن وسامته لم تكن تضاهي وسامة أسبن على الإطلاق. كان شعره بلون العسل، وعيناه باللون البني. وكأنه يجسد سحر الصيف بتفاصيله، وهو ما قد يكون جذابًا لبعض الناس. كان شعره مرتبًا ومقصوصًا بدقة، والبدلة الرمادية التي يرتديها تناسبه تمامًا.

لكنه كان يجلس على مقعده بطريقة متصلبة جدًّ، وبدا التوتر على ملامحه. كان شعره الأنيق مصففًا بدقة بالغة، وبدلته كانت مثالية بشكل مُبالغ فيه. وهيئته كلها أشبه بلوحة فنية جامدة أكثر من كونه شخصًا حقيقيًا ينبض بالحياة. شعرت بالأسى تجاه الفتاة التي سينتهي بها المطاف معه، فعلى الأرجح ستواجه حياة مملة بشكل لا يُطاق.

ركزت على والدته التي بدت هادئة. كانت تجلس أيضًا بوقار، لكن ليس بطريقة متصلبة مثله. أدركت أنها لم تنشأ في القصر، على عكس الملك والأمير ماكسون، بل كانت فتاة عادية من إيليا وتم اختيارها وتكريمها، ربما كانت مثلي في يوم من الأيام.

بدأ الملك يتحدث، لكن كان لديَّ فضول عنها، فسألت أمي بصوت خافت كي لا أشتت انتباه أبي.

«أمي؟».

«نعم؟».

«تلك الملكة... كيف كانت من قبل؟ أعني ماذا كانت طبقتها الاجتماعية؟».

ابتسمت أمي لاهتمامي وقالت: «كانت من الطبقة الرابعة».

كانت من الطبقة الرابعة، هذا يعني أنها قضت عمرها قبل الزواج في العمل بمصنع أو متجر، أو ربما في مزرعة. تساءلت عن حياتها، هل كانت لديها عائلة كبيرة؟ ربما لم تكن مضطرة للقلق بشأن توفير الطعام أثناء نشأتها. هل غارت صديقاتها منها عندما تم اختيارها؟ إذا كان لديَّ صديقات مقربات حقًّا، فهل كن سيشعرن بالغيرة مني؟

كان التفكير في ذلك سخيفًا، لن يختاروني.

وبدلًا من التفكير في الأمر، أخذت أركز على كلمات الملك.

«حدث هجوم آخر في آسيا الجديدة هز قواعدنا، هذا الصباح، وبسببه قلَّ عدد قواتنا، إلا أن هناك أملًا في زيادة عدد الجنود وتحسن الروح المعنوية من خلال التجنيد التالي، الشهر المقبل».

كنت أكره الحرب، للأسف كنا دولة حديثة التأسيس تحتاج إلى حماية نفسها من الجميع. وقد لا نتمكن من الصمود أمام غزو آخر.

بعد أن قدم الملك تحديثًا عن الهجوم الأخير على معسكر متمردين، قدم فريق المالية تحديثًا عن حالة الديون، وأعلن رئيس لجنة البنية التحتية أنهم خلال عامين يخططون لبدء العمل على إعادة بناء عدة طرق سريعة، بعضها لم يُمس منذ الحرب العالمية الرابعة. وأخيرًا، تقدم مسئول الاحتفالات إلى المنصة ليتحدث.

«مساء الخير، سيداتي وسادتي سكان إيليا. كما تعلمون جميعًا، تم توزيع استمارات المشاركة في مسابقة الاختيار مؤخرًا عبر البريد. لقد تلقينا أولى إحصائيات الطلبات المقدَّمة، ويسرني قول إن آلاف النساء الجميلات في إيليا قد سجّلن أسماءهن في قرعة المسابقة!».

رأيت بالخلف ماكسون يتحرك قليلًا في مقعده، هل كان يتعرق؟

«بالنيابة عن العائلة الملكية، أود أن أشكركم على حماستكم ووطنيتكم. نأمل أن نحتفل في العام الجديد بخطوبة أميرنا المحبوب ماكسون إلى ابنة إيليا الساحرة والموهوبة والذكية التي سيقع عليها الاختيار».

صفق القلة من المستشارين الذين كانوا موجودين هناك، وابتسم ماكسون لكنه بدا غير مرتاح. وعندما توقف التصفيق، استأنف مسئول الاحتفالات الحديث.

«بالطبع، سنقدم الكثير من البرامج المخصصة للتعرف على الشابات المشاركات في مسابقة الاختيار، ناهيك بالعروض الخاصة حول حياتهن في القصر. ولدينا شخص واحد فقط هو الأكفأ لإرشادنا خلال هذه الفترة المثيرة.. أقدم لكم السيد جافريل فاداي!».

بدأ التصفيق مجددًا، لكن هذه المرة كان من أمي وماي. كان جافريل فاداي أسطورة، لقد أمضى نحو عشرين عامًا في تقديم التعليقات المباشرة على عروض احتفال الشكر ورأس العام وأي احتفالات تُقام في القصر. لم يكن هناك من ينفرد بمقابلات مع أفراد العائلة الملكية أو أصدقائهم المقربين وعائلاتهم سواه.

علقت أمي بسرور: «كم أنتِ سعيدة الحظ يا أميريكا، يمكنكِ أن تقابلي جافريل!».

وأعلنت ماي وهي تلوح بذراعيها الصغيرتين: «ها هو آت».

ظهر جافريل وهو يتقدم بخطى واثقة على خشبة المسرح مرتديًا بدلته الزرقاء الأنيقة. بدا في أواخر الأربعينيات من عمره، ودائمًا ما كان يطل بمظهر أنيق. بينما كان يسير عبر المسرح، انعكس الضوء على دبوس ذهبي صغير في طية سترته، ليشع بريقًا. كان يمشي كأنه يسمع لحنًا عذبًا على البيانو.

هتف متحمسًا: «مساء الخير يا مواطني إيليا! أعترف بأنني فخور جدًا بكوني جزءًا من مسابقة الاختيار. يا لحظِّي، سألتقي بخمس وثلاثين امرأة رائعة الجمال! مَن الأحمق الذي لا يرغب في وظيفتي؟»، وغمز لنا من خلال الكاميرا قبل أن يتابع: «لكن قبل أن أتعرف على

هؤلاء السيدات الجميلات، والتي ستكون واحدة منهن أميرتنا المقبلة، يسعدني أن أحظى بفرصة الحديث مع نجم الساعة، أميرنا ماكسون».

وهنا قطع ماكسون المسرح المغطى بالسجاد نحو الكرسي المخصص له. عدّل ربطة عنقه وسوىّ بدلته، وكأنه بحاجة إلى المزيد من الأناقة، صافح جافريل ثم جلس أمامه وأمسك ميكروفونًا. كان الكرسي يتيح لماكسون رفع قدميه على دعامة الكرسي السفلية، ما جعله يبدو أكثر ارتياحًا واسترخاء.

«سعيد برؤيتك مجددًا يا سمو الأمير».

«شكرًا لك يا جافريل، الشرف لي». كان صوت ماكسون رزينًا مثل بقية تصرفاته، حيث كان يشع بهالة من الرسمية والوقار، وشعرت بالاستياء من مجرد التفكير في الوجود بالغرفة نفسها معه.

«في أقل من شهر، ستنتقل خمس وثلاثون امرأة إلى منزلك. كيف تشعر حيال ذلك؟».

ضحك ماكسون وأجاب: «بصراحة، هذا يثير بعض التوتر. أتخيل أن وجود هذا العدد الكبير من الضيوف سيجلب معه الكثير من الضوضاء، لكنني متحمس لذلك، على أي حال».

«هل طلبت من والدك العزيز بعض النصائح حول كيفية فوزه بزوجته الجميلة؟».

توجهت نظرات ماكسون وجافريل نحو الملك والملكة، وتحركت الكاميرا لتظهرهما يبتسمان ويمسكان أيدي بعضهما. بدا المشهد حقيقيًا، لكن كيف يمكن أن نتأكد من ذلك حقًا؟

«في الحقيقة، لم أفعل. كما تعلم، الوضع في آسيا الجديدة يتفاقم، وكنت مشغولًا بالعمل على الدفاعات العسكرية. لم يكن هناك الكثير من الوقت للحديث عن الفتيات في ظل هذه الظروف».

ضحكت أمي وماي. كان الأمر مضحكًا نوعًا ما.

«لم يتبقَّ لدينا الكثير من الوقت؛ لذا أود أن أطرح سؤالًا أخيرًا. كيف تتخيل الفتاة المثالية بالنسبة لك؟».

بدا ماكسون متفاجئًا. كان من الصعب التمييز، لكنني أظن أن وجهه احمرَّ خجلًا.

ابتسم وأجاب: «بصراحة، لا أعلم. أعتقد أن هذه ميزة مسابقة الاختيار. فلن تتواجد امرأتان متطابقتان تمامًا، لا من حيث الشكل ولا التفضيلات أو الطباع. آملُ أن أكتشف ما أبحث عنه وأجده خلال التعرف عليهن والتحدث معهن».

«شكرًا لك سمو الأمير، كانت كلمات حكيمة منك. وأعتقد أنني أتحدث باسم إيليا كلها حين أقول: نتمنى لك حظًّا سعيدًا». ثم مد جافريل يده لمصافحة أخيرة.

ابتسم ماكسون: «شكرًا لك، سيدي»؛ لكن الكاميرا لم تقطع المشهد بسرعة كافية، وتمكنت من رؤيته وهو ينظر نحو والديه، متسائلًا إن كان قد قال الشيء المناسب. ثم انتقلت اللقطة إلى وجه جافريل، ما منعَنا من رؤية رد فعلهما.

«أخشى أن يكون وقتنا نفد لهذا المساء، شكرًا لمتابعتكم النشرة ونراكم الأسبوع المقبل».

عزفت الموسيقى الختامية وبدأت أسماء المشاركين الظهور على الشاشة.

هتفت ماي: «أميريكا وماكسون الشريكان المثاليان»، فأمسكت وسادة ورميتها نحوها، لكنني لم أستطع منع نفسي من الضحك على الفكرة. كان ماكسون متيبسًا وهادئًا، وكان من الصعب تخيل أن تشعر امرأة بالسعادة مع شخص كهذا.

قضيت بقية الليل أحاول تجاهل مضايقات ماي، وأخيرًا ذهبت إلى غرفتي لأكون وحدي. حتى فكرة الوجود بالقرب من ماكسون شرايف جعلتني أشعر بعدم ارتياح. واستمرت مزحات ماي تدور في رأسي طوال الليل وصعبت النوم عليَّ.

استيقظت على صوت غريب لم أعلم مصدره، لكن بمجرد أن أصبحت واعية له، حاولت مسح الغرفة بعينيَّ في هدوء تام، فقط في حال كان هناك شخص ما.

دق دق دق.

استدرت نحو النافذة ببطء فوجدت أسبن يبتسم لي. نزلت من فوق السرير وخطوت بخفة على أطراف أصابعي نحو الباب، أغلقته بهدوء وأحكمت قفله، ثم عدت إلى السرير وفتحت نافذتي ببطء شديد.

شعرت بدفء مفاجئ يغمرني، ولم تكن له علاقة بحرارة الصيف، بل بشعور آخر تمامًا، حينما تسلل أسبن عبر النافذة بخفة ودخل.

همست بابتسامة خفية وسط الظلام: «ماذا تفعل هنا؟».

اقترب مني، وهمس بجانب وجنتي وهو يحتضنني بحنان: «كان عليَّ أن أراكِ». ثم جذبني برفق حتى استلقينا جنبًا إلى جنب.

«لديَّ الكثير لأقوله لك يا أسبن».

«صمتًا، لا تقولي شيئًا. إذا سمعَنا أحد فالعواقب ستكون وخيمة، دعيني فقط أنظر إليكِ».

استمعت إليه وسكتُّ، ظللت ثابتة في مكاني بينما ينظر أسبن في عينيَّ بعمق. بعد لحظات طويلة من السكون، اقترب مني ببطء، وبدأ يداعب بأنفه عنقي وشعري، ثم انسابت أصابعه على طول منحنى خصري في حركات هادئة. شعرت بأنفاسه تزداد ثقلًا، وكان ذلك يسحرني ويجذبني أكثر إليه.

بدأ أسبن يطبع قُبلاته على عنقي، استنشقت الهواء بعمق، ولم أستطع كبح مشاعري. تسللت شفتاه من عنقي إلى ذقني، قبل أن تستقر على فمي لتوقف شهقاتي.

كنا نسرق لحظة من الزمن.

تراجعت شفتا أسبن ببطء، وأنا ما زلت أرغب في المزيد، لكن كان علينا أن نكون حذرين. إذا تجاوزنا الحد قليلًا وظهرت آثار لا يمكن إنكارها، فسنُلقى خلف قضبان السجن.

كان هذا سببًا آخر لزواج الشباب مبكرًا، فكل لحظة انتظار تبدو كعذاب.

همس لي: «يجب أن أذهب».

اقتربت منه أكثر وهمست بالقرب من أذنيه: «لكنني أريدكَ أن تبقى قليلًا»، كنت أستطيع أن أشم عبير صابونه مرة أخرى.

«أميريكا سينجر، يومًا ما سنتزوج وستنامين في حضني كل ليلة، وستستيقظين على قبلاتي كل صباح… وما هو أكثر من ذلك»، عضضت شفتيَّ عند التفكير في ذلك. أردف: «لكن الآن يجب أن أذهب، نحن نخاطر أكثر من اللازم».

تنهدت وابتعدت عنه قليلًا، كان على حق.

«أحبكِ يا أميريكا».

«وأنا أحبك يا أسبن».

كانت هذه اللحظات السرية بيننا كافية لتمدني بالقوة التي أحتاج إليها لمواجهة كل ما ينتظرني: خيبة الأمل التي سترتسم على وجه أمي عندما لا يتم اختياري، ساعات العمل الطويلة التي سأقضيها لمساعدة أسبن على الادخار، المواجهة المحتومة والثورة التي ستعقبها عندما يطلب يدي من والدي، وكل التحديات التي قد تعترض طريقنا بعد الزواج.

لكن لم يهمني أي شيء من ذلك، ما دام أن أسبن بجانبي، فسأكون قادرة على مواجهة أي شيء.

الفصل 5

بعد مرور أسبوع، سبقتُ أسبن إلى بيت الشجرة.

أخذت أنقل الأشياء التي أردتها هناك في هدوء، كان الأمر صعبًا لكنني تمكنت في النهاية من نقل كل شيء. كنت أعيد ترتيب الأطباق للمرة الأخيرة، عندما سمعت صوت أحدهم يتسلق الشجرة.

«بِخ!»، اندهش أسبن وضحك.

أشعلت الشمعة الجديدة التي اشتريتها خصوصًا لنا، وعبر أسبن بيت الشجرة ليعانقني. بعد لحظات، بدأت أحكي له عما حدث خلال الأسبوع.

تحدثت بحماس بشأن الأخبار: «لم أخبرك قط عما حدث بشأن يوم التسجيل».

«كيف سارت الأمور؟ قالت أمي إن المكان كان مكتظًا».

«كان الأمر جنونيًا يا أسبن، كان عليك رؤية ما ارتدته الفتيات! وأنا متأكدة من معرفتك بأن الأمر ليس قرعة، كما يزعمون. كنت مُحقة طيلة الوقت، ثمة الكثير من الفتيات المثيرات للاهتمام في كارولينا أكثر مني؛ لذا فإن هذا الأمر برمته مجرد وهم كبير».

«على أي حال، أشكرك على القيام بذلك، هذا يعني لي الكثير».

ظل ينظر إليّ بتمعن كالعادة، ولم يكلف نفسه حتى عناء تأمل ما فعلته ببيت الشجرة.

«حسنًا، أفضل ما في ذلك هو أن أمي لم تكن تعلم أنني وعدتك بالفعل؛ لذا رشَتني كي أشارك»، وحاولت إخفاء ابتسامتي، لكن سعادتي غلبتني. في هذا الأسبوع كانت العائلات تقيم الحفلات لبناتهن، على يقين من أنه سيتم اختيار إحداهن في النهاية، وقد غنيت في

ما لا يقل عن سبع احتفالات، وكنت أحيانًا أضطر للغناء مرتين في الليلة لأضمن راتبًا خاصًا بي. وقد أوفت أمي بوعدها، وكان هناك شعور لا يوصف بالحرية عندما امتلكت مالي لأول مرة.

سأل أسبن وعلى ملامح وجهه الإثارة: «بم رشَتكِ؟».

ضحكت وقلت: «بالمال بالطبع، انظر!»، وأشرت إلى المائدة أمامنا، «لقد صنعتُ لك وليمة!».

ابتعدت قليلًا لأحضر الأطباق، كنت قد أعددت الكثير من الطعام للغداء عمدًا لأترك له بعضًا منه، واستغرقت أيامًا في إعداد المخبوزات والحلويات. كنت أنا وماي نعشق الحلويات لدرجة الإدمان، وكانت ماي مبتهجة لأنني اخترت أن أنفق أموالي بهذه الطريقة.

«ما كل هذا؟».

ابتسمت وقلت: «كل هذا الطعام صنعته بنفسي من أجلك»، كانت ابتسامتي تفيض بالفخر على الجهد الذي بذلته، فأخيرًا سيتمكن أسبن في هذه الليلة من أن يأكل حتى يشبع. لكنني رأيت ابتسامته تتلاشى شيئًا فشيئًا مع كل طبق يلاحظه.

«أسبن، هل يضايقك شيء؟».

هز رأسه ونظر بعيدًا عن الحلويات قائًلا: «ما يحدث هنا يضايقني».

«ماذا تقصد؟».

«أنا من يُفترض أن يوفر لكِ هذه الأشياء يا أميريكا. أشعر بالإهانة أنني أتيت إلى هنا وأجدك تفعلين كل هذا من أجلي».

«لكنني أقدم لك الطعام طوال الوقت».

«تحضرين بقايا طعامك، هل تظنين أنني لا أستطيع أن أميز الفارق؟ لا أشعر بالسوء حينما تأتيني بطعام لا تريدينه، لكن هذا... أن تفعلي هذا من أجلي، وأنتِ تعلمين أنني مَن يفترض أن يوفر لكِ احتياجاتك».

«أنت تعطيني الكثير، طوال الوقت، يا أسبن وتوفر لي ما أحتاج إلية، ما زلت أحتفظ بتلك القروش التي أعطيتني إيا...».

«قروش؟ هل تظنين أن ذكر ذلك الآن فكرة جيدة؟ ألا تعلمين كم أكره ذلك؟ أحب سماعك تغنين، لكنني لا أستطيع دفع أجرك كما يفعل الجميع».

«يجب ألا تدفع لي شيئًا أبدًا! إنها هدية، وكل ما أملكه لك، خذه دون تردد!». كنت أعلم أن علينا أن نتحلى بالحذر وألا نرفع صوتينا، لكن في تلك اللحظة، لم يعد لذلك أهمية.

«لستُ بحاجة إلى إحسان يا أميريكا. أنا رجل، ومن واجبي أن أكون العائل والمُنفق».

غاصت يدا أسبن في شعره، ورأيت أنفاسه تتسارع، كعادته عندما يحاول أن يلملم أفكاره وسط الجدال. لكنه، هذه المرة، لم يكن ذلك الفتى القوي الذي أعرفه، فقد تبدلت نظراته، وانساب الهدوء من وجهه ببطء، ليحل محله الارتباك الذي أخذ ينمو مع كل لحظة. تلاشت نيران غضبي سريعًا، فكل ما رأيته أمامي كان شخصًا ضائعًا مرتبكًا. تسلل إليَّ شعور بالذنب، فلم أكن أرغب في أن أجرحه أو أهينه، كل ما أردته هو أن أغمره بحبي وأقوم بتدليله.

همست له: «أنا أحبك».

هز رأسه وقال: «وأنا أيضًا يا أميريكا، أحبك».

لكنه لم ينظر إليَّ. أخذت بعض الخبز الذي صنعته ووضعته في يده، كان الجوع يقتله ليقاوم أخذ لقمة. «لم أقصد أن أؤذيك أو أجرحك، ظننت أن ما فعلته سيسعدك».

«لا تسيئي فهمي يا مير، بل أحببت ما فعلتِه... لا أصدق أنكِ بذلتِ كل هذا الجهد من أجلي. أنتِ فقط لا تعلمين كم يؤلمني عدم تمكني من فعل الشيء نفسه من أجلك. إنكِ تستحقين أفضل مما أستطيع أن أقدمه».

ولحسن الحظ، واصل الأكل بينما كان يتحدث.

«عليك أن تتوقف عن النظر إليَّ بهذه الطريقة. عندما نكون معًا، تختفي الفروق بين الطبقات. لا فرق بين الطبقة الخامسة أو السادسة، نحن فقط... أسبن وأميريكا. ولا أريد أي شيء في هذا العالم غيرك».

عندها نظر إليَّ وقال: «لكنني لا أستطيع التوقف عن التفكير بهذه الطريقة. هكذا نشأت، منذ كنت طفلًا كانوا يقولون لنا ‹أفراد الطبقة السادسة وُلدوا ليخدموا› و ‹أفراد الطبقة السادسة يجب ألا يلفتوا الأنظار إليهم›. لقد تعلمت طوال حياتي ألّا ألفت الأنظار إليَّ»، ثم أمسك يدي بقوة وأردف: «إذا أصبحنا معًا يا مير، فستصبحين مهمشة مثلي. وأنا لا أريد لكِ مثل هذا المصير».

«لكننا تحدثنا عن هذا يا أسبن. أعلم أن الأمور ستتغير إذا أصبحنا معًا وأنا مستعدة لمواجهة كل هذا. لا أعرف كيف أعبِّر لك عن مدى استعدادي لأكون معك أكثر من ذلك»، ثم وضعت يدي على قلبه وقلت له: «في اللحظة التي تقرر فيها أن تطلب يدي، سأكون جاهزة بكل ما فيَّ لأقول نعم».

كان من المرعب أن أضع نفسي في هذا الموقف، أن أفتح قلبي تمامًا وأكشف عن مشاعري العميقة. لكنه كان يعرف تمامًا ما أعنيه، وإذا كان جعل نفسي ضعيفة يعني أنه سيجد الشجاعة، فسأتحمل ذلك. كانت عيناه تغوصان في عينيَّ وكأنه يبحث عن شك أو تردد، لكنني كنت أعلم أنه يهدر وقته، فهو اليقين الوحيد في حياتي.

«لا».

«ماذا؟» .

قالها مجددًا: «لا»، وجاءت الكلمة كالصفعة على وجهي.

«ما قصدك يا أسبن؟».

قال: «لا أعرف كيف خدعت نفسي لأعتقد يومًا أن علاقتنا ستنجح»، مرر أصابعه عبر خصلات شعره مرة أخرى، وكأنه يحاول التخلص من كل الأفكار التي كانت تدور حولي في رأسه.

«لكنّك قلت للتو إنك تحبني».

«أحبكِ يا مير، لهذا السبب لا أقدر على جعلك مثلي. لا أحتمل فكرة أن تتضوري جوعًا أو تعيشي ألم البرد والخوف يومًا من الأيام، لا أستطيع أن أجعلكِ من الطبقة السادسة».

شعرت بالدموع تتساقط على وجنتيَّ. هو لم يقصد قول هذا، أليس كذلك؟ لا يمكن أن يكون ما قاله صحيحًا. لكن قبل أن أتمكن من إقناعه بتغيير تفكيره وكلامه هذا، كان قد بدأ التحرك ليغادر بيت الشجرة.

«إلى أين... إلى أين أنت ذاهب؟».

«أنا راحل، سأذهب إلى المنزل. آسف لأنني فعلت بكِ هذا يا أميريكا، لقد انتهت علاقتنا الآن».

«ماذا تقول؟».

«انتهت علاقتنا ولن أعود بعد الآن، ليس وأنا حالي هكذا».

بدأت البكاء بحرارة وأنا أستجديه: «أسبن، أرجوك، دعنا نتحدث في هذا الأمر. أنت فقط غاضب الآن».

«أنا أكثر غضبًا مما تظنين، لكن ليس منكِ. أنا فقط لا أستطيع الاستمرار في هذه العلاقة يا مير، لا أستطيع».

«أرجوك يا أسبن...».

شدني أسبن إليه بقوة وعانقني بكل المشاعر التي عجزت الكلمات عن التعبير عنها، ثم اختفى في ظلام الليل. وبسبب قوانين هذا البلد وكل القواعد التي أجبرتنا على الاختباء، لم أستطع حتى أن أناديه. لم أتمكن من أن أخبره بأنني أحبه مرة أخرى.

مع مرور الأيام، أدركت أن عائلتي لاحظت أن شيئًا ما ليس على ما يرام، لكنني لا بد أنهم افترضوا أنني متوترة بشأن المسابقة. رغبت في البكاء ألف مرة، ولكنني حبست دموعي. ظللت أكافح في صمت حتى يوم الجمعة؛ على أمل أن يعود كل شيء إلى طبيعته بعد بث النشرة وإعلان الأسماء.

كنت أرسم المشهد في مخيلتي؛ كيف سيعلنون اسم سيليا أو كامبر، وسيخيب أمل أمي، لكن ليس بقدر ما كانت ستشعر به لو تم اختيار فتاة أخرى غريبة. وسيغمر الحماس قلب والدي وماي؛ فلقد كانت عائلتانا على علاقة طيبة. كنت أعلم أن أسبن يفكر فيَّ مثلما أفكر فيه، وتوقعت أن يأتي إليَّ هنا قبل انتهاء النشرة، يتوسل المغفرة ويطلب يدي. قد يكون الأمر مبكرًا بعض الشيء إذ لم يكن هناك شيء مضمون لأختيه بعد، لكنه قد يستفيد من حماسة اليوم ليأتي. ربما يحل ذلك الكثير من المشاكل.

كان كل شيء يسير بشكل مثالي في مخيلتي، والجميع سعداء...

بقي عشر دقائق فقط على بدء النشرة، وقد جلسنا جميعًا في أماكننا مبكرًا.

لم أستطع تصور أننا كنا وحدنا الذين نشعر بشدة الترقب، فجميع سكان إيليا كانوا أيضًا حريصين على عدم تفويت أي لحظة من هذا الإعلان.

كانت أمي تُعدّ الفشار وكأننا سنشاهد فيلمًا، وقالت: «أتذكر عندما تم اختيار الملكة أمبرلي! كنت أعلم من البداية أنها ستنجح».

سألها جيراد: «هل شاركتِ في القرعة يا أمي؟».

«لا يا عزيزي، كنت أصغر بسنتين من الحد الأدنى للسن المطلوبة. لكن لحسن حظي، تزوجت والدك بدلًا من ذلك»، ثم ابتسمت وغمزت له.

يا إلهي، لا بد أنها كانت في مزاج رائع. لا أتذكر آخر مرة كانت فيها بهذا القدر من العاطفة تجاه والدي.

تنهدت ماي وقالت: «الملكة أمبرلي بجمالها وذكائها هي أفضل ملكة على الإطلاق. كلما رأيتها على التلفاز تمنيت أن أكون مثلها تمامًا».

علقت على ذلك بهدوء: «إنها ملكة طيبة».

وأخيرًا، دقت الساعة الثامنة، وارتفع الشعار الوطني على الشاشة مع نغمة نشيدنا، ما جعلني أرتجف من التوتر، كنت أتوق لأن ينتهي الأمر بسرعة.

ظهر الملك على الشاشة وقدم تحديثًا موجزًا عن الحرب، وتوالت الأنباء الأخرى باختصار، بينما بدا أن الجميع هناك كانوا في مزاج جيد. أعتقد أن الأمر مثير لهم أيضًا.

ثم صعد مسئول الاحتفالات إلى المنصة وقدم جافريل، الذي سار مباشرة نحو العائلة الملكية وقدم التحية للملك: «مساء الخير، جلالتك».

رد الملك بسعادة غامرة: «يسرني دومًا رؤيتك يا جافريل».

«هل تتطلع إلى الإعلان؟» .

«نعم، كنت في الغرفة أمس عندما تم سحب بعض الأسماء؛ جميعهن فتيات رائعات».

صاح جافريل متحمسًا: «إذن تعرف من هن بالفعل؟».

«أعرف فقط القليل منهن».

أدار جافريل رأسه لينظر إلى ماكسون وسأله: «هل شارك معك أيًّا من هذه المعلومات يا سيدي؟».

أجاب ماكسون بينما بدا عليه أنه يحاول إخفاء توتره: «أبدًا، سأراهن مثل الجميع عندما يحين الوقت».

لاحظت أن كفيّ يتفصدان عرقًا من التوتر.

توجه جافريل بالحديث إلى الملكة: «هل لديكِ أي نصيحة للمختارات، جلالتك؟». عندما ابتسمت ابتسامتها الهادئة، أخذت أفكر في جمالها، أنا لم أعرف كيف بدت الفتيات الأخريات مقارنة بها عندما كانت في مسابقة الاختيار، لكن لم أستطع تخيل أي فتاة في رقة الملكة وجمالها.

قالت الملكة: «استمتعوا بآخر ليلة لكُنَّ كفتيات عاديات. فغدًا، بغضِّ النظر عن كل شيء، ستتغير حياتكن إلى الأبد. وإليكم نصيحة قديمة لكنها دومًا مُجدية: كوني نفسك».

«كلمات حكيمة يا ملكتي. والآن، دعونا نكشف عن الفتيات الخمس والثلاثين اللواتي تم اختيارهن للمسابقة. سيداتي وسادتي، تفضلوا بالانضمام إليَّ في تهنئة بنات إيليا المختارات!».

تغيرت الشاشة إلى الشعار الوطني. وبأعلى الزاوية اليمنى كان هناك مربع صغير يُظهر وجه ماكسون لرؤية رد فعله أثناء تتابع الصور عبر الشاشة.

كان من الواضح أنه كان سيبدأ بالفعل اتخاذ قرارات بشأنهن، كما كنا سنفعل جميعًا.

كان جافريل يحمل مجموعة من البطاقات في يديه، جاهزًا لقراءة أسماء الفتيات اللاتي ستتغير حياتهن إلى الأبد، وفقًا لما قالته الملكة.

«الآنسة إيلينا ستولز من هانسبورت، الطبقة الثالثة». ظهرت صورة لفتاة شابة ذات بشرة ناعمة وناصعة البياض، شبيهة بالبورسلين، بدت كأنها سيدة راقية، وابتسم ماكسون.

«الآنسة تيوزداي كيبر من ويفرلي، الطبقة الرابعة». ظهرت صورة لفتاة ذات نمش، بدت أكبر سنًّا وأكثر نضجًا. عندها همس ماكسون بشيء للملك.

«الآنسة فيونا كاسلي من بالوما، الطبقة الثالثة». هذه المرة، ظهرت صورة فتاة ذات شعر بني داكن وعينين متقدتين. ربما كانت في سني، لكنها بدت أكثر... خبرة.

التفتُّ إلى أمي وماي على الأريكة لأعلق عليها قائلة: «ألا تبدو غريبة...».

«الآنسة أميريكا سينجر من كارولينا، الطبقة الخامسة».

أدرتُ رأسي بسرعة، وكانت الصورة أمامي. صورتي بعد أن اكتشفت أن أسبن كان يدخر المال ليطلب يدي. كنت أبدو متألقة، مفعمة بالأمل، وجميلة. بدوت كأنني في حالة حب، وهناك شخص غبي ظن أن الحب في ملامحي موجَّه للأمير ماكسون.

صرخت أمي بالقرب من أذني، وقفزت ماي، ما جعل الفشار يتناثر في كل مكان. أصبح جيراد متحمسًا أيضًا وبدأ يرقص. أما والدي... فقد كان من الصعب تفسير تعبيره، لكنني أعتقد أنه كان يبتسم سرًّا خلف كتابه.

وفاتني رؤية تعبير ماكسون.

رن الهاتف.

ولم يتوقف عن الرنين لعدة أيام.

الفصل 6

مرَّ الأسبوع التالي حافلًا بأسراب من المسئولين الذين اجتاحوا منزلنا لتجهيزي للمسابقة. كانت هناك امرأة مزعجة تظن أنني كذبت بشأن نصف معلوماتي في الطلب، تلتها زيارة حارس ملكي جاء لمراجعة تدابير الأمان مع الجنود المحليين وتفقُّد منزلنا. يبدو أنني لن أضطر للانتظار حتى وصولي إلى القصر لأقلق بشأن هجمات المتمردين المحتملة، بل سأتوتر بشأن ذلك من الآن! عظيم!!

تلقينا مكالمتين هاتفيتين من امرأة تُدعى سيلفيا، التي بدت من حديثها امرأة مرحة، وفي الوقت نفسه تتمتع بالاحترافية، تسألنا عما إذا كنا بحاجة إلى أي مساعدة. أما زائري المفضل فكان رجلًا نحيفًا ذا لحية خفيفة، جاء ليأخذ مقاساتي لملابسي الجديدة. لم أكن متأكدة من شعوري حيال ارتداء الفساتين الرسمية، مثل فساتين الملكة طوال الوقت، لكنني أردت تغيير نمط ملابسي، على أي حال.

آخر الزوار جاء بعد الظهر يوم الأربعاء، أي قبل يومين من موعد مغادرتي، كان مسئولًا عن شرح جميع القواعد الرسمية لي. كان نحيفًا للغاية، ذا شعر أسود دهنه حتى اللمعان، ويتصبب عرقًا طوال الوقت. عند دخوله المنزل، سأل عما إذا كان هناك مكان خاص يمكننا التحدث فيه، كان ذلك أول تلميح لي بأن هناك شيئًا غريبًا سيحدث.

قالت والدتي: «حسنًا، يمكننا الجلوس في المطبخ إذا كان ذلك مناسبًا».

مسح جبينه بمنديل ونظر إلى ماي قائلًا: «في الواقع، أي مكان سيكون مناسبًا. فقط أظن أنه من الأفضل أن تطلبي من ابنتك الصغرى مغادرة الغرفة».

ما الذي قد يقوله هذا الرجل ولا يمكن لماي أن تسمعه؟

قالت ماي بحزن حيث لا تريد تفويت أي شيء يحدث: «ماما؟».

«عزيزتي ماي، اذهبي واعملي على رسمتك. لقد أهملتِ عملك قليلًا في الأسبوع الماضي».

«لكن...».

قلت لماي: «دعيني أرافقك للخارج»، ورأيت الدموع تتدفق في عينيها.

عندما وصلنا إلى نهاية الممر حيث لا يستطيع أحد سماعنا، احتضنتها وهمست لها: «لا تقلقي، أَعِدك بأنني سأخبرك بكل شيء، الليلة».

لحسن الحظ ، لم تحرجنا كما تفعل عادةً بالقفز والبكاء. بل اكتفت بالإيماء بحزن وذهبت إلى ركنها الصغير في أستوديو أبي.

أعدَّت والدتي الشاي للرجل النحيف، وجلسنا على طاولة المطبخ لنتحدث. كانت لديه مجموعة من الأوراق وقلم بجانب ملف آخر يحمل اسمي، نظم معلوماته بدقة وبدأ الحديث.

«أعتذر عن تصرفي بهذه السرية، لكن هناك بعض الموضوعات التي لا تناسب الصغار».

تبادلتُ أنا وأمي النظرات عند سماع ذلك.

«آنسة سينجر، قد يبدو ما سأقوله قاسيًا، لكن ابتداء من يوم الجمعة الماضي، أصبحت الآن مِلكًا لإيليا، يجب عليك الاعتناء بجسدك من الآن فصاعدًا. لديَّ عدة استمارات تحتاجين إلى توقيعها أثناء مراجعتنا لهذه المعلومات، وأي تقصير من جانبك سيؤدي إلى استبعادك الفوري من المسابقة، هل تفهمين؟».

أجبته بتوتر: «نعم».

«جيد جدًّا، لنبدأ بالأمور البسيطة. بما أنك من الطبقة الخامسة، سأفترض أنك لم تحصلي على التغذية اللازمة في كل الأوقات، يجب أن تأخذي واحدة من هذه الفيتامينات يوميًّا. أنت الآن وحدك، لكن في القصر سيكون لديك من يساعدك»، ومرر زجاجة كبيرة عبر الطاولة إليَّ، مع استمارة يجب أن أوقعها لأثبت تسلمي لها.

كدت أضحك بصوت عالٍ لكن تمالكت نفسي، من يحتاج إلى مساعدة في تناول حبة دواء؟

«لديَّ هنا تقريرك الطبي من طبيبك، تبدين بصحة ممتازة ولا يوجد ما يدعو للقلق. رغم أنه قال إنك لم تتمكني من النوم جيدًا، ما السبب؟».

«أظن أن ذلك... بسبب الحماس، كان من الصعب عليَّ النوم»، كان ذلك هو الحقيقة تقريبًا. كانت تلك الأيام مليئة بالتحضيرات للقصر، لكن في الليل وهدوئه، كنت أفكر في أسبن. كان ذلك هو الوقت الوحيد الذي لم أستطع تجنب التفكير فيه، ويبدو أنه لم يكن ليتركني حقًّا وينهي علاقتنا.

«فهمت، يمكنني توفير بعض الأدوية التي تساعد على النوم، الليلة، إذا كنت بحاجة إليها، نريدك أن ترتاحي جيدًا».

«لا، أنا لا...».

«نعم»، قاطعتني والدتي: «آسفة يا عزيزتي، لكنك تبدين مرهقة. قم بتوفير بعض الأدوية لها التي تساعد على النوم، من فضلك».

«حسنًا سيدتي»، وسجل الرجل النحيف ملاحظة أخرى في ملفي.

«لننتقل إلى النقطة التالية. أعلم أنه أمر شخصي، لكنني اضطررت لمناقشته مع كل متسابقة، لذا لا تكوني خجولة، من فضلك»، وتوقف للحظة ثم قال: «أحتاج إلى تأكيد أنكِ ما زلتِ عذراء».

كادت عينا والدتي تبرزان من محجريهما؛ من الصدمة، وفهمت الآن أن ذلك كان السبب وراء ضرورة مغادرة ماي.

سألته مصدومة: «هل أنت جاد؟». لم أستطع تصديق أنهم أرسلوا شخصًا ليسألني عن ذلك! أو على الأقل كان يجب أن يرسلوا امرأة...

«أخشى ذلك؛ لأن علينا معرفة الأمر على الفور إذا لم تكوني عذراء».

ما هذا القرف! وكيف يمكن مناقشة ذلك أثناء وجود والدتي في الغرفة؟!

قلت له باشمئزاز: «أنا أعرف القانون يا سيدي، لست غبية. بالطبع أنا عذراء».

«يرجى أن تأخذي بعين الاعتبار أنه إذا تم اكتشاف أنكِ كذبت...».

قالت والدتي وقد لاح في كلامها الغضب: «يا إلهي! فقط لعلمك، أميريكا لم يكن لديها حبيب حتى!».

تمسكتُ بما قالته أمي على أمل أن يُنهي هذا النقاش، وقلت له: «هذا صحيح».

«جيد جدًا، سأحتاج فقط إلى توقيعك على هذه الاستمارة لتأكيد ما قلتِه».

رمقته بتأفف، لكنني امتثلت للأوامر وقمت بالتوقيع. كنت ممتنة لوجود إيليا، فهذه الأرض كادت تتحول إلى ركام لكنهم استطاعوا إقامة دولتنا، لكن هذه القوانين بدأت تُشعرني بالاختناق، وكأن هناك سلاسل غير مرئية تُكبّل حريتي. قوانين تحكم من يمكنك أن تحبيه، وأوراق تتناول مسألة عذريتك؛ كان ذلك يثير الغضب والضيق.

«أحتاج إلى مراجعة القواعد معك، هي قواعد بسيطة جدًا ولن تجدي صعوبة في الالتزام بها. وإذا كان لديك أي استفسارات، فلا تترددي في طرحها».

رفع نظره عن مجموعة الأوراق الخاصة به ونظر إليَّ.

تمتمت قائلة: «حسنًا».

«لا يمكنك مغادرة القصر بمحض إرادتك، يجب أن يسمح لك الأمير بنفسه بالخروج. حتى الملك والملكة لا يمكنهما طردك، يمكنهما فقط إبلاغ الأمير بعدم موافقتهما عليك، لكن هو من يتخذ جميع القرارات بشأن من يبقى ومن يغادر».

«لا يوجد جدول زمني محدد للمسابقة، يمكن أن تنتهي المسابقة في غضون أيام قليلة، أو قد تمتد لسنوات».

سألته والرعب يملأ صوتي: «تمتد لسنوات؟». بالطبع فكرة الغياب لفترة طويلة أشعرتني بالتوتر والقلق.

«لا داعي للقلق، من غير المرجح أن يترك الأمير هذا الأمر يستمر طويلًا. هذه فرصة له ليثبت حسمه، ولن يكون في صالحه ترك مسابقة الاختيار تمتد لفترة طويلة. لكن إذا قرر أن يستغرق المزيد من الوقت، فستكونين ملزمة بالبقاء طيلة الوقت حتى يحسم الأمير اختياره».

لا بد أن خوفي ظهر على وجهي لأن والدتي مدت يدها ووضعتها على يدي لطمأنتي، لكن الرجل النحيف لم يُظهر أي رد فعل.

«لا يمكنك تحديد متى تتقابلين مع الأمير، بل هو من سيبحث عنك إذا أراد قضاء وقت معك على انفراد، لكن الوضع يختلف إذا كنت في مناسبة اجتماعية كبيرة وكان حاضرًا هناك. عدا ذلك ليس بإمكانك الذهاب إليه دون دعوة».

«بينما لا نتوقع منك الانسجام مع المتسابقات الأخريات البالغ عددهن أربعًا وثلاثين، يُحظر عليك الاشتباك معهن أو التسبب في تعطيلهن. إذا وجدوكِ تعتدين على متسابقة أخرى أو

تسببين لها التوتر أو تسرقين منها أو تقومين بأي شيء قد يؤثر على علاقتها الشخصية بالأمير، فإن قرار استبعادك من مسابقة الاختيار سيكون بيد الأمير».

«علاقتك الرومانسية الوحيدة ستكون مع الأمير ماكسون، إذا ضُبِطتِ تكتبين رسائل حب لشخص آخر هنا أو تتورطين في علاقة مع شخص آخر في القصر، فإن ذلك يُعد خيانة ويعاقب عليها بالإعدام».

رمقته والدتي بعدم اكتراث عند سماع تلك العبارة، رغم أنها كانت القاعدة الوحيدة التي أقلقتني.

«إذا تم العثور عليكِ تنتهكين أيًّا من قوانين إيليا، فستتلقين العقوبة المرتبطة بتلك المخالفة. مكانتك كواحدة من المختارات لا تجعلك فوق القانون.

«يجب ألا ترتدي أي ملابس أو تأكلي أي طعام لم يتم توفيره لكِ بصفة خاصة من القصر، هذه مسألة أمنية وسيتم تطبيقها بصرامة».

«في أيام الجمعة، ستشاركين في جميع النشرات التي ستُبث. في بعض الأحيان، ولكن دائمًا مع إشعار مسبق، سيكون هناك كاميرات أو مصورون في القصر، وعليكِ أن تكوني لبقة وتسمحي لهم برؤية نمط حياتك مع الأمير».

«ستتلقى عائلتك تعويضًا عن كل أسبوع تقضينه في القصر، وسأعطيك الشيك الأول قبل مغادرتي».

«إذا تركتِ القصر، فسيكون هناك مساعد يعينك على التكيف مع حياتك بعد مسابقة الاختيار، وسيساعدك في التحضيرات النهائية قبل مغادرتك القصر، كما سيساعدك في البحث عن مسكن جديد وفرص عمل بعد ذلك».

«أما إذا تمكنت من الوصول إلى المراتب العشر الأولى، فستُعدِّينن من النخبة. وبمجرد أن تصلي إلى هذه المكانة، سيتعين عليكِ تعلم تفاصيل الحياة والواجبات التي ستكونين مُلزمة بها كأميرة. لا يُسمح لك بالبحث عن هذه التفاصيل قبل ذلك الوقت».

«ومن هذه اللحظة فصاعدًا، أصبحتِ من الطبقة الثالثة».

هتفت أنا ووالدتي في صوت واحد من الاندهاش: «الطبقة الثالثة؟».

«نعم، بعد قبولكن في مسابقة الاختيار، سيكون من الصعب على الفتيات العودة إلى حياتهن القديمة. الفتيات من الطبقتين الثانية والثالثة يتكيفن بشكل جيد، لكن الفتيات من الطبقة الرابعة وما دونها يواجهن صعوبات. أصبحتِ الآن من الطبقة الثالثة، لكن عائلتك ستبقى من الطبقة الخامسة. وإذا فزتِ، فستصبحين أنت وعائلتك جميعًا من الطبقة الأولى أعضاء من العائلة الملكية».

قالت أمي وهي تكاد لا تصدق ما سمعته: «الطبقة الأولى!».

«وإذا وصلتِ إلى النهاية، فستتزوجين الأمير ماكسون وتصبحين الأميرة المتوجة لإيليا، وتتحملين جميع حقوق وواجبات هذا اللقب، هل تفهمين؟».

أجبت: «نعم»، على الرغم من الأهمية الكبيرة لذلك الجزء، فإنه كان الأسهل تحملًا.

«جيد جدًا، أريدك فقط أن تقومي بتوقيع هذه الاستمارة التي تُفيد بأنكِ سمعتِ جميع القواعد الرسمية. آنسة سينجر، أريدك أيضًا أن توقعي هذه الاستمارة التي تُفيد بأنكِ تسلمت شيكك».

لم أرَ المبلغ بنفسي، لكن الشيك جعل عينيْ والدتي تلمعان من الفرحة. انتابني شعور بالبؤس والحزن من فكرة الرحيل، لكنني كنت متأكدة من أنه إذا ذهبت إلى هناك، ولو

لمجرد يوم واحد وعدت إلى المنزل في اليوم التالي، فإن هذا الشيك وحده سيوفر لنا ما يكفي من المال لنعيش في راحة وطمأنينة لمدة عام.

وعندما أعود، سيرغب الجميع في سماعي أغني وسأنشغل بالكثير من العمل. لكن هل سأتمكن من الغناء بعدما أصبحت من الطبقة الثالثة؟ إذا كان عليَّ اختيار إحدى المهن الخاصة بالطبقة الثالثة، فأعتقد أنني سأختار التعليم، ربما أستطيع على الأقل مساعدة الآخرين في تعلم الموسيقى.

جمع الرجل النحيف أوراقه ووقف ليوقع، شاكرًا لنا وقتنا والشاي الذي قدمناه. تبقى لي موعد مع موظفة أخرى قبل مغادرتي، وهي مساعِدتي التي سترشدني خلال الانتقال من منزلي إلى نقطة التجمع لأذهب إلى المطار. ومن ثم... سأكون بمفردي.

طلب ضيفنا أن أرافقه إلى الباب، ووافقت والدتي لأنها أرادت بدء تحضير العشاء. لم أحب فكرة البقاء معه وحدي، لكن المسافة كانت قصيرة.

قال الرجل النحيف وهو يضع يده على الباب: «أريد إخبارك بشيء آخر، هذه ليست قاعدة بالضبط، لكن يجب عدم تجاهلها. عندما يدعوك الأمير ماكسون إلى القيام بشيء، لا ترفضي. مهما كان طلبه، سواء أكان تناول العشاء أم الذهاب للتنزه أم القُبلات وما أكثر من ذلك، لا ترفضي أي شيء يطلبه منك مهما كان».

«عفوًا؟»، هل هذا الرجل نفسه الذي جعلني أوقع على استمارة تؤكد عذريتي يقترح الآن أن أسمح لماكسون بفعل ما يريد إذا طلب مني ذلك؟

«أعلم أن هذا يبدو... غير لائق، لكن ليس من مصلحتك رفض الأمير تحت أي ظرف. طاب مساؤك يا آنسة سينجر».

شعرت بالقرف والاشمئزاز عند سماع ذلك، فهذا البلد يحكمه القوانين، وقانون إيليا كان ينص على عدم القيام بأي علاقات غير شرعية والانتظار حتى الزواج. كانت وسيلة فعالة

للحد من الأمراض، كما أسهمت في الحفاظ على تصنيف الطبقات الاجتماعية. والنساء اللاتي يقمن بأعمال غير شرعية مثل هذه يُلقين في الشوارع ليصبحن من الطبقة الثامنة، وكان عقابهن السجن إذا اكتشف أحد الأمر أو ظهر عليهن الحمل. حتى بمجرد أن تحوم الشكوك حول إحداهن، قد يقضين بضع ليالٍ في زنزانة. صحيح أن هذا القانون أزعجني وقيدني من أن أصبح أكثر حميمية مع الشخص الذي أحببته. إلا أنه الآن وبعد انتهاء علاقتي بأسبن، كنت سعيدة لأنني أُجبرت على حماية نفسي.

والآن شعرت بغضب لا يوصف، ألم أوقع للتو على استمارة تقول إنني سأتعرض للعقاب إذا خالفت قانون إيليا؟ وكوني من المختارات لن يجعلني فوق القوانين؛ ألم يقل ذلك الرجل النحيف هذا؟ لكن يبدو أن الأمير كان فوق القوانين. وشعرت بالدنو والقرف من نفسي، حتى أدنى من الطبقة الثامنة.

سمعت والدتي تناديني. كانت في مزاج جيد بينما تقول: «عزيزتي أميريكا، مَن على الباب ينتظركِ؟».

كنت قد سمعت جرس الباب لكنني لم أكن في عجلة من أمري لفتحه، لم أكن لأتحمل المزيد من الناس الذين يطرقون بابنا ليطلبوا توقيعي.

مشيت في الممر ودرت إلى الزاوية، وهناك رأيت أسبن، واقفًا مع حفنة من الزهور البرية.

قال بصوت هادئ ليس به أي مشاعر: «مرحبًا يا أميريكا».

رددت عليه بنبرة صوت ضعيفة: «مرحبًا يا أسبن».

«هذه الزهور هدية لكِ من كامبر وسيليا، أرادتا تمني حظ سعيد». اقترب مني وسلمني الزهور. تلك الزهور كانت من أختيه وليست منه.

صاحت والدتي فرحة: «هذا حقًّا لطف منهما!»، كدت أنسى أنها واقفة معنا.

حاولت أن أظهر وكأنني لا أبالي مثله وقلت له: «سعيدة أنك أتيت يا أسبن، لقد تسببت في فوضى أثناء تحضير أمتعتي، هل يمكنك مساعدتي في التنظيف؟».

لم يتمكن من الرفض لأن والدتي كانت هناك. كقاعدة عامة، لم يكن لدى أصحاب الطبقة السادسة القدرة على رفض العمل. في الواقع طبقتانا متشابهتان في هذه النقطة.

زفر أسبن بضيق ثم وافق بإيماءة برأسه.

تبعني في الممر وأخذت أفكر في كم مرة تمنيت هذا؛ أن يدخل أسبن منزلي ويأتي إلى غرفتي. لكن هل كان على الظروف أن تكون سيئة إلى هذا الحد؟

فتحت باب غرفتي وضحك أسبن بصوت عالٍ.

«هل جعلتِ كلبًا يحزم لكِ أمتعتك؟».

«أطبِق فمك! لقد واجهت قليلًا من المشاكل في العثور على ما كنت أبحث عنه»، لكنني ابتسمت خلسة.

شرع في العمل، وأخذ يرتب الأمتعة ويطوي القمصان، وقد ساعدته بالطبع.

همس لي: «ألن تأخذي أيًّا من هذه الملابس؟».

«لا، سيقومون بتحضيري بملابس جديدة، بدءًا من الغد».

«يا لكِ من محظوظة!».

«هل شعرت أختاك بخيبة أمل؟».

هز رأسه بالرفض وقال: «في الواقع لا، فعندما رأتا وجهك، انفجر البيت بأسره من الفرحة. هما معجبتان بكِ كثيرًا، ووالدتي تحبك بشكل خاص».

«أنا أيضًا أحب والدتك، هي دائمًا لطيفة معي».

مرَّت بضع دقائق في صمت بينما بدأت غرفتي تعود تدريجيًّا إلى طبيعتها.

ثم بدأ أسبن الحديث مجددًا: «لقد كانت صورتك... جميلة جدًّا».

شعرت بالألم يعتصر قلبي عندما أخبرني بأنني جميلة، لم يكن ذلك عدلًا بعد كل ما فعله بي.

همستُ له: «كانت من أجلك».

«ماذا؟».

رددت بغلظة: «عند التقاط تلك الصورة لي كنت أفكر في أنك ستطلب يدي للزواج قريبًا».

ظل أسبن صامتًا لبرهة، يختار كلماته، ثم قال: «كنت أفكر في ذلك، لكنني لم يعد للأمر أهمية الآن».

«بلى الأمر مهم، لماذا لم تخبرني من قبل؟».

فرك عنقه وبدا مترددًا في قراره، ثم قال: «كنت أنتظر».

«ما الذي كنت تنتظره؟»، أخذت أفكر ماذا هناك يستحق الانتظار.

«كنت أنتظر الاستدعاء».

كان موضوع الاستدعاء مشكلة، من الصعب على الشخص تحديد ما إذا كان أمر الاستدعاء خيرًا أم شرًّا له. ففي بلدنا إيليا، كان الذكور الذين يبلغون تسعة عشر عامًا مؤهلين للاستدعاء. يتم اختيار الجنود عشوائيًّا مرتين في السنة، ويظل المجندون يخدمون من سن التاسعة عشرة حتى الثالثة والعشرين. وكان أمر استدعاء أسبن يقترب.

لقد تحدثنا عن الأمر بالطبع، لكن لم نكن جادين بشأنه. أعتقد أننا كنا نأمل أن يتجاهلنا الاستدعاء إذا تجاهلناه نحن أيضًا.

كان من حسن الحظ أن تكون جنديًا؛ لأن ذلك يعني أنك سترتقي تلقائيًا إلى الطبقة الثانية. تتولى الحكومة تدريبك وتدفع لك راتبًا مدى الحياة. لكن كان الثمن مقابل ذلك أنك لا تعرف أبدًا إلى أين ستذهب. وبالطبع كانوا يرسلونك بعيدًا عن مقاطعتك لأنهم يفترضون أنك ستكون أكثر تساهلًا مع من تعرفهم. لذا قد ينتهي بك الأمر أن تُرسَل إلى القصر أو الشرطة في مقاطعة أخرى، أو ربما تنضم إلى الجيش وتُرسل إلى ساحة المعركة، ولم يرجع الكثير ممن أُرسلوا إلى الحرب إلى ديارهم.

إذا لم يكن الرجل متزوجًا قبل التجنيد، فإنه غالبًا ما ينتظر؛ لأنه سيكون بعيدًا عن زوجته لأربع سنوات على الأقل في أحسن الأحوال، وفي أسوئها ستصبح زوجته أرملة في شبابها.

همس أسبن: «أنا فقط... لم أُرد أن أضعك في هذا الموقف».

أجبته بهدوء: «أتفهم ذلك».

ثم اعتدل في جلسته محاولًا تغيير الموضوع، وسأل: «إذن ماذا ستأخذين معك إلى القصر؟».

«ملابس لأرتديها عندما يطردونني في النهاية، وبعض الصور والكتب. قالوا لي إنني لن أحتاج إلى أدواتي الموسيقية، فكل ما أريده سيكون موجودًا بالفعل. لذلك، فإن تلك الحقيبة الصغيرة هناك هي كل ما سآخذه معي».

أصبحت الغرفة مرتبة الآن، ولكن لسببٍ م بدت تلك الحقيبة ضخمة أكبر من اللازم. الزهور التي جلبها كانت تبدو مشرقة بشكل لافت على مكتبي مقارنة بالأشياء الباهتة التي أملكها. أو ربما كانت كل الأشياء تبدو شاحبة الآن... الآن بعد أن انتهى كل شيء.

علّق على ردي: «هذا ليس بالكثير».

«أنا لست بحاجة إلى الكثير لأكون سعيدة، ظننت أنك تعرف ذلك».

أغمض عينيه وقال: «توقفي عن التفكير في ذلك يا أميريكا، لقد فعلتُ الصواب من أجلك».

«الصواب؟ ما الذي تراه صائبًا في ذلك! أسبن، لقد جعلتني أؤمن بأننا نستطيع أن نكون معًا. جعلتني أحبك، ثم أقنعتني بالمشاركة في هذه المسابقة اللعينة. هل تعلم أنهم سيرسلوني لأكون حرفيًّا لعبة في يد ماكسون؟».

التفت بسرعة ليواجهني وقال بحدة: «ماذا؟».

«ما سمعته صحيح، لا يُسمح لي برفضه، لأي سبب كان».

ظهر على أسبن الغضب والاشمئزاز في الوقت نفسه، ثم قبض بيديه حتى ظهرت عروقه وسألني: «حتى... حتى لو لم يرغب في الزواج منك... يمكنه أن...؟».

«نعم».

«أنا آسف، لم أكن أعلم بذلك»، أخذ بضعة أنفاس عميقة، وتابع: «لكن إذا اختاركِ لتكوني زوجته... فسيكون ذلك خيرًا لكِ، أنتِ تستحقين أن تكوني سعيدة».

لم أتمالك نفسي عندها، لقد طفح الكيل. صفعتُه وهمستُ في غضب مكبوت: «أنت أحمق! أنا أكرهه! لقد أحببتك! أردتُك أنت؛ أنت كل ما أردته في حياتي!».

امتلأت عيناه بالدموع، لكن لم يكن لديَّ أي تعاطف معه الآن. لقد آذاني بما يكفي، وحان الوقت الآن ليشعر بالألم نفسه.

قال: «يجب أن أذهب»، وبدأ التوجه نحو الباب.

«انتظر، لم أدفع لك بعد».

«أميريكا، أنتِ لا تحتاجين لدفع أي شيء لي»، وهمَّ ليغادر مرة أخرى.

عندها ناديته وكان صوتي مشحونًا بالغضب: «أسبن ليجر، توقف مكانك!» فتوقف أخيرًا، وبدأ يولي اهتمامًا حقيقيًّا.

قال: «سيكون ذلك تدريبًا جيدًا عندما تصبحين من الطبقة الأولى»، ولولا نظرته لي، لكنت اعتقدت أنها مزحة وليست إهانة.

هززت رأسي بأسى وتوجهت نحو مكتبي، أخرجت كل ما جمعته من المال بعرق جبيني، ووضعت كل قطعة منه في يديه.

«أميريكا، لا يمكنني قبول هذا».

«بل ستأخذه، أنا لا أحتاج إليه، وأنت في أمسِّ الحاجة إليه. إن كنت قد أحببتني حقًّا ولو للحظة، فخذ هذا المال. ألم يكفِ ما فعلته كبرياؤك بنا حتى الآن؟». عندها رأيت في عينيه شيئًا ينطفئ، واستسلم أخيرًا وتوقف عن الجدال.

«حسنًا».

«وهذا أيضًا»، قمت بالبحث خلف سريري، وأخرجت برطماني الصغير المليء بالنقود المعدنية وصببت ما به في يده. ظل به قرش في القاع لم أتمكن من إخراجه فتركته، وقلت له: «تلك كانت أموالك، يجب أن تأخذها».

الآن لم يتبقَّ لديَّ أي شيء منه، وعندما ينفق تلك النقود لحاجته لها، لن يتبقى له شيء مني أيضًا. شعرت بالألم يشتد، وامتلأت عيناي بالدموع، وتنفست بصعوبة محاولةً كبح بكائي.

«أنا آسف يا مير، حظًّا سعيدًا»، وضع المال والقروش في جيوبه وركض خارجًا.

لم يكن هذا البكاء الذي توقعته. كنت أتصور نحيبًا، لا دموعًا هادئة تنسل بصمت.

وضعت البرطمان على الرف، لكن لفت انتباهي القرش المتبقي. أدخلت أصبعي في البرطمان لأخرجه، فأخذ يتدحرج مَصدرًا صوتًا خافتًا في الزجاج؛ صوتًا فارغًا، شعرت بتردده في صدري. كنت أعلم، سواء أكان ذلك للأفضل أم للأسوأ، أنني لم أتحرر من أسبن بعد، وربما لن يحدث هذا أبدًا.

فتحت حقيبتي ووضعت البرطمان بداخلها وأغلقتها بإحكام.

أخذت واحدة من تلك الحبوب السخيفة ورأيت ماي تتسلل إلى غرفتي. غفوت وأنا أحتضنها، وأنا أشعر أخيرًا بالخدر والهدوء.

الفصل 7

في صباح اليوم التالي، ارتديت زي المُختارات المكون من بنطال أسود وقميص أبيض وزهرة إقليمية، كانت زهرة مقاطعتي زهرة الزنبق، وثبتها في شعري. أما الحذاء فكان من اختياري؛ وقد اخترت حذاءً أحمر متهالكًا. فكرت أنه يجب أن أوضح منذ البداية أنني لا أصلح لأكون أميرة.

كان من المقرر أن نغادر إلى الساحة قريبًا، كل واحدة من المختارات كان يقام لها حفلة وداع في مقاطعتها اليوم، ولم أكن أتطلع إلى حفلة وداعي، بينما يحدق كل هؤلاء الناس إليَّ وأنا لا أفعل شيئًا سوى الوقوف هناك. بدا الأمر سخيفًا بالفعل، خاصة مع نقلي لمسافة ميلين لدواعٍ أمنية.

بدأ اليوم بشعور غير مريح. حين جاءت أختي كينا مع زوجها جيمس لتودِّعني، وكان ذلك لطفًا منها، خصوصًا أنها كانت حاملًا ومتعبة. حتى أخي كوتا حضر أيضًا، لكن وجوده ضاعف التوتر بدلًا من تخفيفه.

بينما كنا نسير من منزلنا إلى السيارة التي تم توفيرها لنا، كان كوتا الأبطأ بلا منازع، ما أتاح للمصورين القلائل والمتمنين الخير لنا فرصة جيدة لتأمله، واكتفى والدي بهز رأسه.

أما ماي فكانت عزائي الوحيد؛ أمسكت يدي وحاولت أن تنقل لي بعضًا من حماسها. وظللنا متشابكي الأيدي عندما خطوت إلى الساحة المزدحمة. بدا كأن كل سكان مقاطعة كارولينا جاءوا ليودِّعوني. أو ربما فقط لرؤية سبب كل هذه الضجة.

وقفت على المنصة المرتفعة، وتمكنت من رؤية الفواصل بين الطبقات الاجتماعية.
مارجاريتا ستاينز كانت من الطبقة الثالثة، وكانت هي ووالداها يرمقونني بنظرات مليئة بالاحتقار. أما تينيل ديجر التي كانت من الطبقة السابعة، فكانت ترسل قبلات في الهواء.

وكان أفراد الطبقات العليا ينظرون إليَّ وكأنني سرقت شيئًا يخصهم. أما الطبقة الرابعة فما دونها فكانوا يهتفون لي، فأنا فتاة عادية مثلهم جرت ترقيتها لطبقة أعلى. في تلك اللحظة، شعرت بما أمثله لكل واحد منهم، وكأنني رمز لشيء مهم في حياتهم.

حاولت أن أركز على تلك الوجوه وأنا رافعة رأسي عاليًا، كنت عازمة على أن أقوم بهذا على أكمل وجه. سأكون الأفضل بيننا، الأعلى بين الطبقات الدنيا. وهذا الشعور منحني هدفًا، بأن أكون أميريكا سينجر بطلة الطبقات الدنيا.

ثم تحدث العمدة بأسلوب بليغ.

«وتشجع كارولينا الابنة الجميلة لماجدة وشالوم سينجر، سيدتنا الجديدة أميريكا سينجر!».

صفق الحشد وهتف بحماس، والبعض منهم ألقى الزهور.

استمعت إلى أصواتهم للحظة وأخذت أبتسم وألوح لهم بيدي، ثم عدت لأتفحص الجمهور من جديد، لكن، هذه المرة، لهدف مختلف.

كنت أرغب في رؤية وجهه مرة أخرى إذا استطعت، لم أكن أعلم إذا كان سيأتي أم لا. لقد أخبرني بالأمس بأنني أبدو جميلة، لكنه كان أكثر تحفظًا بكثير مما كان عليه في بيت الشجرة. كنت أعلم تمام اليقين أن الأمر انتهى، لكن لا يمكنك أن تحب شخصًا لمدة عامين تقريبًا ثم تمحو مشاعرك تجاهه بين ليلة وضحاها.

استغرق الأمر مني بعض الوقت وأنا أتفحص الحشد قبل أن أعثر عليه. وفي اللحظة التي رأيته فيها، تمنيت لو أنني لم أفعل. كان أسبن يقف هناك مع برينا بتلر أمامه، مُمسكًا خصرها وهو يبتسم بلا مبالاة.

عندها علمت أنه ربما يستطيع البعض منا أن يمحو مشاعره بين ليلة وضحاها!.

كانت برينا من الطبقة السادسة وتقريبًا في مثل عمري، أظن أنها جميلة لكنها لم تكن تشبهني قط. توقعت أنها ستحصل على الزفاف وستعيش الحياة التي كان سيوفرها لي، ويبدو أن مسألة التجنيد لم تعد تزعجه كثيرًا بعد الآن.

رأيتها تبتسم له ثم ابتعدت لتلحق بعائلتها.

هل كان يحبها طوال الوقت؟ هل كانت هي الفتاة التي يراها كل يوم، بينما كنت أنا الفتاة التي تطعمه وتغمره بالقبلات مرة في الأسبوع؟ خطر ببالي أن كل الوقت الذي لم يحضر فيه إلى لقاءاتنا السرية لم يكن مجرد ساعات طويلة ومملة من عمله في جرد المخزون.

سيطر عليَّ الغضب لدرجة أن البكاء لم يكن خيارًا.

رغم أن أسبن لم يكن يعلم أنني لاحظته، فإنني استدرت وعدت إلى تلك الوجوه المُحبة، فها هم المعجبون حولي ينتظرون اهتمامي، يتوقون إلى ابتسامة مني. ابتسمت لهم ابتسامة أوسع وأجمل من أي وقت مضى، ثم بدأت ألوِّح لهم بحرارة. لن أسمح لأسبن بأن يستمتع بجرح قلبي مجددًا، هو السبب وراء مشاركتي في المسابقة وسأستغل ذلك لمصلحتي بأفضل طريقة.

نادى العمدة الجميع: «سيداتي وسادتي، أرجو أن تنضموا إليَّ في توديع أميريكا سينجر؛ ابنة إيليا الحبيبة!».

عزفت فرقة صغيرة النشيد الوطني خلفي، وزادت هتافات الجماهير والزهور المُلقاة.

وفجأة، أصبح العمدة بجانبي وهمس في أذني: «هل ترغبين في قول شيء يا عزيزتي؟».

لم أعرف كيف أرفض بطريقة مهذبة، لذا قلت لهم: «شكرًا لكم جميعًا، لكنني متأثرة جدًّا، لا أعتقد أنني أستطيع التحدث».

أمسك يدي بلطف وقال: «بالطبع يا ابنتي العزيزة. لا تقلقي، سأعتني بكل شيء. سوف يقومون بتدريبك على مثل هذه الأمور في القصر، ستحتاجين لذلك».

ثم أخبر العمدة الحشد المجتمع بصفاتي، مُلمحًا إلى أنني ذكية وجذابة جدًّا بالنسبة لشخص من الطبقة الخامسة. لم يكن العمدة شخصًا سيئًا، لكن حتى ألطف أفراد الطبقات العليا يكونون متعالين أحيانًا.

لمحت وجه أسبن مرة أخرى بينما كانت عيناي تجولان في الحشد. بدا متألمًا، كان هذا الوجه المناقض تمامًا للابتسامة التي ارتسمت على وجهه مع برينا قبل دقائق. هل كان ذلك لعبة أخرى منه؟ عندها أشحت ببصري عنه فلقد طفح الكيل حقًّا.

أنهى العمدة حديثه، فابتسمت وهتف الجميع كما لو أنه ألقى أكثر الخُطب إلهامًا في التاريخ.

وفجأة حان وقت الوداع، فطلبت مني مساعِدتي ميتسي أن أودِّع الجميع بهدوء وباختصار، وأخبرتني بأنها سترافقني إلى السيارة التي ستقلني إلى المطار.

عانقني كوتا وهو يخبرني كم هو فخور بي، ثم وبطريقة غير مباشرة، طلب مني أن أخبر الأمير ماكسون عن فنه.

تملصت من ذلك العناق بأكبر قدر من الرشاقة التي استطعت الإتيان بها، ورأيت أختي كينا تبكي.

همست: «نادرًا ما كنت أراكِ، والآن ماذا سأفعل عندما تذهبين؟».

«لا تقلقي، سأعود إلى المنزل قريبًا».

«لا تمزحي! أنتِ أجمل فتاة في إيليا، بالطبع سيحبك!».

لماذا يظن الجميع أن الأمر كله يعتمد على الجمال؟ ربما كان الأمر فعلًا كذلك، ربما لم يكن الأمير ماكسون بحاجة إلى زوجة تتحدث معه، بل إلى زوجة جميلة فقط. شعرت بقشعريرة وأنا أفكر فيه كزوجي المستقبلي، لكن هناك العديد من الفتيات الأكثر جاذبية مني، وهنَّ أيضًا يسعين في الطريق نفسه.

كان عناق كينا صعبًا بعض الشيء بسبب حملها وكِبَر بطنها، لكننا تمكّنا من الالتقاء في حضن دافئ على الرغم من ذلك. ثم اقترب زوجها جيمس ليعانقني أيضًا، رغم أنني لم أكن أعرفه جيدًا. وبعده جاء دور جيراد.

«كن فتى طيبًا، اتفقنا؟ جرب العزف على البيانو، أراهن أنك ستكون رائعًا فيه. أتوقع أن أسمع كل التفاصيل عندما أعود إلى المنزل».

أومأ جيراد برأسه في حزن ثم احتضنني بذراعيه الصغيرتين.

«أحبك أختي».

«وأنا أحبك أيضًا. لا تحزن، سأعود إلى المنزل قريبًا».

أومأ برأسه مرة أخرى، لكنني رأيت العبوس يعلو وجهه الصغير، لم أتوقع أن يأخذ رحيلي بهذه الصعوبة. كان عكس ماي تمامًا، التي كانت تتراقص على أطراف أصابعها، مفعمة بالحماسة.

«أختي أميريكا، ستصبحين الأميرة! أنا واثقة من ذلك!».

«اصمتي يا ماي! أُفضّل أن أكون من الطبقة الثامنة لأبقى معك دومًا. كوني فتاة طيبة واعملي بجد، اتفقنا؟». عندها أومأت ماي برأسها ثم تابعت القفز بمرح.

ثم حان وقت وداع أبي، الذي كانت عيناه تلمعان بالدموع التي حاول جاهدًا إخفاءها.

اندفعت إلى حضنه وقلت له: «لا تبكِ يا أبي!».

«استمعي إليَّ يا صغيرتي، سواء فزتِ أم خسرتِ، ستظلين دائمًا أميرتي».

عندها أجهشت بالبكاء: «أوه يا أبي». كانت تلك الكلمات البسيطة كافية لتذيب كل المخاوف والقلق الذي أحاط بي. تلك الجملة الواحدة حملت كل المعاني؛ مهما كان مصيري، ستظل قيمتي محفوظة في عينيه.

حتى لو عدت خالية الوفاض، غير مرغوبة ولا منتصرة، سيظل فخورًا بي كما أنا. كان الحب الذي شعرت به في تلك اللحظة هائلًا، ثقيلًا على قلبي، لكنه كان دافئًا، يمنحني القوة. سأكون محاطة بالكثير من الحراس في القصر، لكن لا أستطيع تخيل مكان أكثر أمانًا من حضن والدي. ابتعدت عنه وذهبت لأعانق أمي.

«افعلي كل ما يقولونه لكِ، حاولي أن تتوقفي عن العبوس وكوني سعيدة، تصرفي برقيٍّ وابتسمي دائمًا، ولا تنسي أن تكتبي لنا عن كل شيء. كم أنا سعيدة! كنت أعلم أنكِ ستكونين مميزة منذ البداية».

كان من المفترض أن تكون كلماتها لطيفة. لم أرغب في سماع ذلك في تلك اللحظة. كنت أتمنى لو أنها قالت إنني بالفعل مميزة بالنسبة لها، تمامًا كما أنا مميزة بالنسبة لوالدي. لكن يبدو أنها لن تتوقف أبدًا عن رغبتها في المزيد مني، وفي المزيد لأجلي. ربما كانت هذه طبيعة الأمهات.

سألتني ميتسي وأنا ألتفت بعيدًا عن الحشد، محاولةً مسح دموعي التي تسللت من عيني: «آنسة أميريكا، هل أنتِ جاهزة؟».

«نعم، أنا جاهزة».

كانت حقيبتي تنتظرني في السيارة البيضاء اللامعة، هذه هي اللحظة المنتظرة. خطوت ببطء نحو حافة المنصة، حيث تنتظرني السلالم لأبدأ رحلتي.

«ميرا!».

أدرت رأسي بسرعة، كنت أميز ذلك الصوت من بين الجميع.

«أميريكا!».

بحثت عنه ووجدت أسبن يدفع بذراعيه الحشد ليعبر بينهم والناس يتأففون من طريقته العنيفة في المرور.

وحين التقت أعيننا، توقف فجأة وحدّق إليَّ. عجزت عن قراءة ملامحه في تلك اللحظة، هل كان قلقًا أم نادمًا؟ أيًا كان شعوره، فقد فات الأوان. هززت رأسي فقد سئمت بالفعل ألعاب أسبن.

جاء صوت ميتسي من أسفل السلالم، تدعوني إلى الاستمرار: «من هنا ياآنسة أميريكا». كان عليّ اعتياد على هذا النداء الجديد من الآن فصاعدًا.

همست والدتي: «وداعًا يا عزيزتي».

ثم قادتني ميتسي بعيدًا.

الفصل 8

كنت أول مَن وصل إلى المطار، وشعرت برعب لا يوصف. لقد تلاشت الحماسة المفعمة التي كانت تسري بين الحشود، والآن وجدت نفسي أمام تجربة الطيران المروعة. سأسافر مع ثلاث فتيات أخريات تم اختيارهن، وحاولت بكل جهدي السيطرة على توتري. لم أكن أريد أن أُظهر ضعفًا أو أن أتعرض لنوبة هلع أمامهن.

كنت قد حفظت بالفعل أسماء ووجوه وطبقات جميع الفتيات المختارات. بدأ الأمر كتمرين علاجي، شيء يهدئ من روعي. كنت أقوم بشيء مشابه من خلال حفظ السلالم الموسيقية وأجزاء من المعلومات العامة. في البداية، كنت أبحث عن وجوه ودودة، فتيات قد أرغب في قضاء الوقت معهن أثناء وجودي هناك. فأنا لم أملك صديقة من قبل، إذ قضيت معظم طفولتي ألعب مع كينا وكوتا، وتولت أمي تعليمي، كما أنها الشخص الوحيد الذي عملت معه. وعندما كبر أخوي وبدآ شق طريقهما، كرست نفسي لرعاية ماي وجيراد، وكذلك أسبن...

لكن أسبن لم يكن يومًا مجرد صديق. منذ اللحظة التي أصبحت فيها واعية حقًّا بوجوده، أدركت أنني وقعت في حبه.

وها قد رأيته يمسك يد فتاة أخرى.

من حسن الحظ أنني وحدي الآن؛ فلم أكن لأتحمل أن تنهار دموعي أمام الفتيات الأخريات. كان الألم يمزق روحي، وكأن قلبي يئن بصمت، ولم يكن بوسعي فعل أي شيء.

كيف وصلت إلى هذا الوضع؟ قبل شهر فقط، كنت واثقة من كل شيء في حياتي، وكل شيء بدا مألوفًا. أما الآن، فقد تبخرت تلك الألفة. أنا الآن ذاهبة إلى بيت جديد، وأصبحت

أنتمي لطبقة اجتماعية جديدة، وستصبح لديَّ حياة جديدة، وكل هذا بسبب ورقة غبية وصورة. أردت أن أبكي بقدر ما أشاء، أن أحزن على كل ما فقدته في طريقي.

تساءلت إن كانت أي من الفتيات الأخريات تشعر بالحزن اليوم. فقد بدا لي أن الجميع، باستثنائي، يحتفلون. وكان عليَّ، على الأقل، أن أظهر وكأنني أحتفل مثلهن؛ لأن العيون ستكون مسلطة عليَّ.

هيأت نفسي لكل ما هو آتٍ، وأجبرت قلبي على أن يتحلى بالشجاعة. أما ما تركته وراء ظهري، فقد عقدت العزم على تركه حقًّا؛ سأتركه في الماضي. سيكون القصر ملاذي، المكان الذي يحميني من ذكرياته، لن أفكر فيه أو أنطق اسمه مرة أخرى. لا مكان له في رحلتي الجديدة، كان هذا قانوني الوحيد في هذه المغامرة.

لا عودة للوراء.

وداعًا يا أسبن.

بعد نحو نصف ساعة، دخلت فتاتان ترتديان ملابس مشابهة لملابسي، ومعهما مساعِدتاهما اللتان حملتا عنهما حقائبهما. كانتا تبتسمان، ما أكد لي أنني الوحيدة بين المختارات التي تشعر بالحزن، اليوم.

حسنًا، حان الوقت للوفاء بوعدي لنفسي. ارتسمت ابتسامة على وجهي، ونهضت لأصافحهما.

قلت بابتسامة مشرقة: «مرحبًا، أنا أميريكا».

قالت الفتاة التي تقف على اليمين: «أعرف»، كانت شقراء ذات عينين بُنيتين، وميزتها على الفور؛ كانت مارلي تيمز من مقاطعة كينت، من الطبقة الرابعة. لم تصافح يدي الممدودة، بل اقتربت مني مباشرة لتحتضنني.

«أوه!» ندَّت عني شهقة خافتة، فلم أكن أتوقع هذا الترحيب على الإطلاق. رغم أن مارلي كانت واحدة من الفتيات اللواتي بدت ملامحهن ودودة وصادقة، فإن والدتي أمضت الأسبوع الماضي وهي تحذرني منهن وأخبرتني بأن عليَّ أن أنظر إلى هؤلاء الفتيات كعدوات. تغلغلت أفكارها داخلي، ما جعلني أتوقع أن أفضل استقبال منهن سيكون استقبالًا رسميًّا من فتيات مستعدات لمنافستي حتى النهاية من أجل شخص لا أريده أصلًا. لكن بدلًا من ذلك، وجدتها تعانقني.

«أنا مارلي، وهذه آشلي»، وبالفعل، كانت آشلي برويليت من مقاطعة آلينز، من الطبقة الثالثة. كانت شقراء أيضًا، لكن شعرها كان أفتح بكثير من شعر مارلي، وعيناها زرقاوان بشكل ساحر، ما أضفى على ملامحها جمالًا رقيقًا. بدت هادئة ورقيقة بجوار حيوية مارلي.

كانت كلتاهما من شمال إيليا، وأظن أن هذا هو السبب وراء قدومهما معًا. حيتني آشلي تحية خفيفة بابتسامة، واكتفت بها. لم أكن متأكدة مما إذا كانت خجولة أم أنها كانت تحاول فهمنا. ربما كونها من الطبقة الثالثة جعلها تتصرف بطريقة أكثر تحفظًا.

صاحت مارلي: «شعرك رائع! أتمنى لو وُلدت بشعر أحمر، فهو يجعل المرأة نابضة بالحياة. سمعت أن الناس ذوي الشعر الأحمر تنتابهم نوبات غضب، هل هذا صحيح؟».

على الرغم من يومي السيئ، فإن حيوية مارلي جعلتني أبتسم أكثر، قلت لها: «لا أعتقد ذلك، أعني، لا أنكر أنني أثور أحيانًا، لكن شقيقتي ذات شعر أحمر أيضًا، وهي لطيفة جدًّا».

استرسلنا في الحديث بسهولة عما يثير غضبنا وما يُحسِّن مزاجنا. كانت مارلي تحب الأفلام، وأنا كذلك، رغم أنني نادرًا ما أجد الوقت لأستمتع بمشاهدتها. سرعان ما انسجمنا ونحن نتحدث عن الممثلين الجذابين، ما أدهشني خاصة أننا كنا مجموعة من الفتيات على استعداد للقاء ماكسون والتنافس على حبه. أما آشلي فكانت تضحك بين الحين والآخر، لكنها لم تشارك في الحديث بشكل فعلي. وعندما كنا نوجه إليها سؤالًا مباشرًا، كانت تجيب باختصار ثم تعود إلى ابتسامتها الرقيقة.

توافقت أنا ومارلي بسهولة، ما أعطاني أملًا في أنني قد أكسب صديقة من هذه التجربة. لم يدم حديثنا أكثر من نصف ساعة، ومرَّ الوقت سريعًا. لم نكن لننهي حديثنا لولا أن قاطعنا الصوت المميز للكعب العالي وهو ينقر على الأرض. التفتنا جميعًا نحو مصدر الصوت، وسمعت شهقة مارلي المندهشة.

رأينا فتاة تقترب منا بخطوات واثقة، سمراء ترتدي نظارات شمسية، وتزين شعرها بزهرة أُقحوان، إلا أن الزهرة صُبغت باللون الأحمر لتتماشى مع لون شفتيها. كان جسدها يتمايل برشاقة مع كل خطوة، بينما أضفى كعباها العاليان، بطول 6 سنتيمترات، المزيد من الثقة والقوة على مشيتها.

على عكس مارلي وآشلي، لم تُزين وجهها أي ابتسامة.

لكن عدم ابتسامها لم يكن بسبب حزنها، بل كان بسبب تركيزها. كانت تقصد بدخولها إثارة الإحساس بالهيبة. وقد نجحت؛ إذ رأيت ذلك في وجه آشلي التي همست في عجب: «يا إلهي»، مع اقتراب الفتاة الجديدة.

هذه الفتاة - التي ميزتُها على الفور - كانت سيليستي نيوسوم من مقاطعة كليرمونت، من الطبقة الثانية، ولم تكن تشكل تهديدًا لي. قد تظن أننا نتنافس على الشيء نفسه، لكن لا يمكنك إجبار أحد على المنافسة على شيء لا يريده.

وأخيرًا، وصلت سيليستي إلينا، فبادرتها مارلي بتحية خافتة، وحاولت أن تكون ودودة رغم الجو المشحون بالهيبة. لكن سيليستي اكتفت بالنظر إليها وأطلقت تنهيدة.

سألتْ ببرود: «متى سنغادر؟».

أجبتها دون إظهار أدنى توتر في صوتي: «لا نعلم، لقد كنتِ السبب في تأخيرنا».

لم يرقها ذلك بالطبع، وألقت عليَّ نظرة سريعة من رأسي حتى أخمص قدميَّ بامتعاض.

قالت بابتسامة عريضة: «آسفة، لكن الكثير من الناس أرادوا توديعي. لم أستطع منع ذلك»، بدا من نبرة صوتها كأن إعجاب الآخرين بها أمر بديهي لا يحتاج إلى تفسير.

قلت لنفسي: هل سأحيط نفسي بفتيات كتلك؟ يا لها من تجربة!

وهنا ظهر رجل من الباب على يسارنا.

«لقد سمعت أن الفتيات المختارات الأربع وصلن».

ردت سيليستي بنبرة ساحرة: «نعم، نحن جميعًا هنا»، وقد لمحت في عينيه كيف تأثر بحضورها، وكأنه ذاب قليلًا تحت تأثيرها. فهمت، إذن هذا هو أسلوبها في التعامل.

توقف القائد للحظة وكأن سحرها شتت تركيزه، ثم انتبه بسرعة ليقول: «حسنًا يا آنساتي، إذا تفضلتن باتباعي، سنوصلكن إلى الطائرة لتبدأن رحلتكن نحو منزلكن الجديد».

لم يكن في الرحلة ما يُخيف سوى لحظات الإقلاع والهبوط، وعدا ذلك كانت الرحلة لطيفة واستغرقت بضع ساعات فقط. عرضواعلينا أفلامًا وقدموا لنا مأكولات متنوعة، لكن كل ما رغبت به هو الاستمتاع بمشاهدة المدينة من نافذة الطائرة. كنت أراقب المناظر الطبيعية تحتنا، منبهرةً بضخامتها وجمالها.

اختارت سيليستي أن تنام طوال الرحلة، وكان ذلك هدوءًا مُرحَّبًا به. أما آشلي فقد أعدت مكتبًا صغيرًا وبدأت كتابة رسائل عن مغامرتها. كان من الذكاء أن جلبت معها ورقًا؛ فأنا أراهن أن ماي كانت ستسعد بقراءة تفاصيل هذه المرحلة من الرحلة، حتى إن لم يظهر الأمير في الصورة.

همست لي مارلي متنهدة وهي تشير برأسها نحو آشلي: «إنها راقية جدًّا، منذ اللحظة الأولى التي التقينا بها وهي تتصرف برقي وأخلاق رفيعة، ستكون منافسة قوية».

كنا نجلس وجهًا لوجه على مقعدين مريحين جدًّا في مقدمة الطائرة.

أجبتها: « يجب عليكِ عدم التفكير بهذه الطريقة، أعلم أنكِ تسعين إلى تحقيق هدفك، لكن ليس من خلال التفوق على الآخرين، بل عليكِ أن تكوني نفسك وعلى طبيعتك. من يدري؟ ربما يفضل ماكسون فتاة طبيعية أكثر».

فكرت مارلي في كلامي ثم ردت: «أعتقد أنكِ مُحقة. من الصعب ألا يعجب المرء بها، فهي لطيفة جدًّا وجميلة»، هززت رأسي موافقة، فتابعت هامسة: «أما سيليستي، من ناحية أخرى...».

فتحت عينيَّ على اتساعهما وهززت رأسي قائلة: «أنا أفهمك، لم تمضِ سوى ساعة واحدة، وها أنا أتطلع لليوم الذي ستعود فيه إلى منزلها».

غطت مارلي فمها لتخفي ضحكتها، ثم أضافت: «لا أريد أن أتحدث بسوء عن أحد، لكنها تبدو عدوانية جدًّا. وهذا كله وماكسون لم يحضر بعد، ما يجعلني أشعر بالقلق منها».

طمأنتها: «لا داعي للقلق، فالفتيات من هذا النوع غالبًا ما ينتهي بهن الأمر بإقصاء أنفسهن من المنافسة».

تنهدت مارلي وقالت: «أتمنى ذلك، أحيانًا أتمنى...».

«ماذا تتمنين؟».

«أحيانًا أتمنى لو أن أفراد الطبقة الثانية يدركون كيف يكون شعورنا عندما تتم معاملتهم بالطريقة نفسها التي يعاملوننا بها».

أومأت برأسي، فأنا لم يخطر لي من قبل أنني على مستوى الطبقة الرابعة، لكننا حقًّا نمر بتجارب مشابهة. إذا لم تكوني من الطبقة الثانية أو الثالثة، فالفارق بين الطبقات الأخرى يتلخص في أن درجة المعاناة تختلف.

ابتسمت لي مارلي وقالت: «شكرًا لكِ على التحدث معي. كنت قلقة من أن الجميع سيكونون منشغلين بأنفسهن فقط، لكنكِ وآشلي كنتما لطيفتين جدًّا. ربما ستكون هذه التجربة أكثر متعة مما توقعت». كسا الأمل نبرتها وهي تتحدث.

لم أكن متأكدة من ذلك؛ لكنني ابتسمت لها بلطف. لم يكن لديَّ سبب لرفض مارلي أو سوء معاملة آشلي. لكن ربما لن تكون الفتيات الأخريات بمثل هذه الروح المرحة.

عندما هبطنا، خيم صمت مشوب بالتوتر ونحن نقطع المسافة من الطائرة إلى الصالة، تحيط بنا الحراسة من كل جانب؛ لكن ما إن انفتحت الأبواب، حتى انقلب المشهد تمامًا واستقبلتنا صيحات عالية تصم الآذان.

كانت الصالة مليئة بحشود تقفز وتهتف لنا. امتد طريق مفروش ببساط ذهبي أمامنا، تحيط به حواجز أنيقة من الحبال المخملية. وعلى طول هذا الطريق، وقف الحراس متأهبين، يراقبون الحشد بعيون حذرة، مستعدين للتدخل عند أول بادرة تهديد. تساءلت في نفسي: حقًّا أليس هناك أمور أكثر أهمية ليقوموا بها بدلًا من ذلك؟

لحسن الحظ، كانت سيليستي في المقدمة وبدأت تلوح بيدها. أدركت على الفور أن هذا كان التصرف المناسب، وليس الاختباء عن الأنظار الذي كنت أفكر فيه. ومع وجود الكاميرات لالتقاط كل حركة نقوم بها، شعرت بسعادة مضاعفة لأنني لم أكن في المقدمة.

كان الحشد يهتف بفرح عارم، هؤلاء هم الأشخاص الذين سنعيش بالقرب منهم، وكانوا يتطلعون بشغف لرؤية الفتيات اللواتي قَدِمن إلى المدينة، إحدانا ستكون ملكتهم يومًا ما.

أدرت رأسي عشرات المرات، بينما كان الناس ينادون اسمي من كل زاوية في المحطة المزدحمة. كانت هناك لافتات تحمل اسمي أيضًا، ما جعلني أشعر بالدهشة. لقد كان هناك أناس، ليسوا من طبقتي ولا من مقاطعتي، يأملون أن أكون الفائزة. شعرت بثقل معدتي من ألم الذنب، إذ كنت أعلم أنني سأخيب آمالهم جميعًا.

خفضت رأسي للحظة، ورأيت فتاة صغيرة تضغط بجسدها على السور، لا تتجاوز الثانية عشرة من عمرها. كانت تحمل لافتة مكتوبًا عليها «الصهباوات هن الأجمل!» مع تاج صغير مرسوم في الزاوية ونجوم صغيرة متناثرة في كل مكان. أدركت أنني الصهباء الوحيدة في المسابقة، ولاحظت أن لون شعرها يتشابه مع لون شعري بشكل كبير.

كانت الفتاة تريد توقيعي، وبجانبها كان هناك شخص يريد التقاط صورة معي، وبجانبه شخص آخر يرغب في مصافحتي. وهكذا، مشيت على طول الصف تقريبًا، ملتفتة مرة أو مرتين للتحدث مع الناس على الجانب الآخر من البساط.

كنت آخر من غادر، تاركة الفتيات الأخريات ينتظرنني لأكثر من عشرين دقيقة. في الحقيقة، لم أكن لأغادر لولا وصول الطائرة التالية محملة بالمختارات الجدد، وكنت أشعر بأنه من الوقاحة أن أتطفل على وقتهن تحت الأضواء.

وبينما جلست في السيارة، لمحت سيليستي ترمقني باستنكار، لكنني لم أكترث لها. فأنا ما زلت مندهشة من نفسي؛ كيف تأقلمت بهذه السرعة مع موقف كان يملؤني بالخوف قبل لحظات. لقد اجتزت لحظات الوداع، والتقيت بأول دفعة من الفتيات، وخضت رحلة الطيران، وحتى تفاعلت مع جموع المعجبين، وكل ذلك دون أن أرتكب أي خطأ محرج.

تخيلت الكاميرات التي كانت تتبعني في المحطة، وتصورت عائلتي وهي تتابع دخولي عبر شاشة التلفاز. كل ما تمنيته في تلك اللحظة هو أن يشعروا بالفخر بي.

الفصل 9

رغم الاستقبال الضخم الذي حظينا به في المطار، فإن الطرق المؤدية إلى القصر كانت مزدحمة أيضًا بجماهير تصطف على جانبي الطريق، يهتفون بتمنياتهم الطيبة لنا. لكن من المحزن أنهم لم يسمحوا لنا بفتح النوافذ لتحيتهم. أوضح لنا الحارس في المقدمة أن علينا أن نرى أنفسنا كجزء من العائلة الملكية، حيث سيعشقنا الكثيرون، لكنَّ هناك من لن يترددوا في إيذائنا كوسيلة لإيذاء الأمير، أو حتى العائلة الملكية نفسها.

كنت بجوار سيليستي في سيارة خاصة، بها صفان من المقاعد المتقابلة في الخلف ونوافذها داكنة، بينما جلست آشلي و مارلي أمامنا معًا. كانت مارلي تبتسم بينما تنظر عبر النوافذ، وكان السبب واضحًا، فاسمها كان على العديد من اللافتات، ولا يمكن حتى إحصاء عدد معجبيها.

كان اسم آشلي يظهر هنا وهناك، تقريبًا بالقدر نفسه الذي ظهر به اسم سيليستي، وبالتأكيد أكثر من اسمي. ومع ذلك، تقبلت الآنسة الأنيقة آشلي الأمر برحابة صدر أنها لم تكن المفضلة. أما سيليستي فكان واضحًا عليها استياؤها.

همست سيليستي في أذني: «ما الذي تظنين أنها فعلته؟»، بينما كانت مارلي وآشلي تتحدثان عن المنزل.

سألتها هامسة: «ماذا تعنين؟».

«كيف أصبحت بهذه الشعبية، هل تظنين أنها دفعت رشوة لأحدهم؟». كانت عيناها الباردتان مركزتين على مارلي، وكأنها تزن قيمتها في عقلها.

قلت بشك: «إنها من الطبقة الرابعة، لا أظن أنها تملك الوسائل لرشوة أحد».

تأففت سيليستي بامتعاض: «أرجوكِ فكري قليلًا، الفتاة لديها وسائل أخرى للحصول على ما تريد»، قالت ذلك وحولت نظرها لتتأمل المنظر من النافذة.

استغرق الأمر مني بعض الوقت حتى فهمت ما كانت تُلمِّح إليه، ولم يرحني ذلك. ليس فحسب لأن مارلي، التي بدت بريئة تمامًا، لا يمكن أن تفكر في استخدام جسدها للتقدم أو حتى خرق القوانين، بل لأنني بدأت أدرك أن الحياة في القصر ستكون أكثر قسوة مما تخيلت.

اقتربنا من القصر. لم أره كاملًا، لكنني لاحظت الجدران. كانت مغطاة بالجص الأصفر الباهت وشاهقة الارتفاع. كان هناك حراس على قمتي الجدار من كلا الجانبين، وفتحت البوابة الواسعة أمامنا بينما اقتربنا. وداخل القصر، استقبلنا طريقٌ مرصوف بالحصى يمتد حول نافورة، ليقودنا إلى الأبواب الأمامية حيث كان المسئولون في استقبالنا.

حيونا سريعًا، ثم وجدت امرأتين تمسكان ذراعيَّ وتأخذانني على حين غرة إلى الداخل.

قالت إحداهما: «أعتذر عن السرعة، آنستي، لكن مجموعتك تأخرت عن الموعد».

قلت لها: «أعتقد أن ذلك خطئي، كنت اجتماعية أكثر من اللازم في المطار».

سألتني الأخرى بدهشة: «تحدثتِ مع الحشود؟».

تبادلتا نظرة لم أفهمها قبل أن تبدآ ذكر الأماكن التي نمر عليها في طريقنا.

أخبرتاني بأن غرفة الطعام على اليمين، وأن القاعة الكبرى على اليسار. لمحت حدائق شاسعة من خلال الأبواب الزجاجية وتمنيت لو كان بإمكاني التوقف وتأمل المشهد. وقبل أن أتمكن من استيعاب وجهتنا، أخذتاني إلى غرفة ضخمة مليئة بأناس منشغلين بعملهم.

تفرّق الزحام، ورأيت صفوفًا من المرايا حيث كانوا يعملون على تصفيف شعر الفتيات وطلاء أظافرهن. كانت الملابس معلقة على رفوف، وكان الناس يصيحون بعبارات مثل

«وجدت الصبغة!» و«هذا يجعلها تبدو بدينة».

«إنهم هنا».

رأيت امرأة تقترب منا، كان من الواضح أنها المسئولة عن كل شيء، قالت لي وهي تُعرّف نفسها: «أنا سيلفيا، لقد تحدثنا عبر الهاتف»، ثم بدأت العمل على الفور.

«أولًا وقبل كل شيء، نحتاج إلى صور ‹قبل التجميل›، تفضلن بالجلوس هنا»، أمرتنا وهي تشير إلى كرسي في الزاوية أمام خلفية تصوير، «لا تهتممن بالكاميرات يا فتيات. سنقوم بعمل خاص لتجميلكن؛ لأن كل فتاة في إيليا سترغب في أن تبدو مثلكن بحلول نهاية اليوم».

كانت فِرَق المصورين تتجول في الغرفة، وهم يركزون على ملابس الفتيات وأحذيتهن ويُجرون مقابلات معهن. بمجرد الانتهاء من التقاط الصور، بدأت سيلفيا إصدار الأوامر بصوت عالٍ: «خذي الآنسة سيليستي إلى الأستوديو الرابع، والآنسة آشلي إلى الخامس... ويبدو أنهم أنهوا العمل في الأستوديو العاشر؛ لذا خذي الآنسة مارلي إلى هناك، والآنسة أميريكا إلى السادس».

قال رجل قصير ذو شعر داكن وهو يسحبني إلى مقعد يحمل رقم ستة: «هناك أمر يجب مناقشته»، ثم تابع بكل جدية: «نحتاج إلى التحدث عن صورتك».

«صورتي؟»، ألم أكن مثل تلك التي في الصورة؟ أليست هذه الصورة هي ما أوصلتني إلى هنا؟

«كيف تريدين منا أن نجعلك تبدين؟ بشعرك الأحمر؟ يمكننا أن نبرزك ملكة إغراء، لكن إذا كنتِ تفضلين التخفيف من هذا التأثير، فيمكننا ترتيب الأمر أيضًا».

قلت بوضوح: «لن أغير أي شيء فيّ لأرضي شخصًا لا أعرفه».

قال كأنه يتحدث إلى طفل: «عجبًا عجبًا، هل لدينا هنا شخصية مستقلة؟».

«ألسنا جميعًا كذلك؟».

ابتسم الرجل لي وقال: «حسنًا إذن، لن نغير صورتك، بل سنعمل على تجميلها. أحتاج إلى جعلك تبدين أكثر إشراقًا قليلًا، لكن نفورك من كل ما هو زائف قد يكون أعظم ميزة لك هنا. تمسكي بذلك يا عزيزتي»، ثم ربَّت ظهري وسار بعيدًا، تاركًا مجموعة من النساء يتجمعن من حولي.

لم أدرك أنه عندما قال: «أجعلك تبدين أكثر إشراقًا»، كان يقصد ذلك حرفيًّا. حيث قامت مجموعة من النساء بفرك جسدي؛ لأنهن، على ما يبدو، لم يثقن بأنني أستطيع القيام بذلك بنفسي. ثم غطين كل جزء مكشوف من بشرتي بمرطبات وزيوت جعلتني برائحة الفانيليا، والتي، حسبما قالت الفتاة التي وضعتها، كانت من الروائح المفضلة لدى ماكسون.

بعد أن انتهين من جعل بشرتي ناعمة ولامعة، انتقلن إلى العناية بأظافري. تم تقليمها وتلميعها وإزالة الجلد الزائد حولها بشكل رائع. أخبرتهم بأنني أُفضل عدم طلاء أظافري، لكن تعبيرات خيبة الأمل على وجوههن جعلتني أوافق على طلاء أظافر قدميّ. اختارت إحدى الفتيات لونًا محايدًا جميلًا؛ لذا لم يكن الأمر سيئًا جدًّا.

تركتني فرقة العناية بأظافري وانتقلت إلى فتاة أخرى، فجلستُ هادئة في مقعدي أنتظر الجولة التالية من التجميل. مر مجموعة من المصورين وأخذوا يركزون كاميراتهم على يديّ.

أمرتني امرأة وهي تراقب يديّ بدقة: «لا تتحركي، هل لديك أي طلاء على أظافرك؟».

«لا».

تنهدت والتقطت الصورة، ثم انتقلت إلى مكان آخر.

أطلقت تنهيدة طويلة أنا الأخرى، ثم لاحظت بطرف عيني حركة مفاجئة على يميني. نظرت فرأيت فتاة تحدق إلى الفراغ بينما كانت ساقها تتحرك صعودًا وهبوطًا تحت رداء واسع يغطيها.

سألتها: «هل أنتِ بخير؟».

وكأن صوتي أيقظ الفتاة من شرودها، فأطلقتْ تنهيدة وقالت: «يريدون صبغ شعري بالأشقر. قالوا إنه سيبدو أنسب للون بشرتي، لكنني متوترة بشأن ذلك».

ابتسمت لي بخجل، فبادلتها ابتسامة هادئة، ثم قلت لها: «أنتِ سوزي، أليس كذلك؟».

ارتسمت على وجهها ابتسامة صافية وقالت: «نعم، وأنتِ أميريكا، صحيح؟». أومأت برأسي لها، ثم أضافت: «سمعت أنكِ جئتِ مع سيليستي... إنها لا تُحتمل!».

وافقتها بنظرة استياء، فمنذ وصولنا وكان صوت سيليستي يملأ المكان وهي تأمر الخادمة المسكينة بإحضار شيء أو الابتعاد عن طريقها.

همستُ لها: «صدقيني، الأمر أسوأ مما تتخيلين»، وضحكنا معًا.

ثم قلت لها: «على فكرة، شعرك جميل جدًّا» كان شعرها حقًّا فريدًا في لونه؛ ليس داكنًا جدًّا ولا فاتحًا جدًّا، كما أنه كان ثقيلًا.

«شكرًا لكِ».

تابعتُ: «إذا كنتِ راضية عنه، فلا تغيريه»، ابتسمت سوزي، لكن تلك الابتسامة حملت شيئًا من الحيرة، وكأنها لم تكن متأكدة مما إذا كنت أحاول التقرب منها أم أنني أحاول عرقلتها. وقبل أن تتمكن من الرد، وصل فريق العمل بصخبهم ليقطعوا علينا حديثنا فلم نتمكن من إنهائه.

بدأوا غسل شعري بعناية، ثم وضعوا البلسم عليه وقاموا بترطيبه وجعله ناعمًا. عندما جئت إلى هنا، كان شعري طويلًا ومتساوي الطول، وهذا كان أفضل ما استطاعت أمي القيام به. لكن عندما انتهوا، بات أقصر ببضعة سنتيمترات، مدرجًا في طبقات أضافت إليه سحرًا جديدًا. أبهرني ما فعلوه بشعري وكيف أصبح الضوء يتراقص على خصلاتي الجديدة.

بعض الفتيات خضعن لتغيير أكبر، باستخدام تشقير الخصلات الذي زادهن بريقًا، بينما أخريات، مثل سوزي، غيَّرن لون شعرهن بالكامل. أما أنا وفريقي فقد اتفقنا على أن لون شعري يجب أن يبقى كما هو.

أجرت فتاة جميلة مكياجي بعناية. طلبت منها لمسات خفيفة، فكان المكياج رقيقًا عليَّ. وبينما بدا على بعض الفتيات أنهن أصبحن أكبر أو أصغر سنًّا، أو اكتسبن جمالًا فوق جمالهن بعد المكياج، بقيت ملامحي كما هي، بنعومتها المعتادة. بالطبع لم تكن تلك الحال مع سيليستي، التي أصرَّت على ملء وجهها بالأصباغ حتى أصبح كلوحة مزدحمة بالألوان.

مررت بمعظم هذه العملية وأنا أرتدي رداء بسيطًا. وبعد أن انتهوا من تجهيزي، قادوني نحو رفوف مليئة بالفساتين. كان اسمي معلّقًا فوق شماعة بها مجموعة من الفساتين التي تكفي لأسبوع كامل. خمنت أن الأميرات المتدربات لا يُسمح لهن بارتداء السراويل.

ارتديت فستانًا بلون الكِريمة، ناعمًا كالحرير، ينزلق عن كتفيَّ ويضيق عند خصري، ويصل طوله إلى ركبتيَّ. أشارت الفتاة التي ساعدتني في ارتدائه إلى أنه فستان نهاري، وأخبرتني بأن فساتين المساء الخاصة بي تنتظرني بالفعل في غرفتي، وأن بقية الفساتين ستُنقل إلى هناك قريبًا. وضعت دبوسًا فضيًّا مزينًا باسمي عند أعلى الفستان، فأخذ يلمع تحت الضوء. أخيرًا، جعلتني أرتدي حذاءً ذا كعب صغير، ثم وجَّهتني إلى الزاوية لأخذ صورة «بعد التجميل». ومن هناك، تم توجيهي إلى أحد أكشاك التصوير الأربعة الصغيرة المصفوفة على الجدار. كل منها يحتوي على مقعد مع خلفية وكاميرا أمامه.

جلست على المقعد أنتظر كما طُلب مني. بعد لحظات، اقتربت امرأة تحمل بيدها لوحة أوراق، وطلبت مني أن أتحلي بالصبر بينما تبحث عن أوراقي.

سألتها في حيرة: «ما الغرض من ذلك؟».

«برنامج التجميل الخاص، سنعرض حلقة عن وصولكن الليلة، وستعرض حلقة التجميل يوم الأربعاء، ثم يوم الجمعة ستظهرين في النشرة للمرة الأولي. الناس شاهدوا صورك ويعرفون قليلًا من المعلومات التي كانت في استمارتك». كانت قد وجدت أوراقي ووضعتها أعلى دفتر الملاحظات. شبكت أصابعها معًا وتابعت: «لكننا نريد أن نجعل الجميع يتشوقون لكِ. وهذا لن يحدث ما لم يتمكنوا من التعرف عليكِ حقًّا؛ لذا سنجري مقابلة صغيرة هنا، وعليكِ أن تقدمي أفضل ما لديكِ في النشرات، ولا تكوني خجولة إذا التقيت بنا في القصر. لن نكون هنا كل يوم، لكننا سنكون في المكان عامةً».

قلت لها بهدوء: «حسنًا». لم تكن لديَّ رغبة في التحدث أمامهم؛ كان الأمر برمته يبدو تطفلًا بالنسبة لي.

سألتني بينما كان الضوء الأحمر يضيء فوق الكاميرا: «إذن، أنتِ أميريكا سينجر، أليس كذلك؟».

«بلى»، حاولت أن أكون هادئة وألا أُظهر التوتر في صوتي.

«بصراحة، لا يبدو أنكِ تغيرتِ كثيرًا. هل يمكنكِ أن تخبرينا عن التعديلات التي أجريتِها اليوم؟».

فكرتُ للحظة وقلت: «درجوا شعري وقد أعجبني ما فعلوه»، ثم مررت أصابعي عبر خصلات شعري الحمراء، وشعرت بمدى نعومته بعد العناية الاحترافية التي خضع لها، ثم قلت وأنا أشم ذراعي: «كما أنهم غمروني بكِريم الفانيليا، أشعر بأنني مثل قطعة حلوى».

ضحكتْ وقالت: «رائع! والفستان الذي ترتدينه يناسبكِ تمامًا».

قلت وأنا أنظر إلى ملابسي الجديدة: «شكرًا لكِ، أنا عادةً لا أرتدي الكثير من الفساتين، لذا سيتطلب الأمر بعض الوقت للتعود».

قالت المحاورة: «بالطبع، أنتِ واحدة من ثلاث فقط من الطبقة الخامسة في مسابقة الاختيار. كيف كانت تجربتكِ حتى الآن؟».

أخذت أفكر في كلمات تصف شعوري تجاه كل شيء اليوم؛ من خيبة أملي في الساحة، إلى إحساس الطيران الذي شعرت به، وإلى طمأنة مارلي وحديثنا.

أجبت: «مليئة بالمفاجآت».

علّقت المحاورة: «أعتقد أن الأيام المقبلة ستأتي بمزيد من المفاجآت».

قلت بتنهيدة: «أتمنى أن تكون تلك المفاجآت أقل صخبًا من اليوم».

«كيف تشعرين تجاه المنافسات حتى الآن؟».

أخذت لحظة للتفكير ثم أجبت: «الفتيات جميعهن لطيفات»، باستثناء واحدة بشكلٍ لافت.

قالت لي: «فهمت»، وكأنها فهمت السطور الخفية في إجابتي، ثم سألتني: «ماذا عن نتائج التجميل والتعديلات؟ هل أنتِ قلقة بشأن مظهر الأخريات؟».

فكرت في أن قول لا كان سيبدو تعجرفًا، وقول نعم سيبدو كأنني أخشى من الأخريات، فقلت لها: «أعتقد أن الفريق قام بعمل رائع في إبراز جمال كل فتاة على حدة».

ابتسمتْ: «حسنًا، أعتقد أن هذا يكفي».

«أهذا كل ما في الأمر؟».

«يجب علينا أن نتحاور مع خمس وثلاثين فتاة في ساعة ونصف ساعة؛ لذا فإن هذا كافٍ جدًّا».

«حسنًا»، لم يكن الأمر بهذا السوء كما تخيلت.

«شكرًا لوقتكِ. يمكنكِ الانتقال إلى تلك الأريكة هناك، وسيتولى أحدهم رعايتكِ».

نهضت وذهبت للجلوس على الأريكة الدائرية الكبيرة في الزاوية. جلست هناك فتاتان لم ألتقِ بهما من قبل، وكانتا تتحدثان بهدوء. جُلتُ بنظري في الغرفة ورأيت شخصًا يعلن أن الدفعة الأخيرة مقبلة.

بدأت حركة جديدة في الأستوديو، ومن شدة تركيزي على ما يحدث لم ألاحظ جلوس مارلي بجانبي.

عندما فوجئت بها هتفت باندهاش: «أوه يا مارلي! انظري إلى شعرك!».

«أرأيت ما فعلوه، لقد وضعوا فيه وصلات. أتعتقدين أن ماكسون سيعجبه ذلك؟» وبدت عليها علامات القلق حقًّا.

قلت لها بابتسامة مرحة: «بالطبع! هل هناك شاب لا يحب شقراء رائعة مثلك؟».

«أنتِ لطيفة جدًّا يا أميريكا، كل هؤلاء الناس في المطار أحبوكِ».

رددت عليها: «كنت فقط أتصرف بطلف، أنتِ أيضًا قابلتِ أشخاصًا هناك».

«نعم، لكن ليس بقدر عدد من قابلتِهم أنتِ».

خفضت رأسي قليلًا؛ خجلًا من الإطراء على شيء بدا واضحًا. عندما رفعت نظري، التفتُّ إلى الفتاتين اللتين كانتا تجلسان معنا.

لم أكن قد تعرَّفت على إيميكا براس وسامانثا لويل، لكنني كنت أعرف من هما. نظرت إليهما مجددًا، كانتا ترمقانني بنظرات غريبة. قبل أن أتمكن من تخمين السبب، اقتربت منا سيلفيا، المرأة التي رأيناها في وقت سابق، وقالت:

«حسنًا يا فتيات، هل أنتن جاهزات؟»، نظرت إلى ساعتها ثم رفعت بصرها إلينا وكأنها تتوقع منا شيئًا، ثم أردفت: «سآخذكن في جولة سريعة وأوصلكن إلى غرفكن المخصصة».

صفَّقت مارلي بيديها، ونهضنا جميعًا للرحيل. أخبرتْنا سيلفيا بأن المكان الذي كنا نتلقى فيه العناية يُعرف باسم غرفة النساء. وعادةً ما تستخدم الملكة وخادماتها وقليل من نساء العائلة هذا المكان للجلوس والتحدث.

«عليكن اعتياد على هذه الغرفة، فستقضين فيها الكثير من الوقت. عندما دخلتن الآن، مررتن بجانب القاعة الكبرى، والتي تُستخدم عادةً للحفلات والمآدب. لو كان هناك عدد أكبر منكن هنا، لكانت تلك هي القاعة التي ستتناولن فيها وجباتكن. لكن غرفة الطعام العادية كبيرة بما يكفي لتلبية احتياجاتكن. دعونا نلقِ نظرة سريعة عليها».

أطلعونا على مكان تناول العائلة الملكية الطعام، حيث يجلسون على طاولة منفردة. أما نحن فسنجلس إلى طاولات طويلة على الجانبين، والتي يتخذ ترتيبها شكل الحرف U. كانت أماكننا قد حُددت مسبقًا، ووضعت لوحات صغيرة أنيقة تحمل أسماءنا على امتداد الطاولات. تقرر أن أجلس بين آشلي وتايني لي، اللتين رأيتهما مران عبر غرفة النساء في وقت سابق، وأمام كريس أمبرس.

غادرنا قاعة الطعام وشرعنا في النزول عبر مجموعات من السلالم، حيث رأينا الغرفة التي تُستخدم لبث النشرة. عدنا إلى الطابق العلوي، وأشارت مرشدتنا إلى ممر حيث يقضي الملك وماكسون معظم وقتهما في العمل. كانت تلك المنطقة محظورة علينا.

«الطابق الثالث أيضًا محظور عليكن، فغرف العائلة الملكية الخاصة هناك، ولن يتم التسامح مع أي محاولة للاقتحام. غرفكن تقع جميعها في الطابق الثاني، ستتخذن أغلبية غرف الضيوف. لكن داعي للقلق، فلديَّنا ما يكفي من الأماكن لاستقبال أي زوار لا يأتون».

«أما هذه البوابة فتؤدي إلى الحديقة الخلفية. مرحبًا يا هيكتور، مرحبًا يا ماركسون». أومأ الحارسان عند البوابة برأسيهما لرد التحية بسرعة. استغرقت بعض الوقت لأدرك أن القوس الكبير على اليمين كان يمثل المدخل الجانبي للقاعة الكبرى، ما يعني أن غرفة النساء كانت خلف الزاوية. كنت فخورة بنفسي لأنني اكتشفت ذلك، فالقصر أشبه بمتاهة فخمة.

تابعت سيلفيا: «لا يُسمح لكُن بالخروج تحت أي ظرف من الظروف. قد يسمح لكن أحيانًا بالذهاب إلى الحديقة خلال النهار، لكن ليس دون إذن. هذه قيود تتعلق بالسلامة، فقد تمكن المتمردون من اقتحام الأسوار من قبل على الرغم من محاولاتنا لقمعهم».

سَرَت في جسدي قشعريرة عند سماع ذلك.

انعطفنا عند الزاوية وصعدنا الدرجات الضخمة إلى الطابق الثاني. كان السجاد تحت حذائي ناعمًا جدًّا، كأنني أغوص بقدمي سنتيمترين كلما خطوت خطوة، وكانت النوافذ عالية تدخل أشعة الشمس الساطعة، كما فاح عبير الزهور في كل مكان. رأيت لوحات كبيرة معلقة على الجدران، تعرض ملوك الماضي وبعض الصور لزعماء أمريكيين وكنديين قدامى. أو على الأقل هذا ما خمّنتُه لأنهم لم يرتدوا في الصور أي تيجان.

«لقد وضعنا أغراضكن بالفعل في غرفكن، ويمكنكن إخبار خادماتكن إذا لم يناسبكن الديكور. كل فتاة لديها ثلاث خادمات، وهنَّ أيضًا ينتظرن في غرفكن. سيساعدنكن على تفريغ الأمتعة والاستعداد للعشاء.

«قبل العشاء الليلة، ستجتمعن في غرفة النساء لمشاهدة حلقة خاصة من نشرة العاصمة. وستظهرن جميعًا فيها وحدكن، الأسبوع المقبل! الليلة ستشاهدن بعض اللقطات التي تم

تصويرها لكُن أثناء مغادرتكن منازلكن ووصولكن إلى هنا، وسيكون العرض مميزًا جدًّا. يجب أن تعرفن أن الأمير ماكسون لم يرَ شيئًا، ومن ثم سيشاهد ما ستشاهده إيليا كلها الليلة في التوقيت نفسه، ثم ستلتقين به رسميًّا غدًا.

«ستتناولن جميعًا العشاء كمجموعة؛ لذا سيكون لديكن الفرصة للتعرف على بعضكن، وسيبدأ المرح غدًا!».

تملَّكني القلق، فقد كان هناك الكثير من القواعد والكثير من التنظيم، والكثير من الأشخاص. تمنيت فقط أن أكون وحدي مع آلة الكمان.

تحركنا عبر الطابق الثاني، وتركوني أنا والفتيات المختارات في غرفنا. كانت غرفتي مخفية في زاوية صغيرة في ممر ضيق برفقة باريل وتايني وجينا. كنت سعيدة لأنها لم تكن في منتصف الردهة مثل غرفة مارلي. ربما أحصل على بعض الخصوصية هكذا.

بمجرد أن غادرت سيلفيا، فتحت بابي لأجد ثلاث فتيات متحمسات أمامي. كانت واحدة منهن تخيط في زاوية، والأخريان تنظفان غرفة كانت بالفعل في حالة ممتازة. هرعن نحوي وقدمن أنفسهن: لوسي وآن وماري، لكنني سرعان ما نسيت أي اسم يعود لأي منهن. وقد استغرقت وقتًا طويلًا لإقناعهن بالمغادرة، لم أُرد أن أكون فظة نظرًا لحماستهن لخدمتي، لكنني كنت بحاجة إلى بعض الوقت بمفردي.

«أنا فقط أحتاج لقسط من الراحة. أنا متأكدة من أنكن قضيتن يومًا طويلًا أيضًا في التحضير وكل ما يخص ذلك. أفضل شيء يمكنكن فعله هو تركي لأستريح، وهكذا ستحصلن أيضًا على قسط من الراحة، ويمكنكن إيقاظي عندما يحين الوقت للنزول».

توالت عبارات الشكر والانحناءات منهن، وحاولت بلطف أن أوقفهن لكن دون جدوى. ثم وجدت نفسي وحيدة، ولم يكن في الوحدة عزاء. حاولت الاستلقاء على سريري، لكن جسدي كان متوترًا، رافضًا الانسجام مع مكان بدا بكل وضوح أنه لم يكن لي.

كان هناك كمان في الزاوية، بالإضافة إلى جيتار وبيانو رائع، لكنني لم أستطع أن أجبر نفسي على العزف. كانت حقيبتي مقفلة بإحكام وموضوعة عند آخر السرير، لكن حتى إخراج ما فيها بدا لي جهدًا كبيرًا لا أحتمله. كنت أعلم أنهم أعدوا أشياء خاصة لي في خزانتي وأدراجي وحمامي، لكن لم تكن لديَّ رغبة في استكشافها.

ظل جسدي راقدًا هناك، ساكنًا. بدا كأن لحظات قليلة مرت قبل سماعي خادمات بابي يطرقن بهدوء. أدخلتهن، وسمحت لهن بأن يلبسنني رغم غرابة الأمر. ومن حماستهن للمساعدة، لم أستطع أن أطلب منهن المغادرة مرة أخرى.

رفعن أجزاء من شعري للخلف بدبابيس رقيقة وعدّلن مكياجي. كان الفستان - الذي صُنِع بأيديهن مثل بقية ملابسي- باللون الأخضر الداكن ،وطوله يصل إلى الأرض. كنت لأتعثر به لولا كعب حذائي الصغير. طرقت سيلفيا بابي في تمام الساعة السادسة لتأخذني أنا وثلاثًا من جاراتي في الممر. انتظرنا في المدخل بجوار السلم حتى جاء الجميع، ثم انطلقنا نحو غرفة النساء. عندها رأتني مارلي فسرنا معًا.

كان صوت خمسة وثلاثين حذاءً عالي الكعب يعزف سيمفونية من الخطوات الأنيقة على السلالم الرخامية. وفيما التزمت معظم الفتيات الصمت لم يخلُ المكان من بعض الهمسات. وقد لاحظت أن الأبواب كانت مغلقة بينما كنا نمر بجانب قاعة الطعام. هل كانت العائلة الملكية بالداخل الآن؟ ربما كانوا يتناولون آخر وجبة لهم كعائلة مكونة من ثلاثة أفراد.

كان من الغريب أننا ضيوفهم، لكننا لم نلتقِ بأي منهم بعد.

وجدنا عند عودتنا أن غرفة النساء تغيرت بشكل ملحوظ؛ فقد اختفت المرايا والرفوف، وحلَّ محلها طاولات وكراسي تنتشر في أرجاء الغرفة، إلى جانب أرائك بدت مريحة جدًّا.

نظرت مارلي إليَّ وأمالت برأسها نحو إحدى الأرائك، فجلسنا هناك معًا.

بمجرد أن استقررنا جميعًا، تم تشغيل التلفاز، وبدأنا مشاهدة النشرة. كانت هناك الأنباء المعتادة نفسها: تحديثات الميزانية للمشاريع، ومستجدات الحرب، وهجوم متمردين في الشرق. ثم خصص نصف الساعة الأخيرة لتعليقات جافريل على لقطات من يومنا.

«هنا الآنسة سيليستي نيوسوم تودع معجبيها الكثيرين في مقاطعة كليرمونت. استغرقت هذه الشابة الجميلة أكثر من ساعة لتترك معجبيها».

رأيت سيليستي تبتسم بتفاخر وهي تشاهد نفسها على الشاشة. كانت جالسة بجانب باريل برات، التي كان شعرها الأشقر فاتحًا لدرجة أنه بدا أبيض بينما يتدلى حتى خصرها. أما صدرها فكان كبيرًا وبارزًا من فستانها المفتوح، يغري أي رجل يمكن أن يفكر في تجاهلها.

كانت باريل جميلة، لكن جمالها كان تقليديًّا، وكان أسلوبها مشابهًا لأسلوب سيليستي. لم أكن متأكدة من السبب، لكن رؤيتهما بجانب بعضهما أثارت في ذهني المثل المعروف: أبقِ أعداءك قريبين منك. يبدو أنهما أدركتا منذ اللحظة الأولى أن كل واحدة منهما تمثل أقوى منافِسة للأخرى.

«أما البقية من جهة الشرق فقد حظين بشهرة مماثلة. آشلي بروييليت كانت هادئة وراقية، ما يميزها على الفور كسيدة أنيقة. أثناء تجولها بين الحشود، كانت تعبيراتها متواضعة وجميلة، لا تختلف كثيرًا عن تعبيرات وجه الملكة نفسها».

«أما مارلي تاميس من مقاطعة كينت فكانت مليئة بالحيوية وهي تغادر، اليوم، تغني النشيد الوطني مع فرقتها وهي تودعها».

ظهرت صور لمارلي وهي تبتسم وتعانق الناس من بلدتها على الشاشة.

«وهي المفضلة لدى عدة أشخاص قابلناهم اليوم».

أمسكت مارلي يديَّ وضغطت عليهما برفق. كان ذلك كافيًا لأتخذ قراري؛ سأكون إلى جانب مارلي وأدعمها.

«كانت تسافر برفقة الآنسة تاميس أميريكا سينجر، واحدة من ثلاث فتيات فقط من الطبقة الخامسة تمكنَّ من الوصول إلى مسابقة الاختيار». جعلوني أبدو أفضل مما شعرت به في تلك اللحظة، كل ما أتذكره هو بحثي بين الحشود وأنا حزينة. لكن اللقطات التي اختاروها لي جعلتني أبدو ناضجة ومحبوبة. وكانت صورتي وأنا أعانق والدي مؤثرة وجميلة.

ومع هذا، لم يكن ذلك شيئًا مقارنةً بالصور التي عُرضت لي في المطار.

«لكننا نعلم أن الطبقات الاجتماعية لا تعني شيئًا في مسابقة الاختيار، ويبدو أن الآنسة أميريكا لا يمكن الاستهانة بها. عند وصولها إلى أنجليس، كانت الآنسة سينجر نجمة المطار، توقفت لالتقاط الصور وتوقيع الأوتوجرافات والتحدث ببساطة مع كل من كان هناك. الآنسة أميريكا سينجر لا تخشى التفاعل المباشر مع الناس، وهي سمة يعتقد كثيرون أنها ضرورية للأميرة المقبلة».

التفت الجميع لينظرن إليَّ، ورأيت في أعينهن النظرات نفسها التي رأيتها من إيميكا و سامانثا. وفجأة، أصبحت تلك النظرات ذات معنى. لم تكن نياتي تعني لهن شيئًا، لم يدركن أنني لا أريد هذا. بل وجدنني أُشكل تهديدًا لهن، وكان واضحًا تمنيهن رحيلي.

الفصل 10

أبقيت رأسي منحنيًا طوال العشاء. في غرفة النساء كنت أستمد شجاعتي من وجود مارلي بجانبي، حيث كنت في نظرها مجرد فتاة لطيفة. لكن هنا، بين هذا الجمع، كنت أشعر بموجات من الكراهية تتسلل نحوي وتملؤني بالخوف. رفعت بصري للحظة فرأيت كريس أمبرس تعبث بشوكتها بعدوانية. أما آشلي، التي كانت تجسد الأنوثة في أبهى صورها، فكانت جالسة بوجه متجهم، تتجاهلني تمامًا. كل ما أردته حينها هو الهروب إلى غرفتي.

لم أستوعب لماذا كان كل هذا مهمًّا. حتى لو أحبني الناس، فما قيمة ذلك الحب في النهاية؟ هؤلاء الأشخاص هنا لا يملكون أي سلطة حقيقية، ولافتاتهم وهتافاتهم لا تعني شيئًا في الواقع.

بعد كل ما مررت به، لم أعد أعلم ما إذا كان يجب أن أشعر بالفخر أم الاستياء.

ركَّزت كل طاقتي على الطعام أمامي. آخر مرة تناولت فيها شريحة لحم كانت في ذكرى الميلاد قبل سنوات. أعلم أن والدتي كانت تبذل قصارى جهدها في إعداد الطعام، لكن الطعام هنا كان مختلفًا تمامًا؛ لذيذًا، وطريًّا، وغنيًّا بالنكهات. راودتني رغبة في سؤال إحداهن لو كانت توافقني الرأي بأن هذه أفضل شريحة لحم تذوقتها على الإطلاق. لو كانت مارلي بالقرب مني، لكنت طرحت السؤال عليها. نظرت حولي بحذر، فوجدتها تتحدث بهدوء مع مَن حولها.

كيف تمكنت من ذلك؟ ألم يكشف ذلك المقطع عنها فورًا كإحدى المفضلات؟ كيف استطاعت جذب الناس للحديث معها بهذه السلاسة؟

عندما وصلت الحلوى، كانت مزيجًا من الفواكه والآيس كريم بالفانيليا، وكان طعمها مذهلًا، تجربة أخرى جديدة لم أعشها من قبل. إن كان هذا هو الطعام هنا، فما الذي كنت آكله

طوال حياتي؟! تذكرت ماي وحبها الكبير للحلويات؛ كانت ستعشق هذه الحلوى بلا شك. وأظنها كانت ستتألق هنا.

لم يُسمح لنا بمغادرة العشاء حتى ينتهي الجميع، وبعد ذلك كنا مُلزمات بالذهاب مباشرة إلى الفراش.

أمرتنا سيلفيا: «ستلتقين الأمير ماكسون في الصباح، وعليكن الظهور بأفضل صورة، فهو في النهاية سيصبح زوجًا لإحداكن».

تنهدت بعض الفتيات من الفرحة عند سماع ذلك.

كان صوت نقر أحذية الفتيات على السلالم أقل وضوحًا هذه المرة. لم أُطق الانتظار حتى أخلع حذائي والفستان أيضًا. جلبت معي من منزلي مجموعة واحدة فقط من الملابس البسيطة، وكنت أفكر في ارتدائها بمجرد أن أجد الفرصة، لأشعر فقط بأنني على سجيتي ولو للحظة قصيرة.

تفرقنا عند أعلى السلم، واتجهت كل فتاة إلى غرفتها. وبينما كنت أخطو نحو غرفتي، سحبتني مارلي إلى جانبها.

سألتني بقلق: «هل أنتِ بخير؟».

«نعم، كل ما في الأمر أنه كان هناك بعض الفتيات اللاتي نظرن إليَّ بطريقة غريبة خلال العشاء»، وحاولت ألا أبدو متذمرة وأنا أخبرها بذلك.

قالت لي مارلي بنبرة لطيفة: «إنهن يشعرن فقط بالتوتر لأن الجميع أحبوكِ كثيرًا».

سألتها بفضول: «لكن الناس أحبوكِ أنتِ أيضًا، رأيت لافتات تشجيعية تحمل اسمكِ. لماذا لم تعاملك الفتيات بسوء؟».

ابتسمت مارلي وكأنها تحمل سرًّا يجب أن أفهمه وسألتني: «لم تقضي الكثير من الوقت مع الفتيات، أليس كذلك؟».

اعترفت لها: «لا، قضيت أغلبية الوقت مع إخوتي فقط».

«هل تلقيتِ تعليمكِ في المنزل؟».

«نعم».

«حسنًا، أنا نشأت وسط مجموعة من الفتيات من الطبقة الرابعة، وكنا نتعلم معًا في المنزل. لكل واحدة منهن طريقتها الخاصة في إزعاج الآخرين، وذلك عبر معرفة الشخص وإيجاد أكثر شيء يضايقه. العديد منهن يقدمن مجاملات يقصدن بها انتقادات غير مباشرة أو بعض التعليقات اللاذعة، وأشياء من هذا القبيل. أعلم أنني أبدو مرحة وواثقة من نفسي، لكنني في الحقيقة خجولة. وهن يتوهمن أن بإمكانهن إضعافي بالكلمات».

عقدتُ حاجبي في حيرة... هل فعلن ذلك عن قصد؟

«أما بالنسبة لكِ، كشخصية هادئة وغامضة بعض الشيء...».

قاطعتها: «أنا لست غامضة».

«بل غامضة قليلًا. وأحيانًا عندما لا يتحدث الشخص كثيرًا، لا يعرف الناس ما إذا كان صمته نابعًا من الثقة أم الخوف. فينتهون بالنظر إليك وكأنكِ حشرة، لجعلك فقطِ تشعرين كما لو أنكِ كذلك».

«هممم، فهمت». بدا في كلامها بعض المنطق. وتساءلت عما إذا كنتُ أثير قلق الأخريات بطريقةٍ ما دون أن أدرك.

ثم سألتها: «وماذا تفعلين إذا أردتِ التفوق عليهن في ذلك؟».

ابتسمت بثقة وقالت: «أتجاهل الأمر، أعرف فتاة في المنزل كانت تغضب بشدة عندما لا تستطيع إزعاجي، فتكتفي بالتذمر؛ لذا لا تشغلي بالك كثيرًا، كل ما عليكِ فعله هو ألا تُظهري لهن أنهن يؤثرن فيكِ».

«إنهن لا يؤثرن عليَّ».

ضحكتْ ضحكة صغيرة، كان صداها دافئًا قبل أن يتبخر في هدوء الممر، ثم قالت: «أكاد أصدقك... لكن ليس تمامًا».

ثم انتقلت إلى الأمر الأكثر أهمية في نظرها: «هل تصدقين أننا سنلتقي به في الصباح؟».

«في الحقيقة، لا أستطيع تصديق ذلك»، بدا لي ماكسون كطيف يطارد القصر، حاضر بشكل غامض، لكنه لا يُرى.

«حظًّا سعيدًا غدًا»، قالتها بصدق استشعرت فيه طيبتها.

فابتسمت وأنا أمسك يدها وقلت لها: «أتمنى لكِ حظًّا أفضل يا مارلي، أنا واثقة بأن الأمير ماكسون سيسعد كثيرًا بلقائك».

ابتسمت مارلي ابتسامة جمعت بين الحماس والخجل، ثم سارت نحو غرفتها.

عندما وصلتُ إلى غرفتي، لاحظت أن باب باريل ما زال مفتوحًا، وسمعت همساتها وهي تتحدث إلى خادمتها. وما إن رأتني حتى أغلقت الباب في وجهي دون تردد.

همست بنبرة ساخرة: «شكرًا على ذلك».

كانت خادماتي بانتظاري في الداخل، جاهزات لمساعدتي في غسل يديَّ وتغيير ملابسي، رأيتُ ثوبي الليلي على سريري، كان عبارة عن رداء أخضر رقيق. ولحسن الحظ، لم تلمس أي منهن حقيبتي.

كُنَّ ماهرات في اعتنائهن بي والقيام بكل شيء بدقة، من الواضح إتقانهن هذا الروتين اليومي لكنهن لم يتعجلن في تنفيذه. ربما كان الهدف من ذلك ضمان راحتي، لكن كل ما أردته هو أن يغادرن. لم أتمكن من تعجيلهن أثناء غسل يديَّ وفك رباط فستاني وتثبيت بطاقة اسمي الفضية على ثوبي الليلي الحريري. وبينما كُنَّ يفعلن كل تلك الأمور التي زادت بداخلي مشاعر عدم الارتياح، أخذن يطرحن الأسئلة وحاولت أن أجيبهن دون أن أكون فظة أو غير مهذبة.

نعم، أخيرًا رأيت جميع الفتيات الأخريات؛ لا، لم يتحدثن كثيرًا؛ نعم، كان العشاء رائعًا؛ لا، لن ألتقي الأمير حتى الغد؛ نعم، أشعر بإرهاق شديد.

بعدها قلت لهن على أمل أن يفهمن ويرحلن: «وسيساعدني حقًّا أن أحظى ببعض الوقت بمفردي».

رأيت خيبة الأمل على وجوههن، فحاولت استدراك الموقف بقول شيء أكثر لطفًا.

«لقد ساعدتموني وأفدتموني كثيرًا، وأنا أقدّر ذلك حقًّا. لكنني معتادة على قضاء الوقت بمفردي، ولقد ظللت مُحاطة بالناس طيلة اليوم».

ردت الفتاة المسئولة والتي أظن أن اسمها آن: «لكن يا آنسة سينجر، نحن هنا لنساعدك، هذه وظيفتنا».

نعم، كانت آن هي التي تدير الأمور، بينما كانت ماري أكثر هدوءًا، وأظن أن الفتاة الخجولة اسمها لوسي.

«أنا ممتنة لكل واحدة منكن وسأحتاج إلى مساعدتكن غدًا بكل تأكيد عندما يبدأ اليوم الجديد. لكنني أحتاج حقًّا إلى الاسترخاء، الليلة. إذا أردتن أن تفدنني، فأنا أطلب منكن تركي لبعض الوقت بمفردي. وأنا متأكدة من أن الأمور ستكون أفضل في الصباح بعد أخذكن قسطًا من الراحة، اتفقنا؟».

نظرت الفتيات إلى بعضهن، ثم ردت آن: «حسنًا، أعتقد ذلك».

قالت لوسي بتوتر: «يجب أن تبقى واحدة منا هنا أثناء نومك، في حال احتجتِ إلى أي شيء»، وبدا كأنها تخشى أي قرار سأتخذه. كانت ترتجف قليلًا بين الحين والآخر، وخمنتُ أن ذلك بسبب خجلها.

«سأقرع الجرس إذا احتجتُ إلى أي شيء. لا تقلقن، كل شيء سيكون على ما يرام، كما أنني لن أتمكن من النوم وأنا أعلم أن هناك من يراقبني».

تبادلت الفتيات النظرات مرة أخرى في تردد. كنت أعلم أن هناك طريقة واحدة لإنهاء هذا الأمر، رغم أنني كنت أكره اللجوء إليها.

«أنتن مُلزَمات بطاعة أوامري، أليس كذلك؟».

هززن رءوسهن بالموافقة، يتمنين أن آمرهن بشيء لفعله.

«إذن، آمركن جميعًا بالذهاب إلى النوم، ويمكنكن العودة لمساعدتي في الصباح».

ابتسمت آن، وبدا لي أنها بدأت تفهمني أخيرًا.

قالت إحداهن: «حسنًا آنسة سينجر، سنراكِ في الصباح». ثم انحنين بهدوء وغادرن الغرفة.

ألقت آن نظرة أخيرة قبل أن تغلق الباب، وكأنها تفكر أنني خيبت توقعاتها. لكنها لم تبدُ منزعجة كثيرًا.

بعد مغادرتهن، خلعت حذائي الفاخر ومددت أصابع قدمي بحرية على الأرض، كان شعورًا مريحًا وطبيعيًّا أن أكون حافية القدمين بعد يوم طويل. بدأت تفريغ أغراضي ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، أبقيت ملابسي العادية في حقيبتي، ثم وضعتها في خزانتي الكبيرة. وبينما فعلت ذلك، نظرت إلى الفساتين المتدلية أمامي. لم يكن هناك سوى عدد قليل منها

يكفي لأسبوع أو بضعة أيام. افترضت أن هذه هي الحال مع الجميع هنا، فمن سيصنع الكثير من الفساتين لفتاة قد تغادر في اليوم التالي؟

أخذت الصور القليلة التي أحضرتها معي لعائلتي ووضعتها على قاعدة مرآتي الواسعة، كانت طويلة وعريضة بحيث أستطيع النظر إلى الصور دون أن يقطع هذا رؤيتي لصورتي في المرآة. كان لديَّ صندوق صغير به تذكارات شخصية، كالأقراط والشرائط وأربطة الرأس التي أحبها كثيرًا. أشياء قد تبدو بسيطة جدًّا في هذا المكان، لكن جميعها قريبة من قلبي لدرجة أنه كان يجب أن أحضرها معي. وضعت الكتب القليلة التي أحضرتها على الرف بالقرب من باب شرفتي.

وحين نظرت من مدخل شرفتي رأيت الحديقة عبارة عن متاهة من المسارات المتعرجة تتخللها النافورات والمقاعد، مع أزهار تتفتح في كل مكان، وسياج مُشذّب بدقة.

وراء هذه المساحة المرسومة بعناية، كان هناك حقل مفتوح صغير، ثم غابة شاسعة تمتد بعيدًا، لدرجة أنه لم يكن بإمكاني تحديد ما إذا كانت محاطة تمامًا بجدران القصر أم أن هناك أجزاء منها خارج القصر. تساءلت للحظةٍ عن سبب وجودها، ثم عادت أفكاري إلى آخر قطعة جلبتها من منزلي وكنت أمسكها بيدي حينها.

كنت أحمل ذلك البرطمان الصغير الذي به قرش واحد، فقلّبته بين يديَّ مرارًا، واستمعت إلى صوت القرش وهو يتزحلق حول حواف البرطمان. لماذا أحضرته معي أصلًا؟ هل ليذكّرني بشيء لا يمكنني الوصول إليه؟

امتلأت عيناي بالدموع عندما فكرت في الحب الذي كنت أزرعه في مكان هادئ بعيد عن عيون العالم لسنوات وكيف أصبح بعيد المنال الآن. لم أتحمل كل تلك المشاعر، وبالأخص بعد كل التوتر والإثارة التي مررت بها اليوم. لم أعلم بعدُ المكان المناسب لوضع البرطمان هنا، لكن في الوقت الحالي وضعته على الطاولة بجانب سريري.

خفضت الأضواء وتسلّقت فوق البطانيات الفاخرة، ثم استلقيت أحدق إلى برطماني وتركت مشاعري تتملكني بينما أفكر فيه.

كيف خسرت هذا الكم من الأشياء في وقت قصير كهذا؟! كان من المفترض أن يستغرق ترك عائلتي والعيش في مكان غريب والابتعاد عن الشخص الذي أحببته سنوات من التحولات، وليس مجرد يوم واحد.

تساءلت عما كان يرغب في قوله لي قبل رحيلي، الشيء الوحيد الذي يمكنني استنتاجه هو أنه لم يجد الراحة الكافية ليعبر عنه بصوت عالٍ. هل كان ما سيقوله يتعلق بها؟

نظرت إلى البرطمان بين يديَّ.

هل كان يحاول الاعتذار؟ فقد وبخته بشدة في الليلة الماضية، ربما كان هذا هو السبب.

أو لعله انتقل إلى أحضان أخرى؟ حسنًا، لقد رأيت ذلك بنفسي بكل وضوح، شكرًا جزيلًا على تلك النهاية.

أم تراه كان يريد إخباري بأنه لم يتركني بعد؟ بأنه لا يزال يحبني؟

طردت تلك الفكرة من خاطري، لم أستطع السماح لهذا الأمل بأن يتسلل إلى داخلي. كان عليَّ أن أكرهه الآن، كان الغضب هو السلاح الوحيد الذي سيُبقي قلبي صامدًا؛ فالبقاء بعيدة عنه كان جزءًا كبيرًا من سبب وجودي هنا.

لكن الأمل كان موجعًا، ومعه جاء الحنين للمنزل. تمنيت لو كانت ماي هنا، تتسلل إلى سريري كما كانت تفعل أحيانًا لتمحو هذه الوحدة الخانقة. ثم تسلل الخوف إلى قلبي؛ خوف من أن الفتيات الأخريات يتمنين رحيلي، وأنهن سيواصلن محاولاتهن لجعلي أشعر بأنني أقل شأنًا. وفي اللحظة التالية، اجتاحني قلق آخر؛ أنني سأظل أظهر على التلفاز أمام الأمة بأكملها ما دمتُ هنا. وتسلل الرعب إلى قلبي من فكرة أن البعض قد يحاول قتلي

لمجرد إثبات موقف سياسي. كل هذه الأفكار هاجمتني دفعة واحدة وبسرعة لم أستطع مجاراتها، ولم يكن لعقلي المرهق القدرة على استيعابها بعد هذا اليوم الطويل.

بدأ كل شيء من حولي يبدو ضبابيًا، ولم أدرك حتى أنني بدأت البكاء. لم أستطع التنفس، وكان جسدي بأكمله يرتجف. ركضت إلى الشرفة، كنت في حالة هلع لدرجة أنني استغرقت وقتًا لفتح الباب لكنني تمكنت من فتحه في النهاية. ظننت أن الهواء النقي سينقذني، لكنه لم يفعل. ظللت غير قادرة على التنفس وشعرت بالبرد يزداد في صدري.

لم أشعر بأي حرية هنا، بل إن رؤية قضبان الشرفة زادت الأمر سوءًا وأشعرتني بأنني سجينة. شعرت بجدران القصر العالية ترتفع حولي، تحجب عني العالم الخارجي، والحراس على القمم يراقبون كل نفَس أتنفسه. كنت بحاجة ماسة إلى الخروج من هذا القصر، لكن من كان سيسمح بذلك؟ تسلل اليأس إلى قلبي، ما زاد شعوري بالوهن. نظرت نحو الغابة البعيدة وأنا على يقين من أنه لن يكون هناك سوى امتداد شاسع من الخضرة لا نهاية له.

استدرت وركضت بسرعة، كانت خطواتي متعثرة بسبب الدموع في عينيَّ، لكنني تمكنت من الخروج عبر الباب. ركضت في الممر الوحيد الذي أعرفه، دون أن ألتفت إلى اللوحات أو الستائر أو الزخارف الذهبية، وبصعوبة لاحظت الحراس. لم أكن أعرف القصر جيدًا لكنني كنت أعلم أنه إذا واصلت السير إلى الأسفل واتجهت في الاتجاه الصحيح، فسأصل إلى الأبواب الزجاجية الضخمة التي تؤدي إلى الحديقة.

كل ما كنت بحاجة إليه هو الخروج من تلك الأبواب.

ركضت على الدرج الفخم، وقدماي الحافيتان تصدران صوت ارتطام خافت على الرخام. مررت ببضعة حراس على طول الطريق، لكن لم يحاول أحد إيقافي، حتى وصلت إلى المكان الذي كنت أسعى إليه.

كان المكان كما في المرة السابقة، وجدت رجلين يقفان على جانبي الباب، وعندما حاولت الاندفاع للأمام، اعترضني أحدهما رافعًا رمحه ليغلق الطريق أمامي.

قال بصوت يملؤه الحزم: «عذرًا يا آنسة، عليكِ العودة إلى غرفتك»، ورغم هدوء نبرته، فإن صوته بدا كأنه دويٌّ رعد في سكون الممر.

خرجت الكلمات من فمي متقطعة، فأنا لم أستطع التنفس بشكل صحيح: «لا... لا، أحتاج... إلى الخارج».

تقدم الحارس الثاني نحوي وقال: «يجب عليكِ العودة إلى غرفتك، الآن، يا آنسة».

«من فضلك» بدأت ألهث وأنا أتحدث، شاعرة بأنني قد أفقد الوعي في أي لحظة.

عندها رأى دبوسي وقال: «آسف... أنتِ الآنسة أميريكا، أليس كذلك؟ عليكِ العودة إلى غرفتك».

«لا... لا أستطيع التنفس»، تلعثمت وأنا أكاد أنهار بين ذراعي الحارس بعد أن اقترب بما يكفي ليدفعني بعيدًا.

سقطت عصاه على الأرض، حاولت بصعوبة أن أتمسك به لكنني شعرت بدوار أكبر من بذل المجهود.

«اتركوها!» سمعت صوتًا جديدًا بدا لشاب، لكن تملأ نبرته السلطة. استدرت برأسي قليلًا ورأيت الأمير ماكسون. بدا شكله غريبًا بعض الشيء بسبب الزاوية التي كنت أنظر منها، لكنني ميزت شعره وطريقته المتصلبة في الوقوف.

بدا الحارس الأول متوترًا وهو يشرح الأمر: «لقد أُغمي عليها، جلالتك، كانت تريد الخروج». سيكون في خطر شديد إذا ألحق بي أي ضرر، فلقد أصبحت الآن من ممتلكات إيليا.

«افتحوا الأبواب».

«لكن... جلالتك...».

«افتحوا الأبواب واتركوها تخرج، الآن!».

«أمرك، يا سمو الأمير» تحرك الحارس الأول لتنفيذ الأمر وأخرج مفتاحًا. ظل رأسي مائلًا في وضعه الغريب بينما كنت أسمع أصوات المفاتيح تصطدم ببعضها ثم أحدها يدخل في القفل. نظر الأمير إليَّ في قلق بينما كنت أحاول الوقوف. ثم تسلل إلى أنفي عبير الهواء النقي، ما أعطاني الحافز الذي احتجت إليه لأكون أقوى. تخلصت من ذراعي الحارس وركضت كما لو كنت في حالة سُكر إلى الحديقة.

كنت أترنح بشدة، لكنني لم أكترث بمظهري ورشاقتي حينها، كل ما أردته هو أن أكون في الخارج. تركت الهواء الدافئ يداعب بشرتي، والعشب الناعم يلامس قدمي. حتى الطبيعة هنا بدت كأنها تولي عناية فائقة، وتعبر عن الفخامة. كنت أنوي التوغل بين الأشجار، لكن ساقيَّ خانتاني فلم أقطع سوى بضع خطوات قبل أن أنهار أمام مقعد حجري صغير. جلست هناك، ورأيت فستاني الليلي بلونه الأخضر الناعم ملوثًا بالتراب، ثم أسندت رأسي بين ذراعيَّ فوق المقعد.

لم يكن في جسدي طاقة للبكاء بصوت عالٍ؛ لذا كانت الدموع التي انهمرت هادئة. ومع ذلك، فقد استهلكتْ كل تركيزي. كيف وصلت إلى هنا؟ كيف سمحت لهذا بأن يحدث؟! ماذا سيحدث لي هنا؟ هل سأتمكن يومًا من استعادة أي جزء من حياتي السابقة؟ لم أعرف، ولم يكن هناك شيء يمكنني فعله حيال ذلك.

كنت غارقة في أفكاري لدرجة أنني لم ألاحظ أنني لم أكن وحدي حتى تحدَّث الأمير ماكسون.

سألني: «هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟».

نظرت إليه بحدة وقلت له: «لست عزيزتك». لم يكن هناك مجال للشك في الاشمئزاز الذي بدا في نبرتي وانعكس في عيني.

بدا عليه الارتباك الحقيقي من ردي وتساءل: «ما الذي فعلته لأزعجك؟ ألم أمنحك ما طلبتِه بالضبط؟»، أظنه كان يتوقع منا كلنا أن نعشقه ونشكر حظنا على وجوده.

حدقت إليه دون خوف، رغم أن تأثير نظراتي ربما كان ضعيفًا بسبب خديَّ المبللين بالدموع.

«عذرًا يا عزيزتي، هل ستستمرين في البكاء؟» سألني ذلك وقد بدا متضايقًا من الفكرة.

«لا تناديني هكذا! لست عزيزة عليك أكثر من الأربع والثلاثين فتاة اللاتي تحتجزهن في قفصك».

تقدم نحوي ولم تبدُ عليه الإهانة من كلماتي القاسية. بدا أنه... يفكر. كانت تعبيراته مثيرة للاهتمام.

كانت مشيته رشيقة بالنسبة لكونه رجلًا، وبدا مرتاحًا تمامًا وهو يخطو بالقرب مني. عندها بدأت شجاعتي تتلاشى أمام هذا الموقف المحرج. كان يرتدي بدلة أنيقة بالكامل، بينما كنت أرتجف بملابس نوم خفيفة. وكأن مكانته لم تهددني بما فيه الكفاية، فجاء سلوكه ليزيد إحساسي بالرهبة. لا بد أنه اكتسب خبرة واسعة في التعامل مع الأشخاص الغاضبين؛ فقد بدا هادئًا تمامًا وهو يجيبني.

«كلامكِ ليس عدلًا، أنتن جميعًا عزيزات عليَّ. إنها ببساطة مسألة وقت لاكتشاف من ستغدو الأعزّ».

«هل قلت: ‹ستغدو›؟».

ضحك وقال: «أخشى أنني فعلت، سامحيني فهذه هي الطريقة التي علموني التحدث بها».

تمتمت وأنا أرفع عينيَّ في استهجان: «علموك؟ هذا عبث».

سألني: «ماذا؟».

صِحت: «إنها سخافة!»، واستعدتُ عندها بعضًا من شجاعتي.

«ما الأمرالسخيف؟».

«هذه المسابقة برمتها! ألم تحب أحدًا في حياتك؟ هل هذه هي الطريقة التي تختار بها زوجتك؟ ألهذا الحد أنت سطحي؟».

تحركت قليلًا في مكاني على الأرض، ولاحظ ذلك فجعل الأمور أسهل عليَّ بأن جلس على المقعد حتى لا أضطر إلى الالتفاف نحوه، لكنني كنت غاضبة جدًّا لأشعر بأي امتنان لذلك.

«أتفهم لماذا أبدو لكِ بهذه الطريقة، وكيف أن الأمر برمته قد يبدو مجرد ترفيه رخيص. لكنني محاط بالحراس ولا ألتقي بالكثير من النساء. واللواتي ألتقيهن هن بنات لدبلوماسيين، وعادةً ما يكون لدينا القليل من الموضوعات لمناقشتها، إذا تمكنا من التحدث باللغة نفسها من الأساس».

عندها ضحك ظنًّا منه أنه قال مزحة، لكن ذلك لم يضحكني، فتدارك ذلك وتنحنح: «وبالنظر إلى تلك الظروف، لم تُتح لي الفرصة للوقوع في الحب، هل سبق لكِ أن وقعتِ في الحب؟».

قلت بكل صراحة: «نعم». وما إن خرجت الكلمة حتى تمنيت لو أستطيع استعادتها. كانت تلك مسألة خاصة ولا تعنيه في شيء.

«إذن، يبدو أنك محظوظة جدًّا»، وبدا عليه شعور بالغيرة.

تخيلوا، الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أتباهى به أمام أمير إيليا هو الشيء نفسه الذي جئت إلى هنا لأنساه.

«تزوجت والدتي ووالدي بهذه الطريقة، وهما سعيدان تمامًا، أتمنى أن أجد السعادة أيضًا مثلهما. أبحث عن امرأة يحبها جميع سكان إيليا، تكون رفيقتي وتهتم برفيقات قادة الدول الأخرى. أريد فتاة تكون صديقتي الموثوقة، لذا فأنا مستعد لإيجاد زوجتي».

لم يكن هناك أي أثر للسخرية في صوته، وهذا ما أثار انتباهي، هذه المسابقة التي بدت لي كأنها مجرد عرض ترفيهي كانت فرصته الوحيدة لتحقيق السعادة. لم يكن بإمكانه المحاولة مع دفعة ثانية من الفتيات. حسنًا، ربما يمكنه ذلك، لكن سيكون الأمر محرجًا. كان مستميتًا جدًّا ومفعمًا بالأمل لإيجاد زوجته، وشعرت بأن اشمئزازي منه بدأ يتضاءل قليلًا.

كانت عيناه مليئتين بالشفقة وهو يخاطبني: «هل تشعرين حقًّا بأن هذا قفص؟».

قلت بنبرة خافتة ضعيفة: «نعم، أشعر بذلك»، ثم أردفت بسرعة: «جلالتك».

«لقد شعرت بذلك مرات عديدة. لكن اصدقيني القول، أليس قفصًا في غاية الجمال؟».

«هذا ما يبدو لك، جرب ملء قفصك الجميل بأربعة وثلاثين رجلًا يتنافسون جميعًا على الشيء نفسه، لترى كم سيكون الأمر لطيفًا حينها».

رفع حاجبيه وقال: «هل حدث حقًّا مشاجرات بسببي؟ ألا تدركن جميعًا أنني من يختار؟».

«في الحقيقة، هن يتنافسن على شيئين. بعضهن يتقاتلن من أجلك، بينما تتقاتل أخريات من أجل التاج. ويعتقدن جميعًا أنهن توصلن بالفعل إلى ما يجب قوله وما يجب فعله ليجعلن اختيارك يقع عليهن».

هز رأسه وقال: «نعم أنتِ مُحقة، أخشى أنه من الصعب التمييز بين من تسعى وراء الرجل ومن تسعى وراء التاج».

قلت بنبرة جافة: «حظًّا سعيدًا في ذلك».

عمت فترة من الصمت بعد كلماتي الساخرة، نظرت إليه من زاوية عيني في انتظاره أن يرد، فوجدته يتأمل العشب وعلامات القلق تعلو وجهه، وبدا أن الفكرة تزعجه. ثم أخذ نفَسًا عميقًا وعاود النظر إليّ وسألني: «ماذا عنكِ، من أجل ماذا تقاتلين؟».

«في الواقع، أنا هنا مصادفة».

«مصادفة؟».

«نعم، نوعًا ما. إنها قصة طويلة، واختصارًا... أنا هنا. وأنا لا أقاتل، خطتي هي الاستمتاع بالطعام إلى أن تطردني».

ضحك بصوت عالٍ عندما قلت ذلك، حتى إنه مال باتجاه ركبتيه وأخذ يصفعهما من الضحك. كان مزيجًا غريبًا من الصلابة والمرح.

سألني: «إلام تنتمين؟».

«عذرًا، ما قصدك؟».

«من الطبقة الثانية أم الثالثة؟».

ألم يدرك ذلك حتى الآن؟ أجبت: «الخامسة».

«آه، نعم، إذن فالطعام دافعا جيدا للبقاء»، وضحك مرة أخرى ثم قال: «عذرًا، لا أستطيع قراءة الاسم على دبوسك في الظلام».

«أنا أميريكا».

«عظيم»، ثم نظر إلى الفضاء وابتسم. بدا أن هناك ما يسليه في هذا الأمر فقال: «عزيزتي أميريكا، آمل أن تجدي شيئًا في هذا القفص يستحق القتال من أجله، ستكون رؤيتك وأنتِ تحاولين فعلًا مثيرة للإعجاب».

نزل من المقعد ليجلس بجانبي، كان قريبًا جدًّا ولم أستطع التفكير بشكل صحيح. ربما كنت متأثرة قليلًا أو ما زلت أشعر بالارتباك من نوبة البكاء التي مررت بها. على أي حال، كنت مذهولة جدًّا لدرجة أنني لم أستطع الاحتجاج عندما أمسك يدي.

«إذا كان ذلك سيسعدك، فيمكنني إبلاغ الموظفين بأنك تفضلين الحديقة، عندها يمكنك الخروج إلى هنا في الليل دون أن يمنعكِ الحراس. لكنني أُفضل أن يظل هناك حارس بالقرب منك فقط لحمايتك».

كنت أرغب في ذلك، فالحرية بأي شكل من الأشكال بدت كالجنة. لكنه أراد أن يتأكد من مشاعري تمامًا لأنال تلك الحرية.

«لا... لا أظن أنني أريد شيئًا منك»، وسحبت أصابعي من قبضته الضعيفة.

بدا عليه الصدمة وكأنني جرحته وقال: «كما تشائين»، عندها شعرت بمزيد من الأسف، فأنا لا أحبه لكن هذا لا يعني أن أجرح مشاعره.

سألني: «هل ستعودين إلى الداخل قريبًا؟».

أجبته وأنا أنظر إلى الأرض: «نعم»، وتنفست بعمق.

«إذن، سأتركك وحدك مع أفكارك. سيكون هناك حارس بالقرب من الباب في انتظارك».

هززت له رأسي وشكرته: «شكرًا... جلالتك». وفكرت كم مرة أخطأت في مخاطبته بشكل غير صحيح خلال هذه المحادثة؟

أمسك بيدي مرة أخرى وقال: «عزيزتي أميريكا، ألا تسدين لي خدمة؟».

نظرت إليه وأنا غير متأكدة مما أقول: «ربما».

ابتسم مجددًا وقال: «لا تخبري الآخرين بهذا اللقاء، فمن المفترض ألا ألتقي بكُنَّ حتى الغد، ولا أريد أن يزعج ذلك أحدًا. على الرغم من أنني لا أصف صراخك في وجهي بأنه لقاء رومانسي، هلّا قبلتِ؟».

ابتسمت وقلت له: «بالتأكيد!»، ثم أخذت نفَسًا عميقًا وقلت: «لن أخبر أحدًا».

«شكرًا لكِ»، أخذ يدي التي كان ممسكًا بها وقبّلها برفق. ثم ابتعد قائلًا: «تصبحين على خير».

نظرتُ إلى أثر القبلة الدافئ على يدي وأنا مندهشة للحظات. ثم التفتُّ لأراقب ماكسون وهو يبتعد، مانحًا إياي الخصوصية التي أردتها طيلة هذا اليوم.

الفصل 11

في الصباح، دخلت الخادمات وملأن الحمام بالماء وأصبح جاهزًا، وعلى الرغم من ذلك، لم أسمع أي صوت، بل استيقظتُ من أثر الضوء الذي تسلل من نافذتي، بينما كانت آن تسحب الستائر الثقيلة الفاخرة بلطف. كانت تهمس بأغنية هادئة، سعيدة بمهمتها.

لم أكن جاهزة للقيام بعد، لقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا لأهدأ بعد ثورتي ليلة البارحة، ووقتًا أطول للاسترخاء بعد أن أدركت كيف ستؤثر تلك المحادثة في الحديقة عليَّ.
سأعتذر لماكسون إذا سنحت لي الفرصة، فستكون معجزة إذا سمح لي بالاعتذار له بعد ما حدث.

«هل استيقظتِ، آنستي؟».

تذمرت ودفنت رأسي في الوسادة: «لاااا»، لم أحصل على قسط كافٍ من النوم، وكان السرير مريحًا جدًّا، لكن آن وماري ولوسي ضحكن من تذمري، ما جعلني أبتسم وأقرر أن أبدأ التحرك.

ربما تكون هؤلاء الفتيات هنَّ الأقرب إلى التوافق معي في القصر. تساءلت عما إن كان بإمكانهن أن يصبحن صديقات مقربات لي، أو إذا كانت التدريبات والبروتوكول الخاص بالطبقات لن يمكّنهن حتى من تناول كوب من الشاي معي. على الرغم من أنني وُلدت من الطبقة الخامسة، لكنني أصبحت أُعامَل كفرد من الطبقة الثالثة الآن. وإذا كنَّ خادمات، فهذا يعني أنهن جميعًا من الطبقة السادسة.

لكن ذلك لا يسبب لي أي مشكلة، فأنا أستمتع بصحبة أفراد الطبقة السادسة.

تقدمت ببطء إلى الحمام الضخم، وكل خطوة تردد صداها في المكان. وعلى المرايا الطويلة، التقت عيناي بنظرة لوسي وهي تتفحص بقع الأوساخ العالقة بثوبي الليلي. ثم لمحت عينيا آن الحذرتين، ونظرة ماري نحوي.

لحسن الحظ، لم يطرحن أي أسئلة. في الليلة السابقة، كنت أرى في فضولهن تدخلًا مزعجًا، لكنني أدركت الآن أنني كنت مخطئة. لم يكن اهتمامهن المفرط تطفلًا بقدر ما كان حرصًا على راحتي. لو حاولن سؤالي عن سبب وجودي خارج غرفتي، ناهيك بمغادرتي القصر في تلك الساعة، لكان ذلك قد أثار فيَّ توترًا لم أكن بحاجة إليه. اكتفين بإزالة الثوب عني برفق، ثم قدنني نحو الحمام.

لم أكن معتادة التعري أمام أي شخص، حتى أمام والدتي وماي، لكن بدا أنه لا مفر من ذلك. هؤلاء الثلاثة سيقمن بإلباسي طوال فترة وجودي هنا، لذا كان عليَّ أن أتحمل الأمر حتى أغادر. كنت أتساءل عما سيحدث لهن عندما أرحل. هل سيتم تعيينهن للاعتناء بفتيات أخريات سيحتجن إلى مزيد من الاهتمام عندما تحتد المنافسة؟ هل كانت لديهن وظائف أخرى في القصر تم إعفاؤهن منها مؤقتًا؟ كان من غير اللائق أن أسأل عما كُنَّ يفعلنه سابقًا أو أن أشير إلى أنني سأغادر قريبًا، لذا تجنبت ذلك.

بعد انتهائي من الاستحمام، جففت آن شعري ورفعت نصفه بأشرطة زرقاء جلبتها من المنزل. كانت هذه الأشرطة تتناغم مع الزهور في إحدى فساتين النهار التي صممتها لي الخادمات، لذا اخترت أن أرتديها. وضعت لي ماري مكياجًا خفيفًا، تمامًا كما في اليوم السابق، بينما دهنت لوسي ذراعيَّ وساقيَّ بالكِريمات.

كانت هناك مجموعة متنوعة من المجوهرات للاختيار منها، لكنني طلبت صندوقي الخاص. كانت بها قلادة صغيرة على شكل طائر مُغرِّد منحني إياها والدي، وكانت فضية؛ لذا كانت تلائم دبوسي الذي حمل اسمي. أخذت أيضًا قرطًا من المجوهرات الملكية، واخترت أصغر الأقراط في المجموعة.

نظرت إليَّ آن وماري ولوسي وابتسمن عند رؤية النتيجة، عددتها إشارة إلى أنني كنت ذات مظهر جيد بما يكفي للخروج إلى الإفطار. بعدها انحنين لي وابتسمن وتمنين حظًّا سعيدًا بينما أهمُّ بالذهاب، أما لوسي فراحت يداها ترتعشان مرة أخرى.

دخلت الردهة بالأعلى حيث التقينا جميعًا بالأمس. كنت أول مَن وصل، فجلست على أريكة صغيرة أنتظر قدوم البقية. لم يطل الانتظار حتى بدأت الفتيات التوافد واحدة تلو الأخرى. وسرعان ما لاحظت سمة مشتركة، جميعهن بدون مذهلات بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كان شعر كل واحدة مرفوعًا بتسريحة متقنة، تتنوع بين الضفائر والتموجات، مصفوفة بحيث تبتعد عن وجوههن، أما المكياج فقد بدا كأنه وُضع بريشة فنان، والفساتين أيضًا كانت منسقة إلى درجة الكمال.

ربما اخترت أبسط فساتيني لليوم الأول، في حين أضفت الأخريات لمسات على ملابسهن جعلت لها بريقًا خاصًّا. رأيت فتاتين تدخلان الردهة، وسرعان ما اتضح أنهما ترتديان مثل تصميم الفستان نفسه تقريبًا. لم تستغرقا وقتًا في التردد؛ إذ عادت كل واحدة منهما لتبديل ملابسها على الفور. كان واضحًا أن الجميع أراد أن يتميز، وكل واحدة نجحت في ذلك بطريقتها الخاصة، حتى أنا، على طريقتي.

بدا الجميع هنا كأنهم ينتمون إلى الطبقة الأولى، بينما بدوت من الطبقة الخامسة في فستان لطيف ليس أكثر.

كنت قد ظننت أنني استغرقت وقتًا طويلًا في التحضير، لكن الفتيات الأخريات قضين وقتًا أطول بكثير. حتى عندما وصلت سيلفيا لمرافقتنا إلى الطابق السفلي، كان علينا انتظار سيليستي وتايني. كانت تايني صغيرة الحجم، وكان لا بد من تعديل فستانها لتتناسب قياساته معها.

عندما تجمعنا أخيرًا، بدأنا التوجه نحو السلم الكبير. كان على الحائط مرآة مذهَّبة، ألقينا جميعًا من خلالها نظرة أخيرة على أنفسنا قبل النزول. التفتُّ سريعًا نحوها، فرأيت نفسي

واقفة بجوار مارلي وتايني، وبدا مظهري بسيطًا جدًّا مقارنة بهما.

لكنني على الأقل كنت أبدو كنفسي، وهذا كان عزاءً بسيطًا وسط كل ذلك.

نزلنا السلم معتقدات أنهم سيأخذوننا إلى غرفة الطعام، حيث كنا نتوقع تناول وجبة شهية. لكن بدلًا من ذلك، وجدنا أنفسنا في القاعة الكبرى. حيث تم إعداد طاولات وكراسي فردية في عدة صفوف، وكل طاولة مجهزة بأطباق وكئوس وأدوات مائدة. لم يكن هناك أي طعام، حتى إنه لم يكن هناك تلك الرائحة المألوفة التي تثير الشهية. في مقدمة القاعة، عند إحدى الزوايا، لاحظت مجموعة صغيرة من الأرائك. كان هناك بعض المصورين يتحركون بين أرجاء الغرفة ويلتقطون لنا صورًا للحظة وصولنا.

جلسنا جميعًا أينما أردنا، حيث لم تكن هناك بطاقات تحدد جلوسنا، فاختارت كل واحدة المكان الذي تفضله. كانت مارلي في الصف الأمامي قبالتي، بينما جلسَت آشلي إلى يميني. لم أهتم بتكوين صداقات مع أخريات هنا. وبدا أن العديد من الأشخاص كوَّنوا على الأقل حليفًا واحدًا، كما فعلت أنا مع مارلي. اختارت آشلي الجلوس بجانبي؛ لذا افترضت أنها ترغب في صحبتي، لكنها لم تتحدث، ربما كانت منزعجة من التقارير الإخبارية ليلة أمس، كما أنها كانت هادئة أيضًا عندما التقينا، لذا غالبًا هذا هو طبعها. قررت أن أسلِّم عليها على الأقل، وفكرت أن أسوأ تصرف قد يصدر منها سيكون تجاهلي وعدم الرد عليَّ. قلت لها: «آشلي، تبدين رائعة».

ردت بهدوء: «أوه، شكرًا لكِ».

ألقينا معًا نظرة سريعة للتأكد من أن المصورين كانوا بعيدين بما يكفي، ليس لأن حديثنا كان خاصًّا، لكن من يرغب في أن يلتقط الناس كل تفاصيل حياته؟

ثم تابعت حديثها: «أليس من الممتع ارتداء كل هذه المجوهرات؟ أين مجوهراتك؟» .

« كانت ثقيلة عليَّ، لذا قررت أن أختار شيئًا أخف».

«إنها ثقيلة حقًّا! أشعر كأنني أحمل عشرة كيلوجرامات على رأسي. ومع ذلك لم أستطع مقاومة ارتدائها، مَن يدري كم من الوقت سنبقى هنا؟».

وجدت ذلك مضحكًا، بدت آشلي واثقة إلى حد كبير منذ اللحظة الأولى، بمظهرها وسلوكها، كانت تبدو كأنها الأميرة المثالية. كان غريبًا أن أراها تشك في نفسها.

سألتها: «لكن، ألا تعتقدين أنكِ ستفوزين؟».

ابتسمت وهمست: «بالطبع، لكن من الوقاحة أن أقول ذلك!» ثم غمزت لي، ما جعلني أضحك.

ويا لها من زلة! فضحكتي تلك لفتت انتباه سيلفيا التي دخلت الغرفة وقتها.

«يا إلهي، يجب ألا ترفع سيدة محترمة صوتها أبدًا سوى بهمسات رقيقة».

عندها تلاشت الهمسات. وتساءلت عما إذا كانت الكاميرات قد التقطت زلتي، وشعرت بحرارة تتصاعد إلى وجنتي من الإحراج.

«مرحبًا مجددًا يا آنساتي. آمل أنكن قد نلتن قسطًا كافيًا من الراحة في ليلتكن الأولى بالقصر لأن عملنا سيبدأ الآن. اليوم سأبدأ تعليمكن قواعد السلوك والبروتوكول، وهي عملية ستستمر طوال فترة إقامتكن. أرجو أن تفهمن أنني سأبلِّغ العائلة الملكية بأي أخطاء قد ترتكبنها».

«أعلم أن هذا يبدو صارمًا، لكنه ليس لعبة تؤخذ باستخفاف. واحدة منكن في هذه الغرفة ستكون الأميرة المقبلة لإيليا، وهي ليست بالمهمة البسيطة. يجب أن تسعين للارتقاء بأنفسكن، بغض النظر عن وضعكن السابق. سوف تصبحن آنسات راقيات من الرأس حتى أخمص القدم، وستتلقين أول درس لكُنَّ صباح اليوم».

«آداب المائدة مسألة في غاية الأهمية، وقبل تناولكن الطعام أمام العائلة الملكية، يجب أن تكُنَّ على دراية ببعض قواعد الإتيكيت. كلما أسرعنا في استيعاب هذا الدرس الصغير، حصلتن على إفطاركن بشكل أسرع؛ لذا أرجو منكن الانتباه».

بدأت تشرح لنا كيف سيتم تقديم الطعام من الجهة اليمنى، وأنواع الكئوس المخصصة لكل نوع من المشروبات، وشددتْ على ضرورة عدم مد اليد مباشرة لأخذ المعجنات، بل استخدام الملقط في كل مرة. وأضافت أنه إذا لم تكن أيدينا مشغولة، فيجب أن تستقر بهدوء على الفخذين، مع وضع المنديل تحتهما. ويُمنع الحديث على الطاولة إلا إذا وُجِّه إلينا الكلام مباشرة. ومع ذلك يمكننا تبادل بعض الأحاديث الخافتة مع الجالسات بجوارنا، لكن علينا دومًا الحفاظ على نبرة صوت تتناسب مع هيبة القصر، ونظرت إليَّ بجدية وهي تقدم تلك الملاحظة الأخيرة.

واصلت سيلفيا شرحها بنبرة راقية، لكن صوت معدتي بدأ يعلو من الجوع، رغم أن وجبات المنزل كانت بسيطة،لكنني كنت معتادة تناول ثلاث وجبات يوميًّا. شعرت بأن حاجتي للطعام تزداد إلحاحًا، ومعها بدأ الانزعاج يتسلل إلى ملامحي. عندها، قطع صوت طَرْق خفيف على الباب حديث سيلفيا.

تراجع الحارسان خطوة إلى الخلف، وظهر الأمير ماكسون وهو يدخل القاعة.

قال بصوت عالٍ: «صباح الخير، آنساتي».

كان تأثير حضوره فوريًّا، فسرعان ما جلست الفتيات بطريقة صحيحة، وأُلقين بخصلات شعرهن خلف أكتافهن، وأُعدن ترتيب أطراف فساتينهن. لم ألتفت نحوه مباشرة؛ بدلًا من ذلك، وجَّهت نظري نحو أشلي، التي بدأ صدرها يتحرك بسرعة. كانت تحدق إلى الأمير بطريقةٍ جعلتني أشعر بالحرج لمجرد ملاحظتي ذلك.

قالت سيلفيا بانحناءة: «جلالتك».

«مرحبًا سيلفيا، إذا لم تمانعي، أود أن أُعرِّف نفسي لهؤلاء الشابات».

أجابت بانحناءة أخرى: «بالطبع، سموَّك».

أخذ الأمير ماكسون يطوف بنظره في أنحاء الغرفة، إلى أن توقفت عيناه عندي. التقت نظراتنا للحظة قصيرة، وابتسم ابتسامة لم أكن أتوقعها. للحظةٍ، كنت أظن أنه غيَّر رأيه، الليلة الماضية، بشأن الطريقة التي سيتعامل بها معي، وتوقعت أن يقوم بتوبيخي أمام الجميع على تصرفاتي. لكن على ما يبدو، لم يكن غاضبًا على الإطلاق. لعله كان يجدني مسلِّية. من المؤكد أنه يشعر بالملل الشديد هنا. أيًّا كان السبب، فقد بعثت تلك الابتسامة الصغيرة في داخلي الطمأنينة، وجعلتني أرى أن التجربة قد لا تكون بالسوء الذي تخيلته. عندها فقط، استقر في ذهني القرار الذي عجزت عن اتخاذه طوال الليل، سأعتذر له، وآمل أن يمنحني الأمير ماكسون الفرصة لذلك.

«آنساتي، إذا سمحتن لي، سأستدعي كل واحدة منكن على حدة لتقابلني. أعلم أنكن جميعًا تتقن لتناول الطعام، وأنا كذلك؛ لذا لن أستغرق وقتًا طويلًا. اعذرنني إذا وجدْتنَّ أنني أستغرق وقتًا في تذكر الأسماء؛ فهناك الكثير منكن».

تردد صدى ضحكات خافتة في الأجواء، وبسرعة توجَّه الأمير ماكسون نحو إحدى الفتيات الجالسات في الصف الأمامي إلى اليمين، ورافقها إلى الأريكة القريبة. تبادلا الحديث لبضع دقائق قبل أن ينهضا معًا. انحنى لها باحترام، فردَّت بانحناءة خفيفة ثم عادت إلى مكانها. ما إن جلست حتى مالت نحو الفتاة بجانبها وهمست بشيء، وبدأت الدورة من جديد.

كانت هذه المحادثات قصيرة، بحيث تستغرق بضع دقائق فقط لكل فتاة، كما أن الحديث كان بصوت منخفض، حيث كان يسعى لتكوين انطباع سريع عن كل واحدة منهن في أقل من خمس دقائق.

تمتمت مارلي وهي تميل برأسها نحوي: «أتساءل: ما الذي يحاول معرفته تحديدًا».

همستُ لها: «ربما يريد أن يعرف مَن الممثلون الأكثر وسامة، في رأيك. جهِّزي قائمتك في ذهنك»، فأخذت مارلي وآشلي تضحكان على تعليقي.

لم نكن الوحيدات اللواتي نتحدث. ارتفعت الأصوات في الغرفة كهمسات هادئة، حيث حاولنا جميعًا تشتيت أنفسنا حتى يحين دورنا. ولم يكن هذا كل شيء، فقد كان المصورون يتنقلون بين الفتيات، يسألنهن عن يومهن الأول في القصر، وعن رأيهن بخصوص خادماتهن، وأشياء من هذا القبيل. وعندما توقفوا عندي أنا وآشلي، تركت لها كل الحديث.

ظللت أنظر إلى الأرائك حيث كانت كل واحدة من المختارات تجري مقابلتها. بعضهن كنَّ هادئات ويتصرفن بلباقة، بينما كانت الأخريات يتحركن بحماس. احمرَّ وجه مارلي خجلًا وهي تتوجه نحو الأمير ماكسون، وكانت تتألق من الفرحة حين عادت. كانت آشلي تعدل فستانها عدة مرات، كأن لديها عادة عصبية.

ازداد توتري عندما عادت، حيث عنى ذلك أن دوري قد حان. أخذت نفَسًا عميقًا لأستجمع شجاعتي، كنت على وشك أن أطلب منه معروفًا كبيرًا.

وقف واقترب ليقرأ اسمي على الدبوس عندما اقتربت، قال بابتسامة ترتسم على شفتيه: «أميريكا، أليس كذلك؟».

«بلى، هذا اسمي، وأعتقد أنني سمعت اسمك من قبل، لكن هل يمكنك تذكيري به؟».
تساءلت عما إن كان البدء بمزحة فكرة سيئة، لكن ماكسون ضحك وأشار لي بالجلوس.

ثم مال نحو الأمام وهمس: «هل نمتِ جيدًا، عزيزتي؟».

لم أكن أعلم كيف بدت التعبيرات على وجهي ردًا على ذلك الاسم، لكنَّ عينيْ ماكسون تألقتا بسعادة.

أجبته لكنْ هذه المرة بابتسامة: «لم نتعرف جيدًا كي تقول لي: عزيزتي، لكن نعم، لقد نمت جيدًا بمجرد أن هدأت. كادت خادماتي يحملنني بأنفسهن من فوق السرير؛ لأنني كنت في غاية الراحة».

«يسعدني أنكِ شعرت بالراحة، يا عزيز... يا أميريكا».

«شكرًا لك». أخذت أعبث بقماش فستاني للحظة، محاولة التفكير في كيفية الاعتذار بشكل صحيح، ثم تابعت: «أنا آسفة جدًّا لأنني كنت قاسية عليك. أدركت عندما كنت أحاول النوم أنه لم يكن عليَّ لومك، علي الرغم من أن هذا الوضع غريب لي. أنت لست السبب في كوني هنا، كما أن مسابقة الاختيار ليست فكرتك. كنتُ أشعر بالبؤس والحزن، وكنتَ لطيفًا معي. لكنني كنت فظّة جدًّا معك، لا أستطيع التفكير في كلمة أخرى لوصف تصرفي. كان بإمكانك طردي، الليلة الماضية، لكنك لم تفعل؛ لذا شكرًا لك».

كانت عينا ماكسون مليئتين بالحنان. أراهن أن كل فتاة قبلي ذاب قلبها بالفعل بسبب نظرته هذه. كنت لأنزعج من نظره إليَّ بهذه الطريقة، لكن من الواضح أنها جزء من طبيعته. انحنى برأسه للحظة، وعندما نظر إليَّ مرة أخرى، مال إلى الأمام وأسند كوعيه إلى ركبتيه كما لو أنه يريدني أن أستوعب أهمية ما سيقوله بعد ذلك.

«أميريكا، لقد كنتِ صريحة جدًّا معي حتى الآن، وهذه صفة أُقدِّرها بعمق. سأطلب منكِ بلطف أن تجيبي عن سؤال واحد».

أومأتُ برأسي، وأنا قلقة قليلًا مما يريد معرفته. اقترب أكثر ليهمس لي: «لقد قلتِ إنكِ هنا مصادفة؛ لذا أفترض أنكِ لا ترغبين في الوجود هنا. هل هناك أي احتمال بأن تشعري بأي نوع من... المشاعر تجاهي؟».

لم أستطع إلا أن أشعر ببعض التململ. لم أرغب حقًّا في إيذاء مشاعره، لكن لم يكن بوسعي خداعه في هذه المسألة.

«أنت طيب جدًّا، جلالتك، وجذاب وتراعي الآخرين». ابتسم عند سماعه ذلك. بعدها قلت بصوت خافت: «لكن لأسبابٍ جدية، لا أظن أنني أستطيع الشعور بأي أحاسيس تجاهك».

«هل يمكنك أن تفسرِّي أكثر؟». أخفى مشاعره ولم تظهر على وجهه، لكنني استطعت فهم خيبة الأمل التي سبَّبها رفضي السريع، وأظن أنه لم يكن معتادًا ذلك.

لم يكن شيئًا أرغب في مشاركته، لكن لا أظن أن شيئًا آخر سيجعله يفهمني جيدًا. همست له بالحقيقة بصوت لا يكاد يُسمَع: «أخشى أن قلبي مع شخص آخر»، عندها شعرت بأن دموعي بدأت تتجمع في عينيَّ.

رد ماكسون وقد بدا القلق على وجهه : «أرجوكِ لا تبكي! لا أعلم كيف أتصرف عندما تبكي النساء».

أضحكني هذا الموقف وتوقفت الدموع في الحال، وبلا شك كان الارتياح على وجهه جليًّا لا يمكن إنكاره.

سألني: «هل ترغبين في أن أسمح لك بالذهاب إلى حبيبك، اليوم؟».

كان من الواضح أن فكرة تفضيلي شخصًا آخر أزعجته، لكن بدلًا من الانفعال، اختار أن يُظهر تعاطفًا، وهو ما مسَّني بعمق، تلك اللفتة اللطيفة جعلتني أثق به أكثر.

قلت له: «المشكلة... أنني لا أريد العودة إلى المنزل».

مرّر أصابعه بين خصلات شعره وقال: «حقًّا؟»، ولم أتمالك نفسي من الضحك مرة أخرى للارتباك الذي بدا عليه.

«هل لي أن أكون صادقة تمامًا معك؟».

أومأ برأسه، فتنفست بعمق قبل أن أقول: «أحتاج إلى أن أبقى هنا، عائلتي بحاجة إلى أن أظل هنا. حتى لو سمحت لي بالبقاء لأسبوع فقط، فسيكون ذلك خيرًا لهم».

«أتعنين أنك بحاجة إلى المال؟».

تسلل الشعور بالذنب إلى قلبي عند اعترافي: «نعم»، شعرت كأنني أستغله، وربما كنت أفعل ذلك، لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة.

قلت وأنا أنظر إليه: «أيضًا... هناك أشخاص في المنزل لا أتحمَّل رؤيتهم الآن».

ظل ماكسون صامتًا، لكنه أومأ برأسه بإيماءة صغيرة تُظهر تفهمه.

ترددت قليلًا، وفكرت أن أسوأ ما قد يحدث هو أن يتم إرسالي إلى المنزل، على أي حال. لذا قررت أن أكمل حديثي وعرضت عليه شيئًا: «إذا كنت مستعدًّا للسماح لي بالبقاء، ولو لفترة قصيرة... فسأكون مستعدة لتقديم شيء في المقابل».

رفع حاجبيه بدهشة وقال: «شيء في المقابل؟».

عضضت على شفتيَّ بتردد، ثم قلت: «إذا سمحت لي بالبقاء...» بدأت بقول تلك الجملة، لكنَّها بدت سخيفة حتى في أذني. فغيَّرت مجرى الحديث بسرعة: «حسنًا، انظر إلى نفسك، أنت الأمير مشغول طوال اليوم بإدارة شئون البلاد وكل هذه المسئوليات، وفوق ذلك، من المفترض أن تجد الوقت لاختيار فتاة واحدة من بين خمس وثلاثين... لا، أربع وثلاثين فتاة؟ هذا ليس بالأمر السهل، أليس كذلك؟».

أومأ برأسه ولاحظت عليه الإرهاق بمجرد التفكير في ذلك.

«ألا تعتقد أنه سيكون من الأسهل لو كان لديك شخص يساعدك من الداخل؟ شخص يعرف التفاصيل الصغيرة؟ صديق مثلًا؟».

«صديق؟».

«نعم، دعني أبق هنا. وسأساعدك، سأكون صديقتك».

ابتسم حين سمع كلماتي، فتابعت حديثي: «لا داعي للقلق بشأن محاولة كسب ودِّي. أنت تعلم بالفعل أنني لا أملك مشاعر تجاهك بهذا الشكل. لكن يمكنك التحدث إليَّ متى شئت، وسأبذل قصارى جهدي لمساعدتك. لقد قلت البارحة إنك تبحث عن شخص تثق به. حسنًا، إلى أن تجد ذلك الشخص... يمكنني أن أكون حاليًّا هذا الشخص بالنسبة لك، فقط إذا أردت».

كانت نظرته حانية، لكن خلفها يكمن حذر خفي، وقال: «لقد قابلت تقريبًا كل امرأة في هذه الغرفة، ولا أستطيع التفكير في صديقة أفضل منك. سأكون سعيدًا إن بقيتِ».

شعرت براحة عميقة لا توصف، وكأن ثِقلًا كبيرًا زال عن كاهلي.

ثم سأل ماكسون: «هل تعتقدين... أن بإمكاني أن أناديكِ عزيزتي؟».

همست له: «ليس هناك أي فرصة لذلك».

«سأستمر في المحاولة، الاستسلام ليس من طبعي». بدا صادقًا في هذا، ووجدت هذا مزعجًا.

نظرت نحو بقية الغرفة وأومأت برأسي: «هل ناديتهن جميعًا بذلك؟».

«نعم، وجميعهن بلا استثناء أحببن ذلك».

«وهذا بالضبط السبب الذي يجعلني أطلب منك عدم مناداتي بذلك»، ثم نهضت من مقعدي.

انفجر ماكسون ضاحكًا وهو يقوم معي، ولم أستطع منع ابتسامة صغيرة من التسلل إلى وجهي، رغم أنني كنت أحاول تصنُّع العبوس، إلا أن الأمر كان مضحكًا بشكل ما.

انحنى لي، ورددت التحيَّة بابتسامة خفيفة، ثم عدت إلى مقعدي.

كنت جائعة إلى درجةٍ شعرت معها بأن الزمن توقّف تمامًا بينما كان يقابل الصفوف الأخيرة من الفتيات. لكن أخيرًا، جلست آخر فتاة في مقعدها، وبدأت أنتظر بفارغ الصبر أول إفطار لي في القصر.

تقدَّم ماكسون إلى وسط الغرفة، ونظر إلى الحاضرات وقال: «لجميع من طلبتُ منهن الانتظار في الخلف، برجاء البقاء في مقاعدكن. أما من لم أطلب منهن ذلك، فرجاءً اتّبعن سيلفيا إلى قاعة الطعام، وسأكون معكن قريبًا».

من طلب منهن البقاء؟ وماذا يعني هذا؟

وقفت، كما فعلت معظم الفتيات، وبدأت المشي. لا بد أن الأمير أراد بعض الوقت الخاص مع الفتيات المتبقيات. لم أستغرب عندما رأيت أن آشلي كانت واحدة منهن، هي ببساطة تبدو كأنها وُلدت لتكون أميرة، لكنني لم أكن قد تعرفت على باقي الفتيات، ولم يكُنَّ مهتمات بالتعرف عليَّ من الأساس.

ظلت الكاميرات خلفنا، على أهبة الاستعداد لالتقاط أي لحظة مميزة قد تحين. وواصلنا نحن السير إلى الأمام.

دخلنا قاعة الولائم، حيث بدت هيبة الملك كلاركسون والملكة أمبيرلي تفوق كل ما تخيّلته. كان هناك المزيد من المصورين في الداخل، يلتقطون صورًا لهذا اللقاء الأول.

ترددت في مكاني، متسائلة عما إذا ما كان ينبغي علينا جميعًا التراجع إلى الباب وانتظار دعوة رسمية للدخول.

لكن معظم الفتيات - وإن بدا عليهن بعض التردد- واصلن السير. لحقت بهن بسرعة، متجهة إلى مقعدي، آملة ألا أكون قد جذبت الانتباه إلى نفسي.

بعد لحظات قليلة، دخلت سيلفيا الغرفة وألقت نظرة شاملة على المشهد أمامها.

«آنساتي، أخشى أننا لم نصل بعد إلى هذه المرحلة. عندما تدخلن غرفة يكون فيها الملك أو الملكة، أو إذا دخلا غرفة أنتن فيها، من الواجب أن تنحنين لهما احترامًا. بعد ذلك، عندما تتم مخاطبتكن، يمكنكن الوقوف ثم الذهاب للجلوس في مقاعدكن. والآن، لنبدأ». وعلى الفور، انحنت جميع الفتيات في اتجاه الطاولة الرئيسية.

قالت الملكة: «مرحبًا يا فتيات، يمكنكن الجلوس الآن. أهلًا بكن في القصر، نحن سعداء بوجودكن». كانت نبرتها مريحة بشكل غير متوقع، هادئة ومطمئنة مثل تعبيراتها.

كما أوضحت سيلفيا، بدأ الخدم التقدم من الجهة اليمنى، يسكبون عصير البرتقال في أكوابنا. وصلت أطباقنا مغطاة على صوانٍ كبيرة، ورفع الخدم الأغطية بحركة متزامنة أمامنا، فانبعثت رائحة الفطائر الشهية لدرجة جعلت معدتي تقرقر. ولحسن الحظ، غطّت همسات الإعجاب التي انتشرت عبر الغرفة على صوت معدتي الجائعة.

أمرنا الملك كلاركسون بتناول طعامنا، وبعدها بدأنا جميعًا إفطارنا. وبعد بضع دقائق، دخل ماكسون الغرفة وتوجَّه نحو مقعده.

وقبل أن نتمكن من التحرك لتحيته، أشار بيده قائلًا: «لا داعي للوقوف يا آنساتي، استمتعن بإفطاركن». ثم توجه إلى الطاولة الرئيسية، وقبَّل والدته على خدها، ثم ربت ظهر والده قبل أن يتخذ مقعده إلى يسار الملك. أخذ يتبادل بعض التعليقات مع أقرب خادم له، الذي ضحك بصوت منخفض. ثم بدأ ماكسون تناول طعامه.

لم تحضر آشلي ولا أي من الفتيات الأخريات. نظرت حولي في ارتباك، وحاولت عد الفتيات لأرى كم عدد الغائبات.

ثمانٍ، ثماني فتيات لسن هنا.

نظرت إلى كريس، التي كانت تجلس قبالتي، فأجابت عن السؤال الذي لاح في عينيَّ.

«لقد رحلن».

رحلن؟ يا إلهي، لقد تم إقصاؤهن من المنافسة.

لم أستطع تخيل ما الذي فعلته في أقل من خمس دقائق ليثرن استياء ماكسون، ومع ذلك شعرت فجأة بامتنان عميق لأنني اخترت الصدق في حديثي معه.

وهكذا، أصبح عددنا الآن سبعًا وعشرين فتاة فقط.

الفصل 12

غادرت فرق التصوير الغرفة بعد أن التقطت الصورة الأخيرة للأمير، تاركين لنا لحظات هادئة نستمتع خلالها بإفطارنا.

شعرت ببعض الارتباك بسبب هذا الإقصاء المفاجئ، لكن ماكسون بدا غير مكترث، يتناول طعامه بهدوء وكأن شيئًا لم يحدث. حاولت أن أستجمع تركيزي، وأدركت حينها أن عليَّ أن أتناول إفطاري قبل أن يبرد.

وكما كانت الحال من قبل، كان الطعام شهيًا على نحو يفوق الوصف. عصير البرتقال كان مذهلًا لدرجة أنني وجدت نفسي أرتشفه ببطء لأطيل متعة تذوقه، أما البيض واللحم المقدد فكانا مثاليين. الفطائر أيضًا لم تخيب ظني؛ كانت محضَّرة بعناية، وليست رقيقة كالتي كنت أصنعها في المنزل.

سمعت العديد من التنهُّدات الخفيفة من حولي، فأدركت أنني لست الوحيدة التي تستمتع بهذا الطعام الشهي. تذكرت استخدام الملاقط، وأخذت واحدة من فطائر الفراولة من السلة الموضوعة في منتصف الطاولة. أثناء قيامي بذلك، نظرت حول الغرفة لأرى كيف تستمتع الفتيات الأخريات بوجباتهن. عندها، لاحظت أنني أصبحت الفتاة الوحيدة من الطبقة الخامسة التي لا تزال هنا.

لم أكن أعرف ما إذا كان ماكسون على علم بهذه المعلومة، فهو يعرف أسماءنا بصعوبة، لكن كان من الغريب أن كلتيهما رحلتا. تساءلت في نفسي: لو كنت فتاة غريبة أخرى في نظر ماكسون حين دخلت هذه الغرفة، فهل كنت سأُطرد أيضًا؟ تأملت هذا السؤال، بينما أقضم قطعة من فطيرة الفراولة. كان طعمها حلوًا للغاية، وقوام العجينة هشًا إلى حد أن كل جزء من فمي انشغل بمذاقها، ما جعلني أغفل عن كل إحساس آخر. لم أقصد أن أطلق تأوهًا صغيرًا من فرط التلذذ، لكن لم يكن هناك شك في أن هذه الفطيرة كانت من أروع ما

تذوقت في حياتي. وما إن أخذت القضمة الأولى حتى سارعت إلى أخذ أخرى قبل أن أبتلع الأولى.

فجأة ناداني صوت: «آنسة أميريكا؟».

التفتت جميع الرءوس في الغرفة نحو مصدر الصوت، الذي كان يعود إلى الأمير ماكسون. صُدمت لأنه يخاطبني، سواء أنا أو أي واحدة منا، بهذه العفوية وأمام الجميع. لكن ما زاد ارتباكي هو أن فمي كان ممتلئًا بالطعام. سارعت بتغطية فمي بيدي وبدأت أمضغ بأسرع ما استطعت.

ورغم أن الأمر لم يستغرق أكثر من بضع ثوانٍ، فقد شعرت بأن الزمن توقف مع وجود العديد من العيون تراقبني. لاحظت وجه سيليستي المتعجرف وهي تراقبني. لا بد أنني كنت أبدو فريسة سهلة في عينيها.

أجبته بمجرد أن ابتلعت معظم ما في فمي: «نعم، جلالتك؟».

ابتسم وقال: «كيف تجدين الطعام؟». وبدا على وشك الضحك، إما بسبب تعبير الدهشة الذي ارتسم على وجهي أو ربما لأنه تطرق لشيء تحدثنا بشأنه في لقائنا الأول والذي كان من المفترض أن أبقيه سرًّا.

حاولت أن أحافظ على هدوئي وقلت: «إنه رائع، جلالتك... هذه الفطيرة بالفراولة... لديَّ أخت تعشق الحلويات أكثر مني، أظن أنها قد تبكي إذا تذوَّقتها، إنها مثالية».

ابتلع ماكسون عدة لقيمات من إفطاره واتكأ على كرسيه، ثم قال: «حقًّا؟ هل تعتقدين أنها قد تبكي؟»، بدا مستمتعًا بالفكرة، وكأنه يحمل مشاعر غريبة تجاه النساء ودموعهن.

تفكَّرت في الأمر للحظة ثم قلت: «نعم، أعتقد ذلك. هي لا تتحكم جيدًا بمشاعرها».

قال بسرعة: «هل تودين المراهنة على ذلك؟».

رأيت رءوس الفتيات تتحرك ذهابًا وإيابًا بيننا، وكأنهن يشاهدن مباراة تنس.

ابتسمت لفكرة الرهان على دموع الفرح وقلت له: «لو كان لديَّ المال لأراهن به، لربما فعلت».

«وما الذي ستكونين مستعدة لتقديمه بدلًا من المال؟ تبدين بارعة في إبرام الصفقات»، كان واضحًا استمتاعه بهذه اللعبة الصغيرة؛ لذا قررت أن أسايره.

سألته: «حسنًا، ماذا تريد؟»، وتساءلت عما يمكنني عرضه على شخص يمتلك كل شيء.

لكنه ابتسم ورد بسؤال مفاجئ: «ماذا تريدين أنتِ؟».

كان ذلك سؤالًا مثيرًا. فكرة التفكير فيما يمكنني تقديمه لماكسون كانت مثيرة بقدر ما أثارتني فكرة ما يمكن أن يقدمه لي في المقابل. كان لديه العالم كله تحت تصرفه... إذن، ما الذي يمكن أن أطلبه أنا؟

لم أكن من الطبقة الأولى، لكنني كنت أعيش هنا وكأنني واحدة منهم. كان لديَّ من الطعام أكثر مما أستطيع تناوله، وأكثر الأسرَّة راحة. كان هناك من يخدمني في كل شيء، سواء رغبت في ذلك أم لا. ولم يكن يتطلب الأمر أكثر من مجرد كلمة مني لأحصل على كل ما أحتاج إليه.

ومع ذلك فإن الشيء الوحيد الذي كنت أريده حقًّا هو شيء يضفي على هذا المكان طابعًا أقل رسمية، يجعل القصر يبدو أقرب إلى المنزل. كنت أتمنى لو أن أفراد عائلتي يتجولون هنا، أو لو لم أكن مُزينة بهذا الشكل المبالغ فيه. لكنني لا أستطيع أن أطلب زيارتهم الآن؛ فقد وصلت إلى هنا للتو منذ يوم واحد.

قلت له: «إذا بكت، فإنني أريد أن يُسمح لي بارتداء البنطلون لمدة أسبوع».

ضحك الجميع بطريقة هادئة ومهذبة. حتى الملك والملكة بدا عليهما أن طلبي يسليهما. أعجبتني الطريقة التي نظرت بها الملكة إليَّ، وكأنني لم أعد غريبة في نظرها.

قال ماكسون: «اتفقنا. أما إذا لم تبكِ، فعليكِ أن ترافقيني في نزهة حول الحديقة غدًا بعد الظهر».

نزهة في الحديقة؟ بدا لي الأمر بسيطًا للغاية، وكأنه ليس بالشيء المميز. لكنني تذكرت ما قاله ماكسون، الليلة الماضية، عن كونه محاطًا بالحراسة طوال الوقت. ربما لم يكن معتادًا طلب قضاء الوقت مع فتاة بطريقة مباشرة. ربما كانت هذه طريقته في التعامل مع أمر لا يزال جديدًا وغريبًا عليه.

أطلقت إحدى الجالسات بجواري صوت استياء خافت. أدركت حينها أنني سأكون أول شخص يحظى رسميًّا بوقت خاص مع الأمير إن خسرت الرهان. شعرت برغبة في إعادة التفاوض، لكنني تذكرت وعدي بأن أساعده. لم يكن من العدل أن أستخف بمحاولاته الأولى في التعرف على فتاة.

قلت له: «أنت بارع في المفاوضات يا سيدي، لكنني أقبل التحدي».

عندها نادى ماكسون على الخادم الذي تحدث إليه سابقًا: «جاستن، اذهب وأعد طردًا من فطائر الفراولة وأرسله إلى عائلة الآنسة. اجعل المرسل ينتظر حتى تتذوق أختها الفطائر، وأخبرنا إذا بكت بالفعل، فأنا فضولي جدًّا بشأن ذلك».

أومأ جاستن وانطلق لتنفيذ المهمة.

استطرد ماكسون: «يجب أن تكتبي رسالة لتُرسل مع الطرد، وتُطمئني عائلتك أنكِ بخير. في الواقع، ينبغي عليكن جميعًا أن تفعلن ذلك. اكتبن رسائل إلى عائلاتكن بعد الإفطار، وسنتأكد من وصولها اليوم».

ابتسمن جميعهن وزفرن بارتياح، شاعرات بالسعادة؛ لأنهن أصبحن جزءًا من الحديث مجددًا. أنهينا إفطارنا وتوجَّهنا لكتابة رسائلنا، أحضرت لي آن أدوات الكتابة، وجلست أكتب رسالة سريعة لعائلتي. ورغم أن الأمر في البداية لم يكن سلسًا، فإن آخر ما كنت أريده هو أن يشعروا بالقلق عليّ. حرصت على أن تبدو رسالتي كأنني مرتاحة وبلا هموم.

عائلتي العزيزة، أمي وأبي وماي وجيراد،

أشتاق إليكم جميعًا كثيرًا!أراد منا الأمير أن نكتب إلى عائلاتنا ونخبرهم بأننا بخير وبأمان. وأنا كذلك، بخير وبأمان. كانت رحلة الطائرة مخيفة بعض الشيء، لكنها كانت ممتعة بطريقة ما أيضًا. يبدو العالم صغيرًا من أعالي السماء!

لقد أعطوني الكثير من الملابس الرائعة والأشياء الجميلة، ولديّ ثلاث خادمات لطيفات يساعدنني في ارتداء الملابس، وينظفن لي، ويخبرنني إلى أين يجب أن أذهب. حتى لو شعرت بالارتباك التام، هن دائمًا يعرفن أين يجب أن أكون ويساعدنني على الوصول في الوقت المناسب.

الفتيات الأخريات في الغالب خجولات، لكن أعتقد أنني قد وجدت صديقة. هل تتذكرون مارلي من مقاطعة كينت؟ لقد التقيت بها في الطريق إلى أنجليس. إنها فتاة ذكية وودودة جدًّا. وإذا كان عليّ العودة إلى المنزل قريبًا، فأتمنى أن تبقى هي حتى النهاية.

لقد قابلت الأمير، والتقيت أيضًا الملك والملكة. إنهما أكثر أبهة وأناقة مما تتخيلون في الحقيقة. لم أتحدث معهما بعد، لكنني تحدثت إلى الأمير ماكسون، أعتقد أنه شخص كريم، وقد فاجأني ذلك.

عليّ أن أودعكم الآن، لكنني أحبكم وأشتاق إليكم، وسأكتب مجددًا في أقرب وقت ممكن.

مع حبي،

أميريكا

لم أرَ أن هناك شيئًا غريبًا في الرسالة، لكن ربما كنت مخطئة. كنت أتخيل ماي وهي تقرؤها مرارًا، تبحث عن تفاصيل خفية عن حياتي بين السطور. تساءلت عما إذا كانت ستقرؤها قبل أن تأكل الفطائر؛ لذا كتبت:

ملحوظة: ماي، ألا تجعلك هذه الفطائر بالفراولة ترغبين في البكاء؟

كان هذا أفضل ما استطعت فعله لتلاحظ.

لكن على ما يبدو، لم يكن ذلك كافيًا. طرق خادم بابي في تلك الليلة ومعه ظرف من عائلتي وتحديث جديد:

«لم تبكِ يا آنسة. لكنها قالت إن الفطائر كانت لذيذة لدرجة أنها كادت تبكي، كما اقترحتِ، لكنها لم تبكِ بالفعل. جلالته سيأتي ليأخذك من غرفتك نحو الساعة الخامسة غدًا. من فضلك كوني جاهزة».

لم أكن مستاءة كثيرًا من خسارة الرهان، لكنني كنت سأستمتع حقًّا بارتداء البناطيل. على الأقل أصبح لديَّ رسائل منهم الآن وإن لم أكسب الرهان. أدركت أن هذه كانت المرة الأولى التي أبتعد فيها عن عائلتي لأكثر من بضع ساعات. لم نكن نملك المال الكافي للذهاب في رحلات، وبما أنني لم أكن أحظى بأصدقاء منذ الطفولة، فأنا لم أقضِ ليلة واحدة بعيدة عن المنزل قط. أتمنى لو كانت هناك طريقة للحصول على رسائل كل يوم! أعتقد أن ذلك كان ممكنًا، لكنه سيكون مكلفًا جدًّا.

قرأت رسالة والدي أولًا. تحدث كثيرًا عن مدى جمال مظهري على التلفاز وكيف أنه فخور بي. وقال إنه لم ينبغِ أن أرسل ثلاثة صناديق من الفطائر؛ لأن ماي ستفسد من كثرتها. ثلاثة صناديق! يا للعجب!

أضاف والدي في رسالته أن أسبن كان عندهم في المنزل يساعد في بعض الأوراق، فأخذ علبة من الفطائر إلى عائلته، لم أكن أعرف كيف أشعر حيال ذلك. من جهة، كنت سعيدة لأنهم سيحظون بشيء لذيذ جدًّا لتناوله. لكن من جهة أخرى، تخيلته يشاركها مع صديقته الجديدة، تلك الفتاة التي يمكنه أن يدللها. وتساءلت إن كان قد غار من هدية ماكسون، أم أنه كان سعيدًا بالتخلص مني.

توقفت عند قراءة هذه السطور أطول مما كنت أنوي.

أنهى والدي رسالته بقول إنه سعيد لأنني كسبت صديقة جديدة. وقال إنني دائمًا ما كنت بطيئة في هذا الجانب. طويت الرسالة، ومررت بإصبعي على توقيعه في الخارج. لم ألحظ من قبل كم يبدو توقيعه ظريفًا.

كانت رسالة جيراد قصيرة ومباشرة. قال إنه يشتاق لي ويحبني ويرجوني أن أرسل المزيد من الطعام. فضحكت بصوت عالٍ عندما قرأت ذلك.

كانت أمي متسلطة. حتى من خلال الكلمات المكتوبة كنت أسمع نبرتها وهي تباركني بشيء من الغرور على كسب عواطف الأمير مبكرًا، فقد أخبروها بأنني الوحيدة التي حصلت على هدايا لإرسالها إلى المنزل، وأمرتني بحزم بأن أستمر في فعل ما أفعله.

نعم يا أمي، سأستمر في إخبار الأمير بأنه ليس لديه أي فرصة معي وأهينه قدر المستطاع.. خطة رائعة حقًّا.

كنت سعيدة لأنني احتفظت برسالة ماي للنهاية.

كانت رسالتها مليئة بالبهجة، اعترفت فيها بمدى غيرتها من كوني أتناول طعامًا فاخرًا طوال الوقت. كما اشتكت من أن أمي كانت تملي عليها المزيد من الأوامر، أعرف جيدًا هذا الشعور. أما باقي الرسالة فكان سيلًا من الأسئلة. هل ماكسون وسيم في الحقيقة كما هو

على التلفاز؟ ماذا أرتدي الآن؟ هل يمكنها أن تزور القصر؟ هل لدى ماكسون أخ سري يمكن أن يتزوجها يومًا ما؟

ضحكت واحتضنت مجموعة رسائلي، كان عليَّ أن أبذل جهدًا لكتابة رد قريبًا. لا بد أن هناك هاتفًا في مكان ما هنا، لكن حتى الآن لم يخبرنا أحد بوجوده. حتى لو كان لديَّ واحد في غرفتي، ربما سيكون من المبالغة الاتصال بالمنزل يوميًا. إلى جانب ذلك، سيكون من الممتع الاحتفاظ بهذه الرسائل، فهي دليل على أنني كنت هنا حقًّا عندما سيصبح هذا المكان مجرد ذكرى.

ذهبت إلى الفراش وأنا أشعر باطمئنان لمعرفة أن عائلتي بخير، وكان ذلك الدفء كافيًا ليجعلني أنام نومًا عميقًا، لم يقطعه سوى شعور طفيف بالتوتر من أنني سأكون وحيدة مع ماكسون مرة أخرى. لم أتمكن تمامًا من تحديد السبب، لكنني كنت آمل أن يكون هذا الشعور بلا أساس.

سألني ماسكون وهو يرافقني من غرفتي في اليوم التالي: «هلّا أمسكتِ ذراعي من أجل المظهر العام؟»، ترددت قليلًا لكنني أمسكت ذراعه.

كانت خادماتي قد ألبسنني فستاني المسائي، وهو عبارة عن فستان أزرق صغير ذي خصر مرتفع وكُمين قصيرين. كانت ذراعاي مكشوفتين، وكنت أشعر بملمس قماش بدلة ماكسون مثل النشا على بشرتي. كان هناك شيء في هذا كله يجعلني أشعر بعدم الراحة، ولا بد أنه لاحظ ذلك لأنه حاول أن يلهيني.

قال: «أنا آسف لأنها لم تبكِ».

«لا، لستَ آسفًا»، كان المزاح واضحًا في نبرتي، لأبين له أنني لم أكن مستاءة حقًّا من خسارتي.

قال لي بنبرة فيها شيء من الاعتذار: «لم أراهن من قبل، لذا من الجيد أنني فزت».

رددت: «حظ المبتدئين».

ابتسم: «هذا ممكن، سنحاول أن نجعلها تضحك في المرة المقبلة».

بدأت على الفور أتصور سيناريوهات في ذهني، ما الذي يمكن أن يجعل ماي تموت من الضحك داخل القصر؟

لاحظ ماكسون أنني كنت أفكر فيها، فسألني: «كيف تبدو عائلتك؟».

قلت له: «ماذا تقصد؟».

«أعني لا بد أن عائلتك مختلفة تمامًا عن عائلتي».

ضحكت وقلت: «يمكنني قول ذلك، على سبيل المثال، لا أحد يرتدي تاجًا على مائدة الإفطار».

ابتسم مجددًا: «إذن هم يرتدونه على العشاء في بيت سينجر؟».

رددت عليه: «بالطبع» فضحك بهدوء، وبدأت أفكر أن ماكسون ليس متعجرفًا، كما ظننت.

ثم تابعت حديثي: «أنا الابنة الوسطى بين خمسة أبناء».

تعجب قائلًا: «خمسة!».

«نعم، خمسة. معظم العائلات هناك لديها الكثير من الأطفال، أنا أيضًا سأحظى بالكثير لو تمكنت».

ارتفع حاجبا ماكسون وقال: «أوه، حقًا؟».

همست: «نعم». لم أعلم لماذا شعرت بأن عليَّ التحدث بصوت خافت، لكن ذلك بدا كأنه تفصيل شخصي جدًّا عن حياتي.. كان هناك شخص واحد فقط يعرف ذلك بالفعل.

شعرت بقبضة تعتصر قلبي حزنًا؛ لكنني تجاهلت الشعور.

«على أية حال، أختي الكبرى، كينا، متزوجة من الطبقة الرابعة، وهي تعمل الآن في أحد المصانع. والدتي تريدني أن أتزوج من شخص لا يقل عن الطبقة الرابعة، لكنني لا أريد أن أضطر إلى التوقف عن الغناء، فأنا أحب الغناء كثيرًا. لكنني الأمر قد يبدو غريبًا جدًّا الآن بما أنني أصبحت من الدرجة الثالثة. أعتقد أنني سأواصل في مجال الموسيقى إذا استطعت. أخي الثاني يُدعى كوتا، وهو فنان. لا نراه كثيرًا، هذه الأيام، لكنه جاء ليودِّعني. وأنا الابنة التي تليه».

ابتسم ماكسون بخفة وقال: «نعم، أميريكا سينجر، صديقتي المقربة».

رددت مازحة: «نعم، صحيح». لم يكن هناك من سبيل لأكون صديقته المقربة بالفعل، على الأقل ليس بعد. لكن يجب أن أعترف بأنه الشخص الوحيد الذي حكيت له الكثير دون أن يكون أحد أفراد عائلتي أو شخصًا أحببته، حسنًا، وماري أيضًا أشاركها الكثير. هل يمكن أن يكون الأمر نفسه بالنسبة له حقًّا؟ أيمكن أنه يَعدَّني صديقته المقربة؟

انتقلنا ببطء عبر الردهة نحو السلالم، ولم يبدُ أنه في عجلة من أمره.

«ومن بعدي وُلدت أختي ماي، وهي تلك التي باعتني ولم تبكِ. بصراحة، شعرت بالظلم؛ لا أصدق أنها لم تبكِ! هي فنانة، وأنا أحبها كثيرًا».

أخذ ماكسون يتأمل وجهي؛ لأن الحديث عن ماي جعلني أبدو أكثر لطفًا. وجدت نفسي معجبة بماكسون إلى حد ما، لكنني لم أكن متأكدة من مدى رغبتي في السماح له بالاقتراب أكثر.

«ثم بعدها أخي الأصغر جيراد، عمره سبع سنوات، لم يقرر بعد إذا كان يميل إلى الموسيقى أم الفن. هو يحب أساسًا لعب الكرة ودراسة الحشرات، وهذا جيد، إلا أنه لا يمكنه كسب لقمة العيش بهذه الطريقة، لذا نحاول حثه على تجربة أشياء أكثر. حسنًا، هذه هي عائلتي».

بدا ماكسون مُلحًّا وهو يسأل عن والديَّ: «وماذا عن والديكِ؟».

رددت عليه بالسؤال نفسه: «وماذا عن والديك أنت؟».

«أنتِ تعرفين والديَّ».

«لا، لا أعرفهما. أنا فقط على علم بالصورة العامة عنهما. كيف هما حقًّا؟» وسحبت ذراعي من ذراعه، وهو ما كان صعبًا بعض الشيء. كانت ذراعا ماكسون ضخمتين، وحتى تحت طبقات بدلته، كنت أشعر بالعضلات القوية هناك. تنهد ماكسون، لكنني شعرت بأنه لم يكن مستاء حقًّا. بدا سعيدًا لوجود من يزعجه، وكأن الحياة في هذا المكان من دون إخوة قد تكون حزينة بعض الشيء.

بدأ يفكر فيما سيقوله ونحن ندخل الحديقة، رأيت عدة ابتسامات ماكرة ترتسم على وجوه جميع الحراس بينما نمر بجانبهم. وبعدهم مباشرة، وجدنا فرقة تصوير في انتظارنا. بالطبع، كانوا يريدون حضور أول موعد للأمير. لكن ماكسون هز رأسه بالرفض، فتراجعوا إلى الداخل على الفور، وسمعت أحدهم يطلق لعنة. لم أكن متحمسة بشكل خاص لأن يُتابعني المصورون، لكن كان من الغريب أن يصرفهم.

لاحظ ماكسون شيئًا عليَّ فسأل: «هل أنتِ بخير؟ تبدين متوترة».

أجبت وأنا أتظاهر باللامبالاة: «أنت لا تعرف ما يجب فعله أمام النساء الباكيات، وأنا لا أعرف ما يجب فعله عند المشي مع الأمراء».

ضحك ماكسون بهدوء على ذلك، لكنه لم يقل شيئًا. بينما تحركنا نحو الغرب، كانت الشمس محجوبة بواسطة الغابة الضخمة في الحديقة، رغم أننا ما زلنا وقت العصر. ومع الاستمرار في المشي زادت الظلال مكونة خيمة من الظلام. عندما كنت أبحث عن العزلة في الليلة السابقة، كان هذا هو المكان الذي أردت أن أكون فيه. بدا حقًّا أننا وحدنا الآن بينما نمضي معًا، بعيدًا عن القصر وخارج نطاق سماع الحراس.

سألني ماكسون: «ما الذي يجعلني محيرًا إلى هذا الحد؟».

ترددت قليلًا ولكنني قلت ما شعرت به: «شخصيتك ونياتك، أنا لا أعلم ما يمكنني توقعه من هذه النزهة الصغيرة».

عندها توقف ماكسون عن المشي وواجهني، كنا قريبين جدًّا من بعضنا البعض، وعلى الرغم من نسيم الصيف الدافئ، فإنني شعرت بقشعريرة تسري في جسدي. قال لي: «أعتقد أنكِ تستطيعين أن تلاحظي الآن أنني لست من النوع المراوغ؛ لذا سأخبرك بالضبط بما أريده منك».

وخطا ماكسون خطوة أقرب مني.

عندها حبست أنفاسي، لقد أصبحت للتو في الوضع الذي كنت أخشاه؛ لا حراس ولا كاميرات ولا أحد يوقفه عن فعل ما يريد.

عندها كرد فعل تلقائي، ركلت الأمير بقوة في فخذيه.

صرخ ماكسون وانحنى على الأرض من الألم، بينما أتراجع بعيدًا. سألني: «لماذا فعلتِ هذا؟».

قلت بتهديد: «إذا لمستِني ولو بإصبع واحد، فسأفعل ما هو أسوأ من ذلك!».

سأل مصدومًا: «ماذا؟».

كررت: «قلتُ للتو، إذا...».

عبس ماكسون وقال: «لا، لا، هل أنتِ مجنونة؟ سمعتك من المرة الأولى. لكن يا إلهي! ما الذي تقصدينه بالضبط؟».

شعرت بالحرارة تسري في جسدي من الإحراج. لقد قفزت إلى أسوأ استنتاج ممكن وأخذت أدافع عن نفسي ضد شيء لم يكن ليحدث من الأساس.

ركض الحراس نحونا، مستجيبين عند سماع شجارنا الصغير، فأشار ماكسون إليهم ليبتعدوا وهو في وضعيته نصف المنحنية والغريبة.

ظللنا صامتين لبعض الوقت، وعندما تجاوز ماكسون الألم، التفت إليَّ وسألني: «ما الذي ظننتِ أنني أردته منكِ؟».

حنيتُ رأسي وتضرج وجهي بالحمرة من الإحراج.

«أميريكا، ما الذي ظننتِ أنني أردته منكِ؟» كان صوته يعبر عن انزعاج واضح، بل غضب شديد. لقد خمن تمامًا ما كنت أظنه، ولم يعجبه ذلك على الإطلاق. تابع حديثه: «هل ظننتِ أنني قد... وهنا في مكان عام؟ يا إلهي! أنا رجل محترم يا أميريكا!».

بدأ الابتعاد عني لكنه توقف فجأة ونظر إليَّ.

«لماذا عرضتِ مساعدتي إذا ظننتِ أنني قليل الاحترام؟».

لم أستطع حتى النظر إليه، لم أكن أعرف كيف أشرح له أنني كنت أتوقع الأسوأ، وأن الظلام والخصوصية جعلا الوضع يبدو غريبًا، وأنني اعتدت أن أكون وحدي مع صبي آخر وعندما كنا نجتمع وحدنا كانت تصرفاتنا حميمية دائمًا.

«ستتناولين العشاء في غرفتك الليلة، وسأتعامل مع هذا الأمر في الصباح».

انتظرت في الحديقة حتى تأكدت من أن الجميع سيكونون في قاعة الطعام، ثم بدأت أتجول في الردهة قبل أن أدخل غرفتي. كانت آن وماري ولوسي في حالة من الابتهاج عندما دخلت، لم أستطع إخبارهن بأنني لم أمضِ الوقت كله مع الأمير.

وصل طعامي ووضعنه على الطاولة بجانب الشرفة، كنت جائعة الآن بعدما خف إحساسي بالإحراج والإهانة التي أهنتها لنفسي للتو. لكن غيابي الطويل لم يكن السبب الوحيد لحماس خادماتي. إذ كان هناك صندوق كبير جدًّا على السرير في انتظار أن أفتحه.

سألتني لوسي: «هل يمكننا أن نرى ما بداخله؟».

فقامت آن بتوبيخها: «لوسي، هذا غير لائق!».

أوضحت لي ماري أمر الصندوق: «لقد سلموه لحظة مغادرتك! وظللنا نتساءل عما بداخله منذ ذلك الحين!».

عاتبتها آن: «ماري! تحلي بالتهذيب!».

«لا تقلقن يا فتيات، ليست لديَّ أسرار». قررت أن أخبر خادماتي بالسبب عندما يأتين لطردي غدًا.

منحتهن ابتسامة خفيفة وأنا أفك الرباط الأحمر الكبير عن الصندوق، كان به ثلاثة بناطيل؛ واحد من الكتان، والآخر أكثر رسمية لكنه ناعم الملمس، والثالث من الجينز. وكانت هناك بطاقة عليه تحمل شعار إيليا.

تطلبين أشياء بسيطة، ولا أستطيع إلا أن ألبيها لكِ. لكن أرجوكِ ارتديها فقط في أيام السبت. شكرًا لمرافقتك لي.

من صديقك،

ماكسون

الفصل 13

لم يكن لديَّ الكثير من الوقت لأشعر بالخجل أو القلق تجاه كل ما حدث. عندما قامت خادماتي بمساعدتي في ارتداء ملابسي، صباح اليوم التالي، دون أن يبدو عليهن أي قلق، افترضت أن وجودي في الطابق السفلي سيكون مُرحَّبًا به. حتى السماح لي بالنزول لتناول الإفطار كان لمسة لطيفة من ماكسون لم أكن أتوقعها؛ لقد حصلت على فرصة لتناول وجبتي الأخيرة، وعيش لحظات أخيرة كإحدى المختارات الجميلات.

كنا في منتصف الإفطار حين تجرأت كريس أخيرًا وسألتني عن موعدنا.

سألتْ بهدوء وبالطريقة المهذبة التي كنا ملتزمات بها أثناء الوجبات: «كيف كان لقاؤكما؟». ومع ذلك فإن تلك الكلمات الثلاث البسيطة كانت كفيلة بجذب انتباه كل من كنَّ على الطاولة، حتى البعيدات حاولن الإنصات.

أخذت نفسًا عميقًا وأجبت: «لا يوصَف».

تبادلت الفتيات نظرات سريعة فيما بينهن، متلهفات لسماع المزيد.

سألت تايني: «كيف تصرَّف معكِ؟».

تردَّدت قليلًا، وأخذت أفكر في الكلمات بحذر: «لم يكن كما توقعت على الإطلاق».

بدأت الهمسات تزداد ببطء على امتداد الطاولة. لم تمر لحظات حتى قطعت زوي الصمت وقالت: «هل تتعمّدين الغموض؟ إن كان الأمر كذلك، فأنتِ قاسية جدًّا».

هززت رأسي بالرفض، لكن كيف يمكنني أن أشرح لهن؟ قلت لها: «لا، الأمر ليس كذلك، لكن...»

قبل أن أتمكن من إنهاء الجملة، جاءني الخلاص في هيئة أصوات غريبة بدأت تتردد في الممر.

كانت الصيحات غير مألوفة. طوال الفترة التي قضيتها هنا، لم أسمع شيئًا يشبه هذا الاضطراب. اعتدت الإيقاع الهادئ الذي يغلف المكان، من وَقْع أحذية الحراس على الأرضيات، إلى الأبواب الثقيلة التي تُفتح وتُغلق، وحتى رنين الشوكات حين تلامس الصحون.

أما الآن، فقد كان ما أسمعه فوضى عارمة.

بدت العائلة المالكة وكأنها أدركت الخطر قبل الجميع.

صاح الملك كلاركسون بينما كان يسارع نحو إحدى النوافذ: «اذهبن إلى آخر القاعة سيداتي!».

رغم الارتباك الذي ارتسم على ملامح الفتيات، وعدم فهمهن ما يحدث، فإنهن لم يرُدن عصيان الأوامر وتحركن بخطوات بطيئة نحو الطاولة الرئيسية.

أمسك الملك طرف ستارة ثقيلة، لكن هذه لم تكن كسائر الستائر البسيطة التي تحجب الضوء؛ بل كانت مصنوعة من المعدن الذي أصدر صريرًا حادًّا بينما هبطت بثقل في مكانها. وعلى مقربة منه، كان ماكسون يسارع بسحب ستارة أخرى. وإلى جانبهما كانت الملكة برقَّتها المعتادة، تسابق الوقت وهي تسحب الستارة الثالثة.

في تلك اللحظة، تدفق الحراس إلى قاعة الطعام. رأيت مجموعة منهم يصطفون بسرعة خارج القاعة قبل أن تُغلق الأبواب الضخمة وتوضع الأقفال عليها وتُؤمَّن بالقضبان.

«لقد تمكنوا من التسلل إلى داخل الأسوار، جلالتك، لكننا نعمل على صدهم. يجب أن تغادر الآنسات، لكننا قريبون جدًّا من الباب»..

رد الملك مُقاطعًا حديث الحارس: «مفهوم يا ماركسون».

وهنا أدركت أنه يوجد متمردون داخل أراضي القصر.

كنت أتوقع حدوث ذلك، مع هذا العدد الكبير من الضيوف في القصر وكثرة التحضيرات، فمن البديهي أن يحدث خطأ ويهدد أمننا. وحتى إن لم يكن هناك طريق سهل للاقتحام، كان الوقت مثاليًّا لاندلاع احتجاج، في حين كانت مسابقة الاختيار مزعجة جدًّا من الأساس، وكنت متأكدة من أن المتمردين يكرهونها، كما يكرهون كل شيء يتعلق بإيليا.

لكن، مهما تكون آراؤهم، فلم أكن لأستسلم بسهولة.

دفعت مقعدي بقوة حتى انقلب على الأرض، وركضت نحو أقرب نافذة لسحب الستارة المعدنية. وبعض الفتيات اللواتي أدركن مدى الخطر الذي يهددنا قمن بالشيء نفسه.

لم أستغرق سوى القليل من الوقت حتى تمكنت من سحب الستارة لأسفل، لكن تأمينها كان أكثر صعوبة. كنت قد نجحت لتويٍّ في تثبيت المزلاج عندما ارتطمت قوة خارجية باللوحة المعدنية، ما دفعني للصراخ والابتعاد للخلف، فتعثرت بمقعدي المقلوب وسقطت على الأرض.

عندها ظهر ماكسون على الفور.

سألني: «هل أُصبتِ؟».

أجريت تقييمًا سريعًا لحالتي. ربما ستظهر كدمة على وركي، وكنت أشعر بالخوف، لكن هذا كان كل ما في الأمر.

قلت له: «لا، أنا بخير».

أمرنا ماكسون وهو يساعدني على النهوض: «اذهبن إلى آخر القاعة الآن!»، ثم اندفع بسرعة عبر الممر، يساعد الفتيات اللواتي بدأن التجمد من الخوف، ويوجههن إلى الزاوية الخلفية.

أطعت الأوامر وجريت نحو آخر القاعة حيث تجمعت الفتيات في مجموعات. بعضهن كن يبكين، والبعض الآخر في حالة صدمة، يحدقن إلى الفضاء بصمت، أما تايني فقد أغشي عليها. كان المنظر الأكثر طمأنينة هو الملك كلاركسون وهو يتحدث بجدية إلى أحد الحراس على الجدار الخلفي، بعيدًا بما يكفي عن الفتيات حتى لا يسمعن حديثهما. كان الملك يحتضن الملكة بحماية، بينما وقفت بجانبه بهدوء وفخر.

كم مرة نجت من هذه الهجمات حتى الآن؟ أخبرتنا النشرات بأن هذه الهجمات تحدث عدة مرات في السنة، لا شك في أن هذا الوضع كان مرهقًا للأعصاب، مع تقلص الاحتمالات يومًا بعد يوم، وازدياد الخطر المحدق بها... وبزوجها... وبابنها الوحيد. كان واضحًا أن المتمردين لن يتوقفوا حتى يكتشفوا الترتيب المثالي للظروف التي تمكّنهم من تحقيق مرادهم. ورغم كل ذلك، كانت تقف هناك بثبات، مرفوعة الرأس، ووجهها الهادئ يعكس السكينة والرزانة.

نظرت إلى الفتيات، تُرى هل تمتلك إحداهن ما يكفي من القوة والصلابة لتصبح ملكة؟ تايني ما زالت غائبة عن الوعي، مستلقية في أحضان إحداهن. وفي الزاوية الأخرى، كانت سيليستي تتبادل الحديث مع باريل. اعرف سيليستي الآن، ومن ثم أعرف كيف تبدو حين تكون مرتاحة، ولم يكن هذا أحد تلك الأوقات. ورغم ذلك، مقارنة بأخريات، كانت تخفي مشاعرها ببراعة.

كانت الفتيات الأخريات على شفا الانهيار، يجثون على ركبهن ويتألمن. بعضهن بدأن إغلاق عقولهن تمامًا، في حالة من الإنكار. وبدت وجوههن خاوية، بلا تعبير، بينما كانت أيديهن تتحرك بعشوائية، في انتظار أن تنقضي هذه اللحظة.

أما مارلي فكانت تبكي بهدوء، لكن ليس بالقدر الذي يجعلها تبدو كأنها منهارة تمامًا. أمسكت ذراعها وسحبتها لتقف باستقامة.

همست في أذنيها بحدة: «امسحي دموعك واستقيمي، هيا ارفعي رأسك!».

نظرت إليَّ مارلي بارتباك، وهمست لي: «ماذا؟».

أكدت لها: «ثقي بي، افعلي ذلك».

عملت مارلي بنصيحتي ومسحت دموعها بطرف فستانها في حركة سريعة، ثم وقفت باستقامة أكثر، أخذت تتحسس وجهها بيديها في عدة أماكن، ربما تتحقق من ثبات مكياجها، ثم استدارت ونظرت إليَّ، تنتظر موافقتي إذا قامت بما نصحتها به بشكل صحيح.

قلت لها بنبرة أهدأ، هذه المرة: «عمل جيد. أعتذر إن كنت قاسية، لكن ثقي بي في هذا الأمر، اتفقنا؟». رغم أنني شعرت بالأسف لتوجيهي لها في مثل هذا الموقف المروع. لكن كان من الضروري أن تبدو هادئة مثل الملكة أمبرلي. بلا شك سيرغب ماكسون في أن تتحلى ملكته بهذه الصلابة، وكان عليَّ التأكد من فوز مارلي.

أومأت مارلي وقالت: «لا عليكِ، أنتِ مُحقة، فالجميع بخير الآن ولا داعي للفزع».

بادلتها إيماءة، لكنني كنت أعرف أنها مخطئة، لم يكن أحد بخير.

في طرف القاعة، وقف الحراس والأبواب الضخمة خلفهم، بينما كانت أصوات أشياء ثقيلة تُلقى على الجدران والنوافذ في الخارج.

لم يكن هناك ساعة على الجدران ولم أكن أعرف كم من الوقت مضى منذ بدء الهجوم، وهذا جعلني أتوتر أكثر.

كيف سنعرف إذا تمكنوا من اختراق الدفاعات؟

هل سنعرف عندما يبدأون دق الأبواب؟ هل كانوا بالفعل داخل القصر ونحن لا ندري؟

لم أستطع تحمل كل هذا القلق. حدقت إلى مزهرية تحمل زهورًا لا أعرف أسماءها، وكنت أقضم أحد أظافري المطلية بعناية. تظاهرت بأن تلك الزهور هي كل ما يهم في العالم.

في النهاية، جاء ماكسون ليتفقد حالي كما فعل مع الأخريات. وقف بجانبي وتأمل الزهور أيضًا، ولم يعرف أي منا ما الذي يجب قوله.

أخيرًا سألني: «هل أنتِ بخير؟».

همست له: «نعم».

توقف لحظة ثم قال: «لا تبدين مرتاحة».

سألته وأنا أُعبِّر عن أكبر مخاوفي: «ماذا سيحدث لخادماتي؟». كنت أعلم أنني في أمان، لكن أين هنَّ؟ ماذا لو كانت واحدة منهن تمشي في الممر عندما اقتحم المتمردون القصر؟

سألني بنبرة توحي بأنني حمقاء: «خادماتك؟».

«نعم، خادماتي» قلتها بنبرة متماسكة بينما أحدق إلى عينيه، محاوِلة إحراجه ليعترف بأن قلة مختارة فقط من بين الجموع التي تعيش في القصر تنعم بالحماية حقًّا. كنت على شفا البكاء، وتسارعت أنفاسي في محاولة يائسة لكبح مشاعري.

تلاقت أعيننا للحظة، وبدا كأنه أدرك أخيرًا أنني كنت لأصبح خادمة أنا أيضًا لكن ما يفصلني عنهن كان مجرد طبقة واحدة. لم يكن هذا هو السبب الحقيقي لقلقي، لكن بدا من الغريب أن تكون لعبة يانصيب بسيطة هي ما يفصل بيني وبين شخص مثل آن.

«لا بد أنهن مختبئات الآن، فالخدم لديهم أماكن خاصة للاحتماء. الحراس بارعون في التحرك بسرعة وتنبيه الجميع؛ لذا لا تقلقي، سيكُنَّ بخير. عادةً لدينا نظام إنذار، لكن المتمردين دمروه بالكامل في آخر هجوم لهم. حاولنا إصلاحه لكن...» وزفر بيأس.

خفضت بصري محاولةً تهدئة كل المخاوف التي دارت في رأسي.

نطق اسمي بتوسل، يريد مني أن أصدقه: «أميريكا...».

رفعت رأسي ونظرت نحوه.

أكد: «سيكنَّ بخير. كان إيقاع المتمردين بطيئًا، وكل شخص هنا يعرف جيدًا ما عليه فعله في مثل هذه الحالات الطارئة».

أومأت برأسي، بعدها خيَّم الصمت بيننا. كان يهم بالرحيل، فهمست له قبل أن يرحل: «ماكسون...».

حوَّل ماكسون وجهه نحوي مرة أخرى، معبرًا عن دهشته من كوني أناديه بهذه الطريقة غير الرسمية.

«بشأن ما حدث الليلة الماضية... دعني أشرح لك. عندما جاءوا ليجهزونا للقدوم إلى هنا، قال لي رجل إنه يجب ألا أرفض لك أي طلب، أيًّا كان ما تطلبه».

تجمد في مكانه، وكأنه لا يصدق ما سمعه: «ماذا؟».

«لقد جعل الأمر يبدو كأنك قد تطلب... أشياء معينة. وقلت بنفسك إنك لم تتعامل مع الكثير من النساء من قبل. وقد بلغتَ بالفعل ثمانية عشرة عامًا... والبارحة أرسلت الكاميرات بعيدًا. هذا كله جعلني أخاف عندما اقتربت مني بتلك الطريقة».

هز ماكسون رأسه وكأنه يحاول أن يستوعب كل كلمة قلتها. بدت ملامحه التي كانت في العادة هادئة، الآن، خليطًا من الإحراج والغضب والدهشة.

سألني وقد بدا منزعجًا من الفكرة: «هل تم إبلاغ الجميع بهذا؟».

«لا أدري. لا أستطيع تخيل أن العديد من الفتيات قد يحتجن إلى مثل هذا التحذير. ربما هنَّ في انتظار فرصة للانقضاض عليك»، وأشرت برأسي نحو باقي الغرفة.

ضحك ماكسون بمكر وقال: «لكنكِ لستِ كذلك، لذا لم يكن لديكِ أي تردد في ركلي في مكان حساس، أليس كذلك؟».

«ركلت فخذك فقط!».

رد بصوت يقطر سخرية: «حقًّا؟ الرجل لا يحتاج إلى وقت طويل كهذا للتعافي من ركلة في الفخذ».

ضحكت دون قصد على ذلك، ولحسن الحظ ضحك ماكسون معي. في تلك اللحظة، أصابت قذيفة أخرى النوافذ، فتوقفنا في آن واحد. لقد نسيتُ للحظاتٍ ما نمر به.

ثم سألته: «إذن، كيف ستتعامل مع غرفة زاخرة بالنساء الباكيات؟».

ارتسمت على وجهه ملامح ارتباك مضحكة، وكأنه يواجه معضلة لا حل لها.

همس مسرعًا: «لا يوجد شيء في العالم يربكني أكثر من هذا! ليست لديَّ أدنى فكرة عن كيفية إيقافهن عند البكاء».

كان الأمر مثيرًا للضحك، هذا هو الرجل الذي سيتولى قيادة بلدنا، يتجمد في مكانه أمام الدموع.

قلت له محاولة نصحه: «حاول أن تربِّت ظهورهن أو أكتافهن، وتخبرهن بأن كل شيء سيكون على ما يرام. كثيرًا ما تبكي الفتيات، وأحيانًا كل ما يحتجن إليه هو شخص يطمئنهن، وليس شخصًا يحل لهن مشاكلهن».

سألني باستغراب: «حقًّا؟».

قلت له: «غالبًا».

رد بنبرة شك وفضول: «لا يمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة».

«قلتُ: في معظم الأحيان، وليس دائمًا. لكن من المحتمل أن تنجح هذه الطريقة مع الكثير من الفتيات هنا».

زفر ماكسون بامتعاض قائلًا: «لست متأكدًا من ذلك. اثنتان بالفعل سألتاني عما إذا كنت سأسمح لهما بالمغادرة بمجرد انتهاء هذه الفوضى».

«ظننتُ أن هذا غير مسموح به»، لكن لم يكن عليَّ أن أستغرب. بما أنه وافق على بقائي صديقة، فمن الواضح أنه لا يهتم بالبروتوكولات. وأردفت: «وماذا ستفعل بشأن ذلك؟».

«ماذا يمكنني أن أفعل؟ لن أُجبر أحدًا على البقاء ضد إرادته».

قلتُ له بنبرة تفاؤل: «ربما تغيران رأيهما».

قال: «ربما»، ثم توقف للحظة وسألني بنبرة شبه مازحة: «وماذا عنكِ؟ هل شعرتِ بالخوف حتى الآن؟».

اعترفت له: «بصراحة؟ كنتُ مقتنعة بأنك سترسلني إلى المنزل بعد الإفطار، على أي حال».

«بصراحة؟ فكرتُ في الأمر أنا أيضًا».

تبادلنا ابتسامة هادئة. كانت صداقتنا، إذا كان يمكنني حتى تسميتها هكذا، غريبة وغير مستقرة، لكنها على الأقل كانت صادقة.

«لم تُجيبي بعد... هل ترغبين في المغادرة؟».

في تلك اللحظة، ارتطم شيء آخر بالجدار، وأدركت أن فكرة الرحيل لم تبدُ سيئة على الإطلاق. أسوأ ما واجهته في المنزل كان محاولات جيراد المستمرة لسرقة طعامي. أما هنا فالفتيات لا يكدن يلاحظن وجودي، والملابس تخنقني، والناس من حولي لا يترددون في إظهار نياتهم السيئة. كل شيء بدا ثقيلًا وغير مريح.

ورغم ذلك، كان بقائي هنا يحمل بعض المزايا الجيدة: راحة عائلتي، والشعور الدافئ بالشبع بعد كل وجبة.

يبدو لي ماكسون تائهًا بعض الشيء.

من يدري؟ ربما يمكنني مساعدته في اختيار الأميرة التالية.

نظرت إلى ماكسون مباشرة في عينيه وقلت له: «إذا لم تكن تنوي طردي، فلن أذهب من تلقاء نفسي».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال: «جيد، عليكِ إخباري بالمزيد من تلك الحيل الصغيرة كالتربيت على الكتف».

ابتسمت بدوري، وشعرت كأن الأمور، رغم كل المشاكل، قد تبدأ اتخاذ مسار جيد.

«أميريكا، هل يمكن أن تُسدي لي خدمة؟».

أومأت له.

«بالنسبة للأخريات... إذا سألت إحداهن، فالجميع يعلمن أننا قضينا وقتًا طويلًا معًا الليلة الماضية، هل يمكنك أن تقولي لهن... إنني لم أكن... إنني لم أفعل أي شيء... سيئ؟».

«بالطبع، لا تقلق. وأعتذر حقًّا عن كل شيء».

«كان يجب أن أعلم... إذا كانت هناك فتاة ستخالف الأوامر، فلا بد أنها أنتِ».

ارتطم شيء ثقيل بالجدار، تلاه صراخ متقطع من بعض الفتيات.

سألته: «مَن هم؟ ماذا يريدون؟».

رد عليَّ: «مَن؟ المتمردون؟».

أومأت برأسي.

قال: «يعتمد ذلك على مَن تسألين... وأي مجموعة تقصدين».

«أتعني أن هناك أكثر من مجموعة؟». شعرت بالتوتر يشتد داخلي. إذا كانت مجموعة واحدة كافية لبث الرعب في القصر، فماذا يمكن أن تفعل أكثر من مجموعة إذا اتحدت؟ كانت كلمة متمرد تعني شيئًا واحدًا لي: الخطر. لكن ماكسون جعل الأمر يبدو أكثر تعقيدًا، وكأن بعضهم أشد خطورة من الآخرين.

سألته: «كم عددهم؟».

«عادةً اثنتان، الشماليون والجنوبيون. الشماليون يهاجمون بشكل أكثر لأنهم أقرب».

وتابع بينما يعلو الضجيج: «إنهم يعيشون في المنطقة الممطرة من لايكلي، بالقرب من بيلينجهام، شمالنا مباشرة. لا أحد يرغب حقًّا في العيش هناك، فالمنطقة مليئة بالأنقاض، لكنهم جعلوا منها موطنًا لهم، رغم أنهم في الغالب يفضلون الارتحال. لديَّ نظرية حول هذا، لكنها مجرد واحدة من النظريات التي لا يستمع إليها أحد. هم أقل ميلًا إلى اقتحام الأماكن، وعندما يفعلون، لا تكون النتائج خطيرة. أعتقد أن ما نراه هنا عمل الشماليين».

«لماذا؟ ما الذي يجعلهم مختلفين عن الجنوبيين؟».

تردد ماكسون لوهلة، غير متأكد مما إذا كان ينبغي أن يكشف لي عن تلك المعلومة. نظر من حوله بحذر؛ للتأكد من أن أحدًا لا يسمع حديثنا. تلفت حولي أنا أيضًا مثله، لأجد أن عيونًا كثيرة تراقبنا عن بُعد، بمن في ذلك سيليستي التي كانت تحدّق إليّ وكأنها تحاول إحراقي بنظرتها.

أدرت وجهي سريعًا. حتى مع كل هذه النظرات الفضولية من حولنا، كان الجميع بعيدين بما يكفي لئلا يسمعونا. أدرك ماكسون الأمر أيضًا، فاقترب وهمس بصوت لا يكاد يُسمع:

«هجماتهم أكثر... فتكًا».

ارتعدت عند سماع تلك الكلمة: «فتكًا؟».

أومأ موضحًا: «يظهرون مرة أو مرتين في السنة، وفقًا لما أستطيع أن أستنتج من آثارهم. أعتقد أن الجميع هنا يحاولون حمايتي وعدم إخباري بالإحصائيات، لكنني لست غبيًّا. فالموت يتبع مجيئهم. المشكلة أن كلتا المجموعتين تبدو متشابهة لنا، فملابسهم رثة، ومعظمهم رجال، نحيفون ولكنهم أقوياء، ولا توجد أي علامة تُميِّزهم؛ لذا لن نعرف من نواجهه حتى تنتهي الفوضى».

نظرت حول الغرفة. كان هناك العديد من الأشخاص المعرضين للخطر إذا تبين أن ماكسون كان مخطئًا، وأن المهاجمين الآن من الجنوب.

عادت أفكاري إلى خادماتي المسكينات، ولم أستطع منع نفسي من الشعور بالقلق عليهن.

وسألته: «لكن ما زلت لا أفهم، ماذا يريدون؟».

هز ماكسون كتفيه وأجاب: «يبدو أن الجنوبيين يريدون تدميرنا، لا أعرف السبب بالتحديد، لكنني أظن أنهم يشعرون بالاستياء أو ربما التعب من العيش على هامش المجتمع. فهم ليسوا حتى ضمن الطبقة الثامنة؛ لأنهم لا يلعبون أي دور في الشبكة

الاجتماعية. أما الشماليون؛ فهم يمثلون لغزًا. يقول والدي إن هدفهم الوحيد هو إزعاجنا وتعطيل الحكم، لكنني لا أعتقد أن هذا كل ما في الأمر».

رأيت ومضة صغيرة من الفخر في عينيه بينما يتابع: «لديَّ نظرية أخرى بشأنهم».

سألته: «هل يمكنني معرفة ما هي؟».

تردد لوهلة مجددًا، لكن، هذه المرة، لم يكن الخوف من إخافتي هو السبب؛ بل بدا كأنه يخشى ألا أصدِّقه أو أن أستهين بنظريته.

اقترب مني مرة أخرى هامسًا: «أعتقد أنهم يبحثون عن شيء».

سألته بفضول: «ما هو؟».

«هذا ما لا أعرفه، لكنَّ هناك نمطًا يتكرر دائمًا بعدما يأتي الشماليون. يضربون الحراس أو يُصيبونهم أو يُقيّدونهم، لكنهم لا يقتلونهم أبدًا. يبدو كأنهم لا يريدون أن يتم تتبعهم. ومع ذلك، بعض الأشخاص يُختطفون، وهذا الجزء هو ما يثير القلق. ثم هناك أمر الغرف... كل غرفة يتمكنون من الوصول إليها تُصبح في حالة فوضى تامة. يجذبون الأدراج ويقلبون الأرفف ويرفعون السجاد. يحطمون الكثير من الأشياء، لن تصدقيني إن أخبرتك بعدد الكاميرات التي غيرتها على مر السنين لأنهم حطموها».

كررت بدهشة: «كاميرات؟».

ظهر على وجهه الخجل وقال: «أجل، أحب التصوير. لكن رغم كل ما يثيرونه من فوضى، لا ينتهي بهم الأمر بأخذ الكثير. والدي، بطبيعة الحال، يعتقد أن فكرتي سخيفة. فما الذي قد يبحث عنه مجموعة من الهمج الأميين؟ ومع ذلك، أظن أن هناك شيئًا يريدونه».

كان الأمر مثيرًا للاهتمام. لو كنت في مكانهم، مُعدمة وأعرف كيفية التسلل إلى القصر، أعتقد أنني كنت سأسرق كل قطعة مجوهرات أستطيع العثور عليها، وأي شيء يمكنني

بيعه. لا بد أن هؤلاء المتمردين لديهم أهداف تتجاوز مجرد التصريحات السياسية أو البقاء على قيد الحياة. عندما يأتون إلى هنا، يبدو أن لديهم غاية أعمق.

سأل ماكسون فجأة، قاطعًا تيار أفكاري: «هل تعتقدين أن نظريتي سخيفة؟».

قلت له: «لا، ليست سخيفة. هي محيرة لكنها ليست سخيفة».

تبادلنا ابتسامة هادئة. وفي تلك اللحظة، أدركت شيئًا، لو كان ماكسون مجرد شاب عادي، شخص اسمه ماكسون شرايف فقط، وليس الملك المستقبلي لإيليا، لكان ذلك النوع من الجيران الذي أرغب في أن أعيش بالقرب منه، فهو شخص أستطيع التحدث معه.

تنحنح وقال: «أظن أن عليَّ إنهاء جولاتي مع الجميع».

قلت له: «نعم، أتصور أن هناك العديد من الآنسات يتساءلن عن سبب تأخرك».

ابتسم ماكسون وقال: «إذن يا صديقتي، هل لديكِ أي اقتراحات حول من يجب أن أتحدث إليها بعدك؟».

ابتسمت ثم ألقيت نظرة سريعة خلفي، لأتأكد من أن مرشحتنا لا تزال صامدة في ذلك الموقف. لحسن الحظ، كانت على ما يرام.

أشرت برأسي وقلت: «أترى تلك هناك؟ الفتاة الشقراء في الفستان الوردي؟ تلك مارلي، هي عزيزة عليَّ ولطيفة وتحب مشاهدة الأفلام، هيا انطلق».

ضحك ماكسون وسار باتجاهها.

بدا الوقت في قاعة الطعام كأنه أبدي، رغم أن الهجوم لم يستمر أكثر من ساعة بقليل. اكتشفنا لاحقًا أنه لم يتمكن أحد من اقتحام القصر، بل وصلوا إلى حدوده الخارجية فقط. لم يطلق الحراس النار على المتمردين إلا عندما حاولوا الوصول إلى الأبواب الرئيسية،

وهو ما يفسر الحجارة التي انتُزعت من جدران القصر والطعام الفاسد الذي ظلوا يقذفونه على النوافذ لفترة طويلة.

في النهاية، اقترب رجلان أكثر مما ينبغي من الأبواب، فأطلق الحراس الطلقات النارية، وهرب الجميع بعدها. وإذا كانت توقعات ماكسون صحيحة، فأغلب الظن أن هؤلاء كانوا من الشماليين.

أبقونا في مكاننا لبعض الوقت بينما أخذوا يمشطون محيط القصر. وعندما تأكدوا من أن كل شيء على ما يرام، سمحوا لنا بالعودة إلى غرفنا. كنت أسير متشابكة الذراع مع مارلي، لكن شعور الإرهاق بدأ يتسلل إليَّ بعد أن حاولت التماسك خلال ما حدث. كنت ممتنة لوجودها بجانبي لتشغلني عن التوتر الذي سبَّبه هجوم اليوم.

سألتني مارلي: «هل سمح لكِ بارتداء السراويل في النهاية؟»، كنت قد بدأت التحدث عن ماكسون فورًا، متشوقة لمعرفة كيف سارت محادثتهما.

«نعم، كان كريمًا جدًّا بخصوص هذا الأمر».

ابتسمت مارلي وقالت: «من اللطيف أنه يعرف كيف يتصرف بلطف رغم فوزه بالرهان».

ضحكت وأجبتها: «نعم، هذا صحيح. بل يتصرف بلطف حتى عندما لا تسير الأمور لصالحه»، وأكملت في سري: عندما تركله فتاة غاضبة مثلًا.

سألتني مارلي: «ماذا تعنين؟».

أجبتها: «لا شيء»، فأنا لم أرغب بالخوض في تلك التفاصيل، ثم سألتها: «فيمَ تحدثتما اليوم؟».

احمر وجهها وهي تقول: «حسنًا، سألني إن كنت أرغب في رؤيته هذا الأسبوع».

«مارلي! هذا رائع!».

قالت وهي تتلفت حولها بقلق رغم أن بقية الفتيات كنَّ قد صعدن السلم بالفعل: «هُس! أحاول ألا أرتقي بآمالي كثيرًا».

ساد بيننا الصمت للحظة، قبل أن تتابع بحماس: «لكن مَن أحاول خداعه؟! أنا متحمسة جدًّا لدرجة أنني أكاد لا أستطيع الصمود! أتمنى ألا يتأخر في دعوتي».

ضحكت وقلت: «إذا كان قد سألك ذلك بالفعل، فأنا واثقة بأنه سيدعوكِ قريبًا. أعني، بعد أن ينتهي من إدارة شئون البلاد لهذا اليوم بالطبع».

ضحكت قائلة: «لا أستطيع تصديق هذا! أعني، كنت أعلم أنه وسيم، لكن لم أكن متأكدة من تصرفاته. كنت قلقة من أن يكون... متعجرفًا أو شيئًا من هذا القبيل».

«أنا أيضًا ظننت مثلك، لكنه في الحقيقة...»، وصمتُّ لبرهة ثم أخذت أفكر: ماذا كان ماكسون حقًّا؟ كان متعجرفًا نوعًا ما، لكن ليس بالطريقة التي تخيلتها، لم يكن مزعجًا كما ظننت. كان بالتأكيد أميرًا، لكنه كان أيضًا... كان... عاديًّا».

لكن مارلي لم تكن تنظر إليَّ، بل كانت غارقة في أحلامها الوردية بينما كنا نسير. تمنيت أن تكون الصورة التي ترسمها لماكسون هي الصورة التي يمكنه أن يحققها لها، وأن تكون من صنف الفتيات الذي يريده. تركتها عند باب غرفتها ولوحت إليها بيدي ثم توجهت إلى غرفتي.

تلاشت أفكاري حول مارلي وماكسون فور أن فتحت الباب. كانت آن وماري مجتمعتين حول لوسي التي كانت في حالة صدمة كبيرة. كان وجهها أحمر من أثر الدموع التي انهمرت على خديها، وارتعاشاتها المعتادة قد تحولت إلى هزات عنيفة جعلت جسدها ينتفض بالكامل.

كانت آن تداعب شعر لوسي الهائش وتهمس لها: «اهدئي الآن يا لوسي، كل شيء على ما يرام».

وقالت ماري بنبرة حنونة وهي تمسك يدها المرتجفة: «لقد انتهى كل شيء الآن ولم يصب أحد بأذى، أنتِ في أمانٍ، عزيزتي».

كنت في حالة صدمة شديدة لدرجة أنني لم أستطع الكلام. كانت هذه اللحظة صراعًا خاصًا بلوسي، وينبغي ألا أقتحم خصوصيتها هكذا. هممت بالتراجع من الغرفة، لكن لوسي أمسكت بي قبل أن أبتعد.

تلعثمت وهي تتحدث إليَّ بينما أخذت الأخريات ينظرن بقلق: «آس-س-فة، آنستي، آنستي، آنستي...».

أغلقت الباب حتى لا يراها أحد آخر وسألتها: «لا تجهدي نفسك، هل أنتِ بخير؟».

حاولت لوسي أن تبدأ الحديث من جديد، لكنها لم تستطع نطق الكلمات بشكل واضح. فلقد استولى عليها النشيج والارتعاد.

أكدت آن: «ستكون بخير يا آنستي. يستغرق الأمر بضع ساعات، لكنها تهدأ عندما يعم السكون. وإذا استمرت حالتها على ما هي عليه، فيمكننا أخذها إلى جناح المستشفى»، ثم خفضت صوتها وتابعت: «لكن لوسي لا تريد ذلك. إذا اعتقدوا أنها غير مؤهلة، فسيتركونها تعمل في غرف الغسيل أو المطبخ، ولوسي تحب أن تخدم هنا».

لم أعلم من كانت آن تعتقد أنها تخدع بمحاولتها خفض صوتها. كنّا جميعًا حول لوسي، وكان بوسع لوسي أن تسمع كل كلمة بوضوح، حتى في حالتها المضطربة.

حاولت لوسي أن توضح: «أرجوكِ آنستي. لا أريد... لا أريد... أنا...».

قلت لها: «اهدئي يا لوسي، لا أحد سيبلِّغ عنكِ»، ثم نظرتُ إلى آن وماري وقلت: «ساعداني في نقلها إلى السرير».

كان ينبغي أن يكون الأمر سهلًا مع وجود ثلاثتنا، لكن لوسي كانت تتلوى بشدة، لذا أخذت أطرافها تفلت من بين أيدينا، تطلب الأمر جهدًا كبيرًا لتهدئتها. دثَّرناها بالأغطية، وبدا السرير كأنه يمنحها راحة لا تستطيع كلماتنا أن توفرها. ومع مرور الوقت، بدأت رعشتها تتلاشى تدريجيًّا، حتى هدأت تمامًا وهي تحدق إلى الفراغ بعينين شاردتين.

جلست ماري على حافة السرير بجانبها وبدأت تهمس لحنًا، ما ذكَّرني باللحظات التي كنت أعتني فيها بماي عندما كانت مريضة.

عندها أخذت آن وذهبنا إلى ركن بعيد عن مسامع لوسي، وهمست لها: «ماذا حدث؟ هل تمكن أحد من الدخول؟»، توقعت أن تخبرني بأنهم دخلوا.

طمأنتني آن وقالت: «لا، لا، هذه ليست الحال هنا. لوسي دائمًا ما تتصرف هكذا عندما يقترب المتمردون، مجرد الحديث عنهم يمكن أن يجعلها تدخل في نوبة بكاء. هي...».

أطرقت آن تتأمل حذاءها الأسود اللامع، غارقة في أفكارها، مترددة في البوح بما يتعلق بلوسي. لم أرغب في التدخل بحياة لوسي، لكنني أردت أن أفهم السبب في حالتها تلك.

أخذت نفسًا عميقًا، ثم بدأت تحكي لي:

«بعضنا وُلد هنا، ماري وُلدت في القلعة، ووالداها ما زالا يعملان هنا حتى اليوم. أما أنا، فكنت يتيمة، جاءوا بي إلى القصر لأنهم كانوا بحاجة إلى خدم جدد». أمسكت طرف فستانها وعدلته، كما لو أنها تحاول أن تزيح عن نفسها عبء ذكريات مضت، لكن آثارها لا تزال عالقة في روحها، ثم واصلت: «أما لوسي... فقد تم بيعها إلى القصر».

صُدمت حينها وقلت: «تم بيعها؟ لكن كيف؟ نحن لا نعيش في زمن العبيد!».

«صحيح، ليس هناك عبيد... رسميًا. لكن هذا لا يعني أن الاستغلال لم يعد موجودًا. كانت عائلة لوسي بحاجة ماسة إلى المال لإجراء عملية جراحية لوالدتها. وبسبب ضيق الحال، اضطرت عائلتها لتقديم خدماتها لعائلة من الطبقة الثالثة مقابل المال. لكن والدتها لم تتحسن، ولم يتمكنوا من سداد الدين المتراكم عليهم. وهكذا، استمرت لوسي ووالدها في العيش والعمل لدى تلك العائلة لسنوات. ومما فهمته، لم تكن حالهم أفضل من العيش في حظيرة، بالنظر إلى الطريقة التي كانوا يعامَلون بها».

توقفت قليلًا ثم تابعت: «ما جعل الأمر أكثر تعقيدًا هو أن ابن العائلة وقع في حب لوسي. أعرف أنه أحيانًا لا يهم أي طبقة تنتمي إليها، لكن الانتقال من الطبقة السادسة إلى الطبقة الثالثة يمثل قفزة كبيرة. عندما اكتشفت والدته مشاعره تجاه لوسي، باعتها ووالدها للقصر. أتذكر حين وصلت لوسي إلى هنا ظلت تبكي لأيام متواصلة، لا بد أنه كان بينهما حبٌّ عميق».

نظرتُ إلى لوسي وشعرتُ بوخزة ألم في قلبي. على الأقل، في حالتي كان بوسعنا اتخاذ القرار. لكن لوسي لم تُمنح أي فرصة حينما جعلوها تخسر حبيبها.

ثم تابعت آن: «والد لوسي يعمل في الإسطبلات. صحيح أنه ليس الأسرع أو الأقوى، لكنه يتمتع بولاء لا يُضاهى. أما لوسي فهي خادمة. قد يبدو لك هذا سخيفًا، لكن العمل خادمة في القصر يُعد شرفًا كبيرًا. نحن في الخط الأول؛ الوجه الذي يراه أي شخص يزور القصر. لا يُختار لهذا الدور إلا من يُثبت أنه جدير به، من يتمتع بالكفاءة، والذكاء، والجاذبية الكافية ليمثل هذا المكان. نحن نأخذ عملنا بجدية شديدة، ولأسباب وجيهة. إذا أخفقنا في أداء مهامنا، فسيتم نقلنا إلى المطبخ. وهناك، لن نجد سوى التعب؛ أصابعنا ستؤلمنا من العمل المستمر، والملابس التي نرتديها تكون فضفاضة وعملية، بعيدة كل البعد عن الأناقة. أو قد ينتهي بنا المطاف في أعمال أشد قسوة، كتقطيع الحطب أو كنس الساحات. ليس من السهل أن يصبح المرء خادمًا».

شعرتُ في تلك اللحظة بمدى جهلي. في نظري، كنت أعتقد أنهم جميعًا ينتمون إلى الطبقة السادسة، كما لو كانوا في مستوى واحد بلا اختلافات. لكنني كنت مخطئة؛ هناك طبقات داخل هذه الطبقة؛ طبقات لم أفهمها من قبل.

«قبل عامين، تعرض القصر لهجوم مباغت في منتصف الليل، تسلل المهاجمون بزي الحراس، ما أشاع الفوضى في المكان. لم يعد أحد يعرف مَن يقاتل مَن؛ كان الحراس يشتبكون مع بعضهم ظنًّا منهم أنهم يدافعون، بينما استغل المتسللون الفوضى وتسللوا عبر الصفوف المتخلخلة. كان المشهد أشبه بالكابوس».

ارتجفتُ عند تخيل المشهد؛ الظلال التي تغمر القاعات الواسعة، الصرخات المتناثرة في كل مكان، والخطر الكامن في كل ركن. مقارنة بهجوم صباح اليوم، بدا لي أن ذلك الهجوم المباغت كان من الجنوبيين.

خفضت آن عينيها وكأنها تحاول أن تنأى بنفسها عن الذكرى، ثم تابعت بنبرة خافتة: «أحد المهاجمين وجد طريقه إلى لوسي... لا أعتقد أن لديهم نساءً بينهم... إذا فهمتِ ما أعنيه».

لم أتمكن من الرد سوى بهمسة: «أوه...».

«لم أشاهد ذلك بنفسي، لكن لوسي أخبرتني... قالت إن الرجل كان قذرًا، مغطى بالأوساخ من رأسه حتى أخمص قدميه. والأسوأ من ذلك... أنه كان يلعق وجهها باستمرار»، تقلص وجه آن اشمئزازًا وهي تخبرني بذلك.

انقبضت معدتي لمجرد التفكير فيما حدث. كانت الفكرة مقززة لدرجة لا تُحتمل، وكدت أتقيأ إفطاري. لكن فهمت كيف يمكن لفتاة مثل لوسي، التي واجهت الكثير من المعاناة في حياتها، أن تنكسر تحت وطأة هجوم كهذا.

تابعت آن حديثها: «أخذ يسحبها إلى مكان ما، وهي تصرخ بأعلى صوتها، لكن وسط الفوضى العارمة، ضاعت صرخاتها بين الضجيج. ثم ظهر حارس آخر من الزاوية، هذه المرة

كان حارسًا حقيقيًا. لم يتردد، رفع بندقيته وصوب رصاصة مباشرة على رأس المتمرد. انهار جسد الرجل على الفور، وسقط فوق لوسي، تاركًا إياها محاصَرة تحته، مغطاة بدمائه».

غطيت فمي بيدي، مصدومة من هول المشهد الذي يروى لي. لم أستطع أن أستوعب كيف تحملت لوسي الصغيرة الرقيقة كل هذا الرعب، لا عجب أن رد فعلها كان هكذا.

«وصحيح أنهم عالجوا جروحها الجسدية، لكن لم يهتم أحد بما حدث لعقلها. هي الآن تحاول أن تبدو متماسكة، لكننا نرى ما بداخلها. إنها لا تفعل ذلك من أجل نفسها فحسب، بل من أجل والدها أيضًا. فهو فخور جدًا بأن ابنته ذات كفاءة بما يكفي لتكون خادمة في القصر، وهي لا تريد أن تخيب أمله. نحاول جاهدين إبقاءها هادئة، لكن في كل مرة تسمع عن قدوم المتمردين، يتملكها الرعب. تظن أن هذه المرة سيكون الأمر أسوأ، أن أحدهم سيأتي ليأخذها... ليؤذيها أو يقتلها».

«هي تحاول جاهدة يا آنستي، لكن لا أعلم لكم من الوقت ستظل تتحمل كل ذلك إن حدث مجددًا».

أومأت إليها بأنني فهمتها، وأخذت أنظر إلى لوسي التي كانت ممددة في سريرها، عيناها مغمضتان، غارقة في النوم على الرغم من أن النهار لم يبلغ منتصفه بعد.

قضيت بقية اليوم في القراءة، بينما انشغلت آن وماري بتنظيف أشياء لم تكن متسخة في الحقيقة. ظللنا جميعًا هادئات حتى تتعافى لوسي.

في تلك اللحظة، قطعت وعدًا لنفسي: إذا كان بوسعي فعل شيء لحمايتها، فلن أسمح للوسي بأن تمر بمثل هذا الكابوس مرة أخرى.

الفصل 14

حدث كما توقعت، تراجعت الفتاتان اللتان طلبتا العودة إلى منزليهما عن قرارهما بمجرد أن هدأت الأوضاع. لم نكن نعرف مَن كانتا بالضبط، لكن بعض الفتيات، ولا سيما سيليستي، كن مصممات على اكتشاف الحقيقة. في تلك اللحظة، كنا لا نزال سبعًا وعشرين فتاة.

أما الهجوم، فكان في نظر الملك حادثًا بسيطًا، إذ لم يكد يسترعي اهتمامه. لكن مع وصول طواقم التصوير في ذلك الصباح وبث جزء من الحدث على الهواء مباشرة، تغيرت ملامحه بانزعاج ملحوظ. جعلني هذا أتساءل عن عدد الهجمات التي تعرض لها القصر من قبل دون أن تصل إلينا أنباؤها، أيمكن أن يكون هذا المكان أقل أمانًا مما اعتقدت؟

شرحت سيلفيا لنا أنه لو كان الهجوم أكثر خطورة، لكان بإمكاننا جميعًا الاتصال بعائلاتنا لطمأنتهم، لكن بما أن الأمر لم يكن كذلك، فقد طُلب منا الاكتفاء بكتابة الرسائل لهم.

كتبتُ لهم في رسالتي أنني بخير، وأن الهجوم بدا في الظاهر أكثر خطورة مما كان عليه، وأن الملك لم يتوانَ عن حمايتنا جميعًا. طمأنتهم وطلبت منهم ألا يقلقوا عليَّ، وأخبرتهم كم أفتقدهم، ثم سلمت خادمة ودودة الرسالة لتوصلها.

مر اليوم التالي للهجوم بهدوء تام ودون أي حوادث. كنت قد خططت للذهاب إلى غرفة النساء لأتحدث مع الأخريات عن ماكسون، لكنني حين رأيت لوسي شديدة الاضطراب، فضلت البقاء في غرفتي.

لم أكن على دراية كاملة بما تفعله خادماتي الثلاث أثناء غيابي، لكن عندما كنت معهن في الغرفة، كنَّ يشغلن الوقت بممارسة ألعاب الورق معي ويتبادلن معي بعض الشائعات أثناء حديثنا.

اكتشفت أن مَن رأيتهم في القصر هم عدد قليل، إذ كان هناك العديدون غيرهم يعملون في الخفاء. كنت أعلم بالطهاة ومن يغسلون الملابس، لكنني فوجئت بوجود أشخاص مهمتهم الوحيدة هي تنظيف النوافذ. تستغرق عملية تنظيف النوافذ أسبوعًا كاملًا، وبمجرد أن ينهوا عملهم، يعود الغبار ليجد طريقه متجاوزًا جدران القصر ليغطي الزجاج النظيف، ما يستدعي تنظيفه مرة أخرى.

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، بل كان هناك صائغون ماهرون يصنعون قطعًا خاصة تليق بالعائلة، ويجهزون هدايا فاخرة للزوار. كما كانت هناك فرق من الخياطات والمشترين ينهمكون في عملهم، متفانين في الحفاظ على مظهر العائلة الملكية، وعلى مظهرنا نحن أيضًا، في أبهى حلة.

اكتشفت أشياء أخرى كذلك. كان الحديث يدور حول أكثر الحراس وسامة، والفستان الموحد ذي التصميم المربع الذي كانت الخادمة الكبرى تجبر الموظفين على ارتدائه في المهرجانات، كما أن بعض العاملين في القصر يراهنون على أي فتاة من الفتيات المختارات ستفوز بقلب الأمير، وتفاجأت عندما علمت أنني كنت من بين الخيارات العشرة الأولى.

كذلك عرفت أن أحد الطهاة لديه طفل مريض بمرض ميئوس منه، وهو ما أثر في آن، التي كانت صديقة مقربة للزوجين اللذين انتظرا طويلًا ليصبحا والدين.

أثناء استماعي لتلك الأحاديث واشتراكي فيها حينما كان لديَّ ما يستحق إضافته، شعرت بأن هذا العالم الصغير في غرفتي أكثر إثارة من أي شيء قد يحدث في الطابق السفلي. كانت الأجواء هادئة ومليئة بالبهجة، وكنت ممتنة لوجود مثل هذه الصحبة.

كان اليوم جميلًا بحق، لدرجة أنني قررت أن أعود وأقضي اليوم التالي في غرفتي. هذه المرة، أبقينا الأبواب مفتوحة بين الردهة والشرفة، وبدأ الهواء الدافئ يتسلل إلينا ويغمرنا برفق. لاحظت كيف أضفى الهواء المنعش إشراقة خاصة على لوسي، وتساءلت كم مرة تُتاح لها مثل هذه اللحظات للخروج.

علقت آن بأن هذا كله غير مناسب، وأنه لا يليق بي أن أجلس معهن وألعب الألعاب وأترك الأبواب مفتوحة، لكنها سرعان ما تراجعت عن تعليقها، وبدأت تدرك أنه لا فائدة من محاولاتها لجعلي أتصرف كآنسة راقية.

كنا في منتصف لعبة الورق عندما لمحت شيئًا بطرف عيني. كان ماكسون يقف عند الباب المفتوح ويبدو مستمتعًا. تلاقت أعيننا، وقرأت في تعبيره تساؤلًا صامتًا عن سبب وجودي هنا. عندها نهضت بابتسامة وسرت نحوه.

همست آن عندما أدركت أن الأمير يقف عند الباب: «آه، يا إلهي!، وبسرعةٍ جمعت أوراق اللعب في سلة الخياطة ونهضت على الفور، وتبعتها ماري ولوسي.

قال ماكسون بابتسامة: «آنساتي».

انحنت آن بانحناءة خفيفة وقالت: «جلالتك، إنه لشرف عظيم يا سيدي».

ابتسم وقال: «الشرف لي أيضًا».

نظرت الخادمات إلى بعضهن بتأثر ظاهر، وفي لحظة قصيرة من الصمت، كنَّا جميعًا غير متأكدات تمامًا مما ينبغي علينا فعله.

فجأة، قطعت ماري الصمت قائلة: «كنا للتو على وشك المغادرة».

وأضافت لوسي بسرعة: «نعم، هذا صحيح! كنا... فقط...» ثم نظرت إلى آن بلهفة تطلب منها إسعافها بالكلمات.

استدركت آن الموقف وقالت: «كنا ذاهبات لإنهاء فستان السيدة أميريكا ليوم الجمعة».

وأكدت ماري: «صحيح، لم يتبق سوى يومين».

بدأن الدوران حولنا للخروج من الغرفة، والابتسامات العريضة ترتسم على وجوههن.

قال ماكسون وهو ينظر إليهن: «لا أريد أن أعطلكن عن عملكن»، وبدا جليًّا أنه كان مستمتعًا بتصرفاتهن.

عندما وصلن إلى الردهة، قدمن انحناءات سريعة غير متقنة، ثم انطلقن مبتعدات بخطوات متسارعة. وما إن اختفين حول الزاوية، حتى ترددت ضحكات صغيرة للوسي في الممر، تلتها همسات آن الحادة وهي تحاول تهدئة زميلتيها.

التفت إليَّ ماكسون وهو يخطو داخل الغرفة، مستطلعًا المكان من حوله وقال: «لديك حقًّا مجموعة رائعة من الخادمات».

أجبته بابتسامة: «إنهن يحرصن على إبقائي مستعدة دائمًا».

قال: «من الواضح أنهن يحملن لك مودة حقيقية، وهذا شيء نادر وثمين».

نظر حوله ثم عاد ليواجهني: «بالمناسبة، هذا ليس شكل غرفتك الذي تخيلته».

رفعت ذراعي بغير مبالاة ثم تركتها تسقط وقلت: «ليست غرفتي فعلًا، أليس كذلك؟ هذه الغرفة تخصك، وأنا فقط أستعيرها».

ظهرت على وجهه علامة استغراب وقال: «أيعقل أنهم لم يخبروكِ بأن بإمكانك إجراء تعديلات؟ كإضافة سرير جديد أو اختيار طلاء مختلف».

هززت كتفي بلا اهتمام وقلت مازحة: «طبقة من الطلاء لن تجعل المكان لي، الفتيات مثلي لا يعشن في غرف ذات أرضيات رخامية».

ارتسمت ابتسامة على وجهه، وسأل: «وكيف تبدو غرفتك في المنزل إذن؟».

تجنَّبت سؤاله، ثم بادرته: «لماذا جئت إلى هنا بالضبط؟».

«أوه! كانت لديَّ فكرة».

«عن ماذا؟».

أخذ يتحدث بينما يتجول في الغرفة: «حسنًا، فكرت أنه بما أن علاقتنا ليست تقليدية كما هي مع الفتيات الأخريات، فربما علينا إيجاد... وسائل بديلة للتواصل». ثم توقف عند مرآتي ونظر إلى صور عائلتي المعلقة، ابتسم عندما لاحظ صورة أختي وقال: «أختك الصغيرة تشبهك كثيرًا».

اقتربت منه قليلًا وقلت: «نسمع ذلك كثيرًا»، ثم عدت إلى سؤاله: «ماذا قصدت بوسائل بديلة للتواصل؟».

أنهى ماكسون نظره إلى الصور واقترب من البيانو في الزاوية، وقال وهو ينظر إليَّ: «بما أنكِ من المفترض أن تساعديني وأنك صديقتي كما اتفقنا، فكرت أنه ربما يجب ألا نعتمد فحسب على الملاحظات الرسمية التي تُرسل عبر الخادمات، أو الدعوات الرسمية للمواعيد. أردت شيئًا أكثر عفوية وأقل رسمية».

أمسك ماكسون نوتة الموسيقى الموضوعة فوق البيانو وقال: «هل أحضرتِ هذه؟».

أجبته: «لا، كانت موجودة هنا. أستطيع استحضار أي شيء أرغب في عزفه من ذاكرتي».

رفع حاجبيه بدهشة مردفًا: «هذا مثير للإعجاب»، ثم تقدم نحوي وكأنه على وشك إكمال فكرته، لكنه انشغل مرة أخرى.

قلت له مازحة: «هل يمكنك التوقف عن التفتيش وإنهاء فكرة واحدة كاملة؟».

تنهد ماكسون وأجاب: «حسنًا، ما كنت أفكر فيه هو أن تكون لدينا إشارة، أو وسيلة سرية للتواصل، لنخبر بعضنا بأننا بحاجة للحديث دون أن يلاحظ الآخرون. ربما... فرك أنفينا؟» ومرر إصبعه بحركة خفيفة على أنفه.

قلت له: «يبدو للناظر كأن أنفك مسدود، وهذا ليس جذابًا».

نظر إليَّ مرتبكًا بعض الشيء ثم أومأ برأسه قائلًا: «حسنًا، ربما يمكننا ببساطة تمرير أصابعنا عبر شعرنا؟».

هززت رأسي على الفور بالرفض وقلت: «شعري دائمًا ما يكون مرفوعًا بالدبابيس، من المستحيل تقريبًا تمرير أصابعي خلاله. بالإضافة إلى ذلك، ماذا لو كنت ترتدي تاجك؟ ستطيح به من على رأسك».

أشار نحوي بإصبعه مفكرًا: «ملاحظة ممتازة».

مر بجواري مستمرًا في التفكير، ثم توقف بالقرب من الطاولة بجانب سريري وقال: «ماذا عن شد الأذن بخفة؟».

فكرت قليلًا، ثم قلت: «أعجبتني الفكرة. إنها بسيطة بما يكفي لإخفائها، لكنها ليست شائعة لدرجة أن نخطئ فهمها. إذن، ستكون إشارتنا شد الأذن».

كان انتباه ماكسون مركزًا على شيء، لكنه التفت ليبتسم لي ويقول: «أنا سعيد لأنكِ وافقتِ. في المرة المقبلة التي تريدين رؤيتي فيها، ما عليك سوى شد أذنك، وسآتي حالما أستطيع. ربما بعد العشاء». وأنهى كلامه بهزة من كتفيه.

وقبل أن أتمكن من سؤاله عن إمكانية ذهابي إليه، تجول ماكسون في الغرفة حاملًا البرطمان في يده وقال: «ما هذا الشيء؟».

تنهدت: «أخشى أن ذلك يتجاوز حدود التفسير».

في يوم الجمعة كان موعد ظهورنا الأول في النشرة الإخبارية. كان هذا أمرًآ مفروضًا علينا، لكن على الأقل كل المطلوب منا، هذا الأسبوع، هو الجلوس فقط. نظرًا لفارق التوقيت، سنذهب في الساعة الخامسة ثم سنجلس لمدة ساعة، وبعدها سنذهب لتناول العشاء.

أولتني آن وماري ولوسي عناية خاصة أثناء ارتدائي لملابس. كان فستاني باللون الأزرق الداكن، يميل إلى الأرجواني، ضيقًا عند الوركين وينسدل من الخلف في موجات حريرية ناعمة. لم أستطع تصديق أنني ألمس شيئًا بهذه الروعة. قفلن لي أزرار الظَّهر زرًّا تلو الآخر، ووضعن دبابيس مزينة باللؤلؤ في شعري. ثم أضفن قرطًا صغيرًا من اللؤلؤ وقلادة رفيعة كانت اللآلئ فيها متباعدة عن بعضها، ما جعلها تبدو كأنها تطفو على بشرتي. وهكذا أصبحت جاهزة.

نظرت في المرآة، وكانت المفاجأة أنني رأيت أجمل نسخة من نفسي حتى الآن. كنت أعرف ذلك الوجه جيدًا، لكنني كنت أخشى منذ أن كتبت اسمي أن أتحول إلى شخص آخر، مغطاة بطبقات من المكياج ومُثقلة بالمجوهرات، لدرجة أنني سأحتاج إلى أسابيع لأستعيد نفسي مجددًا. لكن حتى هذه اللحظة، ما زلت أحتفظ بجوهر أميريكا.

وكما هي عادتي، شعرت بقطرات العرق تنساب على جبيني، بينما أسير نحو الغرفة التي يُسجلون فيها التقرير في القصر. أُخبرونا بأن نكون هناك قبل عشر دقائق، لكن بالنسبة لي، تعني عشر دقائق خمس عشرة دقيقة، في حين تعني بالنسبة لشخص مثل سيليستي ثلاث دقائق فقط. وهكذا، أخذت الفتيات يتوافدن تدريجيًا.

كان فريق التصوير يتدفق من كل مكان، ويضع اللمسات الأخيرة على المسرح الذي اكتسى بصفوف المقاعد المتدرجة للمختارات. وبينما ينهمك أعضاء المجلس، الذين عرفتهم من خلال سنوات متابعة النشرة، في مراجعة نصوصهم وتعديل ربطات عنقهم. كانت الفتيات المختارات يتفحصن أنفسهن في المرايا، ويعدن ترتيب فساتينهن الفاخرة. كانت الأجواء مشحونة بالنشاط والحركة.

حين التفتُّ جذبتني لمحة سريعة من حياة ماكسون. كانت والدته؛ الملكة الجميلة أمبرلي، تعيد ترتيب خصلات شعرها التي تفرقت، بينما يعدِّل هو سترته. همس لها بشيء، فأومأت برأسها بشكل مطمئن، فابتسم لها. أردت مراقبة المشهد لفترة أطول، لكن سيلفيا، في كامل أناقتها، جاءت لتأخذني إلى مكاني.

أوضحت بنبرة رسمية: «توجهي إلى المقاعد المرتفعة يا آنسة أميريكا. يمكنك الجلوس في أي مكان ترغبين. للعلم فقط، معظم الفتيات حجزن الصف الأمامي بالفعل»، بدا أنها تشعر بالأسف وكأنها تحمل لي خبرًا مخيبًا للآمال.

قلت لها: «أوه، شكرًا لكِ»، وذهبت لأجلس في الخلف بسعادة.

أزعجني صعود الدرجات الصغيرة وأنا أرتدي فستانًا ضيقًا وحذاء بأربطة كثيرة. (هل كان الحذاء ضروريًّا حقًّا؟ لن يرى أحد قدميَّ على أي حال)، لكنني تمكنت من الصعود. عندما رأيت مارلي تدخل، ابتسمت ولوحت لها فجاءت لتجلس بجانبي مباشرة. كان يعني لي الكثير أنها اختارت الجلوس بجانبي، بدلًا من العثور على مكان في الصف الثاني. كانت صديقة وفية، وستكون ملكة عظيمة.

كان فستانها أصفر لامعًا. ومع شعرها الأشقر وبشرتها التي لوَّحتها الشمس بسمرة جذابة، بدت كأنها تشع نورًا في الغرفة.

قلت لها: «مارلي، يعجبني هذا الفستان. تبدين رائعة!».

احمر وجهها خجلًا: «أوه، شكرًا لكِ، ظننت أنه قد يكون مبالغًا فيه بعض الشيء».

«أبدًا! صدِّقيني، إنه رائع عليكِ».

سألتني هامسة: «أردت التحدث معكِ، لكنك كنتِ غائبة. هل تعتقدين أن بإمكاننا التحدث غدًا؟».

همست لها: «بالطبع. سنلتقي في غرفة النساء، أليس كذلك؟ إنه يوم السبت».

أجابتني متحمسة: «اتفقنا».

كانت إيمي تجلس أمامنا مباشرة، فأدارت وجهها نحونا وقالت: «أشعر بأن دبابيسي سقطت، هل يمكنكما التحقق منها؟».

ودون أن تنطق بكلمة، وضعت مارلي أصابعها الرقيقة في تجعيدات شعر إيمي وعدلت الدبابيس غير الثابتة، ثم سألتها: «هل هذا أفضل؟».

تنهدت إيمي: «نعم، شكرًا لكِ».

ثم سألتني زوي: «أميريكا، هل هناك أحمر شفاه على أسناني؟». التفتُّ يساري فوجدتها تبتسم ابتسامة عريضة بشكل مبالغ فيه، كاشفة عن أسنانها البيضاء كاللؤلؤ.

أجبتها: «لا يوجد، لا تقلقي»، ولمحت بطرف عيني مارلي وهي تهز رأسها تأكيدًا لذلك.

تساءلت زوي: «كيف يستطيع أن يكون هادئًا بهذا الشكل؟»، مشيرة إلى ماكسون الذي كان يتبادل الحديث مع أحد أعضاء الطاقم. ثم انحنت ووضعت رأسها بين ركبتيها وبدأت تأخذ أنفاسًا عميقة لتهدئة نفسها.

تبادلتُ النظرات مع مارلي، وابتساماتنا تكاد تفضح رغبتنا في الضحك. كان من الصعب علينا ألا نضحك ونحن ننظر إلى زوي، فحاولنا أن نشغل أنفسنا بتأمل الغرفة ومناقشة ما كانت ترتديه الأخريات. كانت هناك عدة فتيات يرتدين الأحمر الجريء والأخضر النابض بالحياة، لكن لم يكن هناك من يشاركني في اختيار اللون الأزرق. أما أوليفيا فقد اختارت اللون البرتقالي، وأعترف بأنني لم أكن على دراية كبيرة بالموضة، لكنني ومارلي اتفقنا على أن شخصًا ما كان ينبغي أن يقدم لها بعض النصائح؛ فقد جعل اللون بشرتها تبدو خضراء نوعًا ما.

وقبل دقائق معدودة من بدء التصوير، اكتشفنا أن السبب وراء مظهر أوليفيا الشاحب لم يكن الفستان، بل حالتها الصحية؛ إذ فجأة، انحنت وبدأت تتقيأ بصوت مسموع في أقرب سلة مهملات، ثم انهارت على الأرض.

هرعت سيلفيا إلى المكان، لتدب الفوضى في محاولة مسح العرق عن جبين أوليفيا وإعادتها إلى مقعدها. تم وضعها في الصف الخلفي مع حاوية صغيرة عند قدميها، تحسبًا لحالة طارئة أخرى.

كانت باريل تجلس في المقعد أمامها، ولم أستطع سماع همساتها لأوليفيا المسكينة من موقعي، لكن بدا أنها مستعدة لإيذاء أوليفيا إذا فعلت ذلك مجددًا بالقرب منها.

افترضت أن ماكسون قد لمح أو سمع بعض الفوضى، فالتفتُّ نحوه لأرى رد فعله. لكنه لم يكن ينظر إلى الاضطراب الذي حدث، بل كان ينظر إليَّ. وبسرعة - وبشكل يكاد يبدو حركة عفوية – رفع ماكسون يده إلى أذنه وشدَّها برفق. كررت أنا أيضا الحركة نفسها، ثم حولنا نظرنا بعيدًا.

شعرت بسعادة غامرة، إذ علمت أن ماكسون سيأتي إلى غرفتي بعد العشاء، الليلة.

فجأة، بدأت موسيقى النشيد الوطني، وظهرت الشاشات الصغيرة حول الغرفة تعرض الشعار الوطني. جلست بظهر مستقيم، وكل ما يشغل تفكيري هو أن عائلتي ستراني الليلة، وكنت أريد أن يشعروا بالفخر بي.

وقف الملك كلاركسون على المنصة يتحدث عن الهجوم الأخير على القصر، واصفًا إياه بالقصير وغير الناجح. لكنني لم أكن لأسمّيه غير ناجح؛ فقد تمكَّن من إخافتنا جميعًا بشكل كبير.

توالت الأنباء واحدًا تلو الآخر، وكنت أحاول أن أتابعها بتركيز، لكن الأمر كان صعبًا؛ فقد اعتدت مشاهدة النشرة وأنا فوق أريكة مريحة، وأمامي بعض الفشار بينما أستمع إلى

تعليقات العائلة.

كان العديد من الأنباء مرتبطًا بالمتمردين، حيث ألقي باللوم عليهم في بعض الجرائم. فالطرق التي تُبنى في سومنر تأخرت بسبب المتمردين، وعدد الضباط المحليين انخفض في أتلين؛ لأنهم أُرسلوا للمساعدة في اضطرابات أحدثها المتمردون في سانت جورج. لم أكن على علم بحدوث أي من هذه الأمور.

بين ما سمعته وشاهدته أثناء نشأتي، وما تعلمته منذ وصولي إلى القصر، بدأت أشك في مدى معرفتنا الحقيقية بالمتمردين. ربما كنت لا أفهم الأمور تمامًا، لكنني أعتقد أنه لا يمكن إلقاء اللوم عليهم بسبب كل مشكلة تحدث في إيليا.

ثم تقدم جافريل إلى المسرح وكأنه ظهر من العدم، بعد أن قدمه مسئول الاحتفالات.

«مساء الخير جميعًا، الليلة لديَّ إعلان خاص. لقد مضى أسبوع منذ بداية مسابقة الاختيار، وقد عادت ثماني آنسات إلى منازلهن، فيما بقيت سبع وعشرون فتاة جميلة ليختار منهن الأمير ماكسون. في الأسبوع المقبل، سيتم تخصيص الجزء الأكبر من نشرة اليوم للتعرف على هؤلاء الشابات الرائعات».

شعرت بقطرات عرق صغيرة تتجمع عند صدغي. الجلوس هنا والظهور بمظهر جيد... هذا شيء كان بوسعي إتقانه. لكن الإجابة عن الأسئلة؟ كنت أعلم أنني لن أكون الأفضل في هذه المسابقة، ولم يكن هذا هو المغزى. كنت فقط، وبكل بساطة، لا أريد أن أبدو غبية أمام البلاد بأكملها.

قال جافريل وهو يتجه عبر المسرح نحو ماكسون: «قبل أن نتحدث عن الآنسات، دعونا نأخذ لحظة مع رجل الأمسية. كيف حالك، الليلة، أيها الأمير ماكسون؟». بدا ماكسون متفاجئًا؛ لم يكن يحمل ميكروفونًا أو لديه إجابات معدَّة.

وقبل أن يصل ميكروفون جافريل إلى ماكسون، التقت عيناي بعينيه وغمزت له. كانت تلك الحركة الصغيرة كافية لرسم ابتسامة على وجهه.

«أنا بخير يا جافريل، شكرًا لك».

«هل تستمتع برفقة الآنسات حتى الآن؟».

«نعم! لقد كان من الرائع التعرف عليهن».

«وهل هن جميعًا عطوفات ولطيفات كما يبدو عليهن؟».

قبل أن يجيب ماكسون، ارتسمت ابتسامة على وجهي؛ لأنني كنت أعلم أن الإجابة هي نعم... إلى حد ما.

نظر ماكسون نحوي، وأجاب: «إممم... تقريبًا».

اندهش جافريل ثم التفت إلينا وقال: «تقريبًا؟ هل هناك أحد هنا يتصرف بشكل غير لائق؟».

لحسن الحظ، أطلقت جميع الفتيات ضحكات خفيفة، فابتسمت واندمجت مع الموقف. يا له من خائن!

ثم سأل جافريل ماكسون: «وماذا فعلت تلك الفتيات بالتحديد ليخرجن عن حدود اللطف؟».

رد ماكسون بابتسامة، وقد وضع ساقًا على أخرى فيما استرخى في كرسيه، في لحظة كانت من أكثر اللحظات التي رأيته فيها مسترخيًا: «حسنًا، دعني أخبرك. إحداهن كانت لديها الجرأة لتصرخ في وجهي بشدة عندما التقينا لأول مرة، وقد تلقيت منها توبيخًا لا يُنسى».

أحببت هذا الجانب من شخصيته، وكنت أتمنى أن يظهره أكثر.

فوق رأس ماكسون، تبادل الملك والملكة نظرات متفاجئة؛ بدا كأنهما يسمعان هذه القصة لأول مرة. وبجانبي، كانت الفتيات ينظرن إلى بعضهن في حالة من الارتباك. لم أفهم مغزى حديثه حتى همست لي مارلي:

«لا أذكر أن إحداهن صرخت في وجهه في القاعة الكبرى. هل تذكرين؟».

يبدو أن ماكسون نسي أن لقاءنا الأول كان من المفترض أن يكون سريًّا. فقلت لها: «أعتقد أنه يبالغ ليجعل الموقف يبدو كطرفة. لقد قلت له بعض الأمور الجادة، وربما يقصدني بذلك».

تابع جافريل: «هل تقول إن إحداهن وبختك؟ ولأجل ماذا تحديدًا؟».

أجاب ماكسون: «بصراحة لا أعلم، أظن أنها كانت لحظة حنين إلى الوطن، لهذا سامحتها بالطبع».

بدا ماكسون مرتاحًا، يتحدث إلى جافريل وكأنه الشخص الوحيد في الغرفة. فكرت في أنني سأضطر لإخباره لاحقًا كم كان أداؤه رائعًا.

ثم وجه جافريل سؤالًا آخر وهو ينظر إلى الفتيات بابتسامة واسعة قبل أن يعود لمواجهة الأمير: «إذن، هي لا تزال معنا، أليس كذلك؟».

قال ماكسون وهو ينظر لوجه جافريل: «بلى، هي لا تزال هنا. وأنا أنوي إبقاءها لفترة طويلة».

الفصل 15

كان العشاء مخيبًا للآمال، وأدركت أنني سأضطر في المرة المقبلة أن أطلب من خادماتي ترك بعض المساحة في الفستان حتى أتمكن من تناول الطعام بأريحية.

عندما عدت إلى غرفتي، كانت خادماتي في انتظاري لمساعدتي في خلع الفستان، لكنني أخبرتهن بأنني سأظل أرتديه لبعض الوقت. كانت آن أول من اكتشفت الأمر، لقد لاحظت أن ماكسون سيزورني الليلة؛ لأنني عادةً أتحمس لخلع هذه الفساتين الضيقة حالما أعود.

اقترحت ماري بتفاؤل: «هل تودين أن نبقى هنا، الليلة، في حال احتجتِ لأي مساعدة لاحقًا؟ لن تكون هناك أي مشكلة».

بعد الحادثة التي وقعت أثناء زيارة ماكسون السابقة، كنت قد قررت أن إرسالهن خارج الغرفة بأسرع ما يمكن هو الخيار الأمثل. لم أكن لأتحمل أن يستمررن في مراقبتي حتى يصل ماكسون.

قلت لهن: «لا تقلقن، أنا بخير. سأستدعيكن إذا احتجت إلى مساعدة في الفستان لاحقًا».

تراجعت خادماتي بتردد عبر الباب، وتركنني وحدي في انتظار ماكسون. لم أكن أعلم كم من الوقت سيستغرق قدومه، ولم أرغب في الانشغال بقراءة كتاب ثم الاضطرار للتوقف، أو الجلوس إلى البيانو فقط لأقف مجددًا. انتهى بي الأمر بالاستلقاء على السرير، أراقب الوقت وهو يمضي، تاركةً ذهني يشرد كما يحلو له. أخذت أفكر في مارلي ولطفها، رغم أنني كنت أعلم القليل عنها باستثناء بعض التفاصيل البسيطة. ومع ذلك، شعرت بالثقة بأن تصرفاتها معي لم تكن مزيفة بأي شكل من الأشكال. ثم تذكرت الفتيات الأخريات اللواتي كنّ يتصرفن بدهاء وزيف؛ وتساءلت في سري إن كان بإمكان ماكسون أن يميّز الفرق بين الصدق والادعاء.

بدا لي أن تجربة ماكسون مع النساء كانت عميقة من ناحية، وسطحية من ناحية أخرى. كان كريمًا وعطوفًا بما يكفي، لكنه عندما يقترب، يبدو عليه توتر مكتوم. هو يعرف كيف يعامل النساء، لكنه لم يتعلم كيف يتعامل معهن إذا واعدهن. كانت تلك نقطة تباين كبيرة بينه وبين أسبن.

أسبن...

اجتاحني اسمه ووجهه وذكراه دفعةً واحدة، ما أفقدني تركيزي. تُرى، ماذا يفعل أسبن الآن؟ اقترب وقت حظر التجوال في كارولينا. ربما لا يزال في العمل إن كانت لديه وردية هذا المساء. أو لعلّه خرج برفقة برينا، أو مع فتاة أخرى قرر أن يملأ فراغ غيابي بقربها بعد أن انتهى ما كان بيننا. كان جزءٌ مني يتألم لرغبتي العميقة في أن أعرف... وجزءٌ آخر يرغب في الانهيار لمجرد التفكير في احتمال وجوده مع أخرى.

نظرت إلى البرطمان وأمسكته بين يديّ، وشعرت بالقرش ينزلق داخله وحيدًا.

همست بصوت يكاد يُسمع: «وأنا وحيدة مثلك...».

هل كان غباءً مني أن أحتفظ بهذا البرطمان؟ لقد تخلّيت عن كل ما يربطني به، فلماذا أُبقي قرشًا واحدًا فقط؟ هل سيظل هذا كل ما يتبقى لي من ذكراه؟ قرش وحيد في برطمان، لأقدمه لابنتي يومًا ما وأحكي لها عن حبيبي الأول، ذلك الذي لم يعرفه أحد سواي؟

لكن لم يكن لديَّ متسع من الوقت للغرق في مخاوفي. جاء الطَّرق القوي على الباب بعد دقائق فقط ليخرجني من عزلتي. وجدتني أركض نحوه، ويدي تمتد باندفاع لتفتحه. حين وقفت أمامه، بدت الدهشة واضحة على وجه ماكسون.

سألني وهو يتفحص الغرفة: «أين خادماتك؟».

«لقد رحلن، أرسلتُهن بعيدًا عندما عدت من العشاء».

«هل تفعلين ذلك كل يوم؟».

«نعم بالتأكيد، أستطيع خلع ملابسي بنفسي!».

رفع ماكسون حاجبيه وابتسم، شعرت بالخجل لأنني لم أقصد أن يحمل كلامي معنى خفيًا!

قال لي: «أحضري شالًا، فالجو قارس البرودة في الخارج».

تسللنا إلى الممر، وأنا ما زلت مشوشة، غارقة في أفكاري. كان من الواضح لي منذ البداية أن ماكسون ليس ماهرًا في بدء المحادثات، لكنني لم أتوانَ عن إحكام ذراعي حول ذراعه فور أن التقينا. شعرت بالارتياح، وكأن هناك شيئًا من الألفة يربط بيننا.

قال: «إذا كنتِ مصممة على عدم وجود خادماتك معك، فسأضطر إلى تعيين حارس يقف خارج بابك».

اعترضت على الفور: «لا! لا أقبل أن يراقبني أحد كالأطفال».

ضحك قائلًا: «سيكون في الخارج، لن تلاحظي حتى وجوده».

هززت رأسي بانزعاج وقلت: «بل سأعرف... سأشعر بوجوده».

أطلق ماكسون تنهيدة استنكار مازحة. كنت مشغولة في الجدال معه ولم أسمع الهمسات من حولنا إلا حين اقتربنا منها. كانت سيليستي وإيميكا وتايني يسرن في الاتجاه المقابل، عائدات إلى غرفهن.

قال ماكسون بإيماءة بسيطة: «مرحبًا آنساتي».

أدركت أنه كان من السذاجة التفكير أنه لن يرانا أحد معًا. شعرت باحمرار وجنتيَّ، ولم أكن متأكدة من السبب.

انحنت الفتيات في احترام، ثم واصلن سيرهن. نظرت خلفي، فرأيت إيميكا وتايني تتبادلان نظرات فضولية، وتيقنت أنهما سيخبران الجميع عن هذا اللقاء خلال دقائق، وأنني سأجد نفسي محاصَرة بالأسئلة غدًا. أما سيليستي فقد رمقتني بنظرة حادة، بدا واضحًا أنها تَعد ما فعلته إساءة شخصية لها.

أدرت وجهي بسرعة وقلت أول ما خطر ببالي: «أخبرتك بأن الفتاتين اللتين شعرتا بالتوتر بسبب الهجوم ستبقيان»، لم أكن أعرف بالضبط من طلبت المغادرة، لكن الشائعات كانت تشير إلى أن تايني قد تكون واحدة منهما. سمعتُ أنه أغشي عليها من الخوف. كانت هناك شائعة أخرى تقول إن باريل هي من ستغادر، لكنني لم أصدقها للحظة؛ ستكون باريل آخر من يتخلى عن التاج، ويجب انتزاعه من يديها الباردتين أولًا.

قال ماكسون بصدق: «لا يمكنك تخيل كم أراحني ذلك».

تطلَّب الأمر مني لحظة لأستوعب كلامه، فقد كان ذلك بعيدًا عن توقعاتي تمامًا، وكنت مشغولة بالحفاظ على توازني أكثر من التركيز على المحادثة. لم أكن أملك الكثير من الخبرة في النزول على السلم بينما أتشبث بذراع شخص آخر، وكعب حذائي العالي لم يكن يساعدني. لكنني شعرت بنوع من الراحة؛ على الأقل إذا انزلقت فسيكون ماكسون هناك ليمسك بي.

حين وصلنا إلى الطابق الأول واستعدت توازني مرة أخرى قلت له: «اعتقدت أن ذلك سيكون مفيدًا بطريقة ما. أعني، يجب أن يكون الأمر أسهل، أليس كذلك؟ اختيار واحدة فقط من بين كل هؤلاء الفتيات يبدو معقدًا. لكن إذا استبعدت الظروف بعضهن، ألا يُفترض أن يجعل هذا القرار أبسط؟».

هز ماكسون كتفيه وأجاب وقد بداعليه الحزن: «أعتقد أن ذلك من المفترض أن يكون صحيحًا، لكنني أؤكد لكِ أنني لا أشعر بذلك على الإطلاق». ثم قطع حديثه ليلقي تحيةً على الحراس القائمين عند الباب: «مساء الخير»، فبادروا بفتح الأبواب المؤدية إلى

الحديقة دون تردد. ربما سأحتاج فعلًا إلى قبول عرضه بإخبارهم أنني أستمتع بالخروج إلى الحديقة من وقت لآخر. فكرة القدرة على الهروب إلى هناك وقتما شئت كانت مغرية جدًّا.

قلت له وهو يقودني إلى مقعدنا: «لا أفهم»، جعلني أجلس في مواجهة أضواء القصر. وجلس في الاتجاه المعاكس لي، بحيث صار كل منا في مواجهة الآخر بطريقة تسهل الحديث.

بدا مترددًا في البداية، لكنه أخذ نفَسًا وتكلم: «ربما كنت أُبالغ في تقدير نفسي، معتقدًا أنني قد أكون شخصًا يستحق أن يخاطر الآخرون من أجله. لكنني بالتأكيد لا أتمنى أن يضطر أحد إلى فعل ذلك. لا أقصد أن تكون الأمور هكذا. الأمر فقط... لا أدري، ألا ترين كل ما أخاطر به؟».

قلت له: «إممم، لا أرى ذلك. أنت هنا مع عائلتك التي تقدم لك النصائح، ونحن جميعًا نتكيف مع جدولك. حياتك لم تتغير، بينما انقلبت حياتنا رأسًا على عقب بين ليلة وضحاها. ما الذي تخاطر به حقًّا؟».

بدت الصدمة على وجه ماكسون وقال: «أميريكا، صحيح أن عائلتي معي، لكن تخيلي كم هو محرج أن يراقبك والداك وأنت تخوض أولى تجاربك في المواعدة. وليس والداك فحسب - بل البلد بأكمله! والأسوأ من ذلك أنها ليست حتى تجربة مواعدة عادية. وبالنسبة لقولكِ إنكن تعشن حياتكن وفقًا لجدولي، أوضح لكِ أنه حين لا أكون معكن جميعًا، أظل منشغلًا بتنظيم القوات وإصدار القوانين ومراجعة الميزانيات... كل هذا أقوم به بمفردي في هذه الأيام، بينما يراقبني والدي بتمعن، ويلاحظ كيف أتعثر وأخطئ لأنني ليست لديَّ خبرته، وعندما أفعل شيئًا لا يعجبه دون قصد، يأتي ليصحح لي أخطائي. وخلال كل هذا العناء، أنتن، أعني الفتيات، تحتللن عقلي بالكامل! أشعر بحماسة وقلق عارمين بسببكن جميعًا!».

كان يتحدث وهو يلوّح بيديه أكثر من المعتاد، يلوح بهما في الهواء ويمرر أصابعه بين خصلات شعره بتوتر.

«هل تظنين أن حياتي لن تتغير؟ أخبريني؛ ما رأيكِ في فرصتي في العثور على توأم روحي بينكن جميعًا؟ سأعدُّ نفسي محظوظًا إن وجدت فتاة يمكنها أن تتحملني لبقية حياتنا. ماذا لو أنني أبعدتها بالفعل، لأنني اعتمدت على شعور لم أحسه بعد؟ وماذا لو كانت تنتظر أول فرصة لتتركني عند أول مشكلة تواجهنا؟ ماذا لو لم أجد أي فتاة على الإطلاق؟ ماذا سأفعل حينها يا أميريكا؟».

بدا حديثه غاضبًا ومفعمًا بالعاطفة، لكن مع مرور الوقت، لم تعد أسئلته بلاغية. كان يريد فعلًا أن يعرف: ماذا سيفعل إذا لم يكن هناك أي شخص قريب ليكون الشخص الذي يمكنه أن يحبه؟ ورغم أن هذا لم يكن حتى قلقه الأساسي، فإنه كان يخشى أكثر من أي شيء آخر ألا يجد فتاة يحبها.

«في الواقع يا ماكسون، أعتقد أنك ستجد توأم روحك هنا، صدقني».

سألني بصوت مشحون بالأمل: «حقًّا؟».

وضعت يدي على كتفه قائلًا له: «أجل بالطبع». بدا كأن لمستي وحدها أشعرته بالراحة. وتساءلت كم مرة يلمسه الناس، ثم أردفت: «إذا كانت حياتك مقلوبة رأسًا على عقب كما تقول، فعلى شريكة حياتك أن تكون هنا في مكان ما. فمن تجربتي، الحب الحقيقي عادةً ما يكون أكثر أنواع الحب إزعاجًا»، وابتسمت ابتسامة صغيرة.

بدا سعيدًا بسماع تلك الكلمات، ووجدت فيها عزاء لي أيضًا لأنني كنت أؤمن بها. وإذا لم أنجح في إيجاد الحب لنفسي، فإن أفضل ما أستطيع فعله هو مساعدة ماكسون على إيجاده.

«آمل أن تنسجم أنت ومارلي، إنها لطيفة جدًّا».

ارتسم على وجه ماكسون تعبير غريب قائلًا: «تبدو كذلك».

علَّقت على ذلك: «ماذا؟ هل هناك ما يعيب اللطف؟».

رد عليّ: «لا بالطبع، إن اللطف شيء جيد».

لكنه لم يوضح أكثر من ذلك.

ثم سألني فجأة: «ما الذي تبحثين عنه باستمرار؟».

«ماذا؟».

«لا يبدو أنكِ تستطيعين تركيز نظركِ على مكان واحد، أراكِ مُنصتةً لكنكِ تبدين كأنك تبحثين عن شيء».

أدركت أنه كان محقًّا، فطوال حديثه كنت أنظر إلى الحديقة والنوافذ، بل حتى الأبراج على طول الجدران، كان الارتياب يتملكني.

هززت رأسي وأنا أحدق إلى الظلام وقلت: «هناك أناس... وكاميرات...».

قال لي: «نحن وحدنا، هناك حارس واحد فقط عند الباب»، وأشار إلى الخيال الظاهر في ضوء مصابيح القصر. وكان محقًّا، لم يتبعنا أحد إلى الخارج، وكانت النوافذ كلها مُضاءة لكن لم يكن وراءها أحد، وهو شيء رأيته بالفعل خلال تفحُّصي المكان بعينيَّ، لكن كان من المريح أن أتأكد من ذلك.

شعرت بجسدي يسترخي قليلًا.

سألني: «لا تحبين أن يراقبك الناس، أليس كذلك؟».

قلت له بينما أتتبع بعينيَّ النقوش المحفورة على الكتلة الحجرية أسفل مني: «ليس كثيرًا، أفضِّل البقاء بعيدًا عن الأنظار. هذا ما اعتدته، أتفهمني؟».

«عليكِ أن تتأقلمي مع ذلك. عندما تغادرين هذا المكان، ستلاحقك العيون لبقية حياتك. والدتي ما زالت تتحدث مع بعض النساء اللواتي كنَّ معها عندما مرت بتجربة الاختيار. الجميع يَعدُّهن نساء مهمات إلى الآن».

تأوهت: «عظيم، شيء آخر لا أطيق انتظار حدوثه».

بدا على وجه ماكسون أنه يريد أن يعتذر لي، لكنني اضطررت إلى تحويل نظري بعيدًا. تذكرت مجددًا كم كانت ستكلفني هذه المنافسة السخيفة، وكيف أن فكرتي عن الحياة الطبيعية لن تعود أبدًا. لم يكن ذلك عادلًا...

لكنني تمالكت نفسي مجددًا، لم يكن عليَّ أن أصب غضبي على ماكسون. فقد كان ضحية في هذا الأمر مثلنا جميعًا، وإن كان ذلك بطريقة مختلفة تمامًا. تنهدت ونظرت إليه مجددًا، فرأيت ملامحه توحي باتخاذه قرارًا ما.

ثم قال: «أميريكا، هل يمكنني أن أسألك سؤالًا شخصيًّا؟».

أجبته بتردد: «ربما»، فابتسم لي ابتسامة صغيرة وتابع: «الأمر فقط... أرى أنكِ حقًّا لا تحبين الوجود هنا. تكرهين القواعد والمنافسة والاهتمام والملابس و... حسنًا، أنتِ تحبين الطعام» وابتسم فبادلته الابتسام أنا أيضًا. أردف: «كما أنكِ تشتاقين لمنزلكِ وعائلتك كثيرًا ...وأشخاص آخرون أيضًا، مشاعركِ تبدو واضحة تمامًا».

ندت عني نظرة مستنكرة وقلت: «نعم، أعرف ذلك».

«لكن رغم كل شيء، أنتِ مستعدة لتحمُّل الشوق للوطن والتعاسة هنا بدلًا من العودة للمنزل، لماذا كل هذا؟».

شعرت بغصة في حلقي لكنني تجاهلتها وقلت له: «لستُ تعيسة... وأنت تعرف السبب».

«حسنًا، أحيانًا تبدين على ما يرام. أراكِ تبتسمين عندما تتحدثين مع بعض الفتيات الأخريات، وتبدين سعيدة جدًّا أثناء تناول الطعام، أعترف بذلك. لكن في أوقات أخرى، تبدين حزينة جدًّا. هلا أخبرتِني بالسبب والقصة كاملة؟».

أجبته: «إنها مجرد قصة حب فاشلة أخرى. ليست شيئًا كبيرًا أو مثيرًا، لا تستحق الحديث عنها». من فضلك لا تضغط عليَّ أكثر من ذلك، لا أريد أن أبكي.

«حتى لو كان كذلك، أود أن أعرف قصة حب حقيقية بجانب قصة والديَّ، قصة حب خارج هذه الجدران والقواعد والترتيبات... من فضلك؟».

الحقيقة أنني حملت هذا السر لفترة طويلة لدرجة أنني لم أستطع تخيل التعبير عنه بكلمات. وكان يؤلمني كثيرًا التفكير في أسبن، هل يمكنني حتى أن أقول اسمه بصوت عالٍ؟ أخذت نفَسًا عميقًا، وتذكرت أن ماكسون أصبح صديقي الآن. لقد حاول كثيرًا أن يكون لطيفًا معي، وكان صادقًا جدًّا معي...

أشرت إلى ما وراء الجدران الكبيرة وقلت: «في ذلك العالم هناك، تعتني الطبقات ببعضها. أحيانًا، هناك ثلاث عائلات تشتري كل منها لوحة واحدة على الأقل من والدي كل عام، وهناك عائلات دائمًا تختارني لأغني في حفلات الميلاد الخاصة بهم. إنهم رعاتنا، هل تفهمني؟».

«حسنًا، كنا نوعًا ما رعاة لعائلته؛ لأنهم من الطبقة السادسة. عندما كان بإمكاننا تحمُّل تكاليف استئجار شخص للمساعدة في التنظيف أو إذا كنا بحاجة لمساعدة في الجرد، كنا دائمًا نتصل بوالدته. عرفته عندما كنا أطفالًا، لكنه كان أكبر مني وأقرب إلى سن أخي. كانا دائمًا يلعبان بطريقة عنيفة؛ لذا تجنبتهما».

«أخي الأكبر كوتا، هو فنان مثل والدي. قبل بضع سنوات، بيعت منحوتة معدنية كان يعمل عليها لسنوات بمبلغ ضخم من المال، من المحتمل أنك سمعت عنه».

تمتم ماكسون: «كوتا سينجر»، ثم مرت ثوان ورأيت أنه بدأ يتذكر.

أزحت شعري عن كتفي وهيأت نفسي لما سأقوله: «كنا متحمسين حقًّا لنجاح كوتا؛ لقد عمل بجد على تلك القطعة، وكنا بحاجة ماسة إلى المال في ذلك الوقت، لذا كانت العائلة بأكملها سعيدة جدًّا، لكن كوتا احتفظ بمعظم المال لنفسه. تلك المنحوتة أطلقت مسيرته؛ وبدأ الناس يطلبون منه الكثير من العمل يوميًّا. الآن لديه قائمة انتظار طويلة جدًّا ويطلب أسعارًا خيالية. أعتقد أنه قد يكون مدمن شهرة، فالطبقة الخامسة نادرًا ما تحوز هذا النوع من الاهتمام».

التقت أعيننا في نظرة لها مغزاها، وأيقنت أن حياتي لن تعود كما كانت، لن أكون بعيدة عن الأضواء مرة أخرى أبدًا.

«على أي حال، بعد أن بدأت المكالمات تأتينا، قرر كوتا أن يستقل عن العائلة. كانت أختي الكبرى قد تزوجت للتو؛ لذا فقدنا دخلها. ثم بدأ كوتا يكسب المال الكثير وقرر تركنا».
ووجدت يديَّ تلمسان صدر ماكسون لتأكيد وجهة نظري: «لا تفعل ذلك، لا يمكنك ببساطة ترك عائلتك، فالبقاء مع الأحباء هو السبيل الوحيدة لمواجهة هذه الحياة».

بدا على ماكسون أنه فهمني، ثم قال: «لقد احتفظ بكل شيء لنفسه، هل كان يحاول شق طريقه للطبقات العليا بالمال؟».

أومأت برأسي وقلت له: «إنه متمسك بفكرة أن يرتقي إلى الطبقة الثانية. إذا كان قد اكتفى بأن يصبح من الطبقة الثالثة أو الرابعة، لكان بإمكانه مساعدتنا، لكنه مهووس بالفكرة. وهو غبي حقًّا؛ لأنه يعيش مرتاحًا ويملك المال، لكنه يريد ذلك اللقب اللعين، ولن يتوقف حتى يحصل عليه».

هز ماكسون رأسه وقال: «قد يستغرق ذلك منه حياته بأكملها».

«أعتقد أنه لا يهمه أي شيء آخر ما دام سيموت ولقبه محفور على قبره بأنه من الطبقة الثانية».

«أفترض أنكم لم تعودوا مقربين الآن؟».

تنهدت وقلت: «لم نعد كذلك بالفعل. لكن في البداية ظننت أنني أسأت فهم شيء بالفعل، ظننت أن كوتا ترك المنزل ليستقل بذاته، لا ليبتعد عنا. كنت في صفه في البداية، وذهبت لمساعدته عندما أعد شقته والأستوديو الخاص به. اتصل بالعائلة نفسها من الطبقة السادسة التي كنا نتواصل معها دائمًا، وكان ابنهم الأكبر متفرغًا ومتحمسًا للعمل، حيث عمل مع كوتا لبضعة أيام لمساعدته في إعداد الأمور».

صمتُّ للحظة أتذكر ما حدث.

«كنت هناك، أُخرج الأشياء من الصناديق... وكان هو موجودًا أيضًا. عندما التقت أعيننا، وجدته قد أصبح مقاربًا لسني ولم يعد يبدو أكبر مني أو عنيفًا كما كان. كانت قد مرت فترة منذ أن رأي كلٌّ منا الآخر، ولم نعد طفلين».

«طوال ذلك اليوم، كنا نلمس بعضنا مصادفة أثناء تحريك الأشياء. كان ينظر إليَّ أو يبتسم، وشعرت بأنني على قيد الحياة حقًّا لأول مرة. ووقعت في غرامه بجنون».

لم أستطع تحمُّل أكثر من ذلك، ضعفت قوتي واهتز صوتي، وتساقطت بعض الدموع التي كنت أتوق إلى ذرفها.

لكنني تابعت الحديث: «كنا نعيش قريبين من بعضنا؛ لذا كنت أخرج للتنزه خلال النهار متحينة أي فرصة لرؤيته. وأحيانًا كان يأتي مع والدته إذا جاءت للمساعدة، وكنا نراقب بعضنا فقط، هذا كل ما كان بإمكاننا فعله». صدرت عني شهقة قبل أن أتابع: «لكنه كان من

الطبقة السادسة وأنا من الطبقة الخامسة، وهناك قوانين تحكمنا... وكذلك والدتي! كانت ستغضب كثيرًا إذا علمت بذلك. لم يكن من الممكن أن يعرف أحد عنا».

أخذت يداي تتحركان بعشوائية مع تصاعد توتري وأنا أفشي كل تلك الأسرار.

«وسرعان ما وجدت ملاحظات صغيرة مجهولة المرسل ملصقة على نافذتي تخبرني بأنني جميلة أو أنني أغنِّي مثل الملائكة، وكنت أعلم أنه من يكتبها. في ليلة ذكرى ميلادي الخامسة عشرة، أقامت والدتي حفلة ودُعيت عائلته أيضًا. واجهني في ركن من الغرفة وأعطاني بطاقة ذكرى ميلاد وأخبرني بأن أقرأها عندما أكون وحدي. وعندما استطعت أخيرًا قراءتها، لم يكن مكتوبًا فيها اسمه أو حتى تهنئة بذكرى الميلاد، بل كان مكتوبًا بها سطر واحد فقط: «بيت الشجرة، منتصف الليل».

اتسعت عينا ماكسون وقال: «منتصف الليل؟ لكن...» .

فهمت وأكدت: «يجب أن تعلم أنني أكسر حظر التجول في إيليا بانتظام».

هز رأسه مستنكرًا: «كان بإمكانك أن تتعرضي للاعتقال يا أميريكا».

هززت كتفيّ وقلت: «لم يهمني شيء في ذلك الوقت. أول مرة كسرت الحظر فيها، شعرت كأنني سأطير من الفرحة. ها هو ذا يجد طريقة لنكون وحدنا معًا، لم أصدق أنه يريد أن يكون وحده معي. في تلك الليلة، انتظرت في غرفتي وأخذت أراقب بيت الشجرة في حديقتي. ثم رأيت شخصًا يتسلق الشجرة قرب منتصف الليل، أذكر أنني ذهبت فعلًا لأغسل أسناني مرة ثانية تحسبًا لأي شيء. تسللت من نافذتي وصعدت إلى الشجرة، ووجدته هناك، لم أستطع... أن أصدق ذلك».

«لا أذكر كيف بدأت قصتنا، لكننا سرعان ما اعترفنا بمشاعرنا تجاه بعضنا، ولم نستطع التوقف عن الضحك لأننا كنا سعيدين جدًّا؛ لأن كلينا يشعر بالطريقة نفسها. لم يكن يهمني

كسر حظر التجوال أو الكذب على والديَّ، ولم أهتم بأنني من الطبقة الخامسة وهو من الطبقة السادسة. لم أكن قلقة بشأن المستقبل؛ لأنه لم يكن هناك ما يهم بقدر حبه لي...

تقطع صوتي من البكاء وأنا أستطرد: «ولقد فعل، يا ماكسون، لقد أحبني...».

تساقط المزيد من الدموع وأخذت أضغط على صدري بقوة وأنا أشعر بغياب أسبن كما لم أشعر به من قبل. جعلتني هذه الكلمات أشعر بالواقع بشكل أكبر، ولم يكن هناك ما يمكنني فعله سوى إنهاء القصة.

«خرجنا معًا في السر لمدة عامين. كنا سعيدين، لكنه كان دائمًا قلقًا بشأن تسللنا من وراء أهلنا، وكيف أنه لم يكن قادرًا على إعطائي ما يعتقد أنني أستحقه. عندما تلقت عائلتي الإشعار بشأن مسابقة الاختيار، أصر على أن أسجل فيها».

فتح ماكسون فمه مصدومًا فقلت له: «أعلم أنها كانت فكرة غبية جدًّا، لكن الذنب كان سيلاحقه إلى الأبد إذا لم أجرب. وكنت أعتقد حقًّا أنه لن يتم اختياري، إذ كيف يمكن أن يحدث هذا؟».

رفعت يديَّ في الهواء وتركتهما تسقطان، ما زلت مذهولة من كل ما حدث.

«عرفت من والدته أنه كان يدَّخر المال للزواج من فتاة غامضة. تحمست جدًّا عند سماع ذلك، فأعددت له عشاء مفاجئًا وظننت أنني هكذا سأستطيع إقناعه بأن يعرض عليَّ الزواج، كنت مستعدة تمامًا للقبول به. لكنه انزعج عندما رأى كل الأموال التي أنفقتها عليه، فهو شخص يعتز بنفسه كثيرًا. كان يريد أن يدللني، لا العكس، وأعتقد أنه أدرك حينها أنه لن يستطيع فعل ذلك؛ لذا انفصل عني...».

ثم توقفت قليلًا وقلت: «وبعدها بأسبوع واحد، تم اختياري للمسابقة».

سمعت ماكسون يهمس بشيء غير مفهوم.

شعرت باختناق الكلمات في حلقي وأنا أقول له: «آخر مرة رأيته فيها كانت في حفل وداعي، كان مع فتاة أخرى...».

ارتفع صوت ماكسون من الصدمة: «ماذا؟».

وضعت رأسي بين يديَّ وتابعت: «الأمر يصيبني بالجنون لأنني أعلم أن هناك فتيات أخريات يتنافسن عليه، وكان الأمر دائمًا كذلك، والآن ليس لديه سبب لرفضهن. ربما أصبح الآن مع تلك الفتاة من حفل وداعي. أنا لا أعلم ولا يمكنني فعل أي شيء حيال ذلك، لكن فكرة العودة إلى المنزل ورؤيته... لا يمكنني ذلك يا ماكسون...».

ظللت أبكي كثيرًا، ولم يتعجلني ماكسون للحديث. عندما هدأت دموعي أخيرًا تابعت: «آمل أن تجد فتاة لا يمكنك العيش من دونها يا ماكسون، أتمنى لك ذلك من كل قلبي. وآمل ألا تضطر أبدًا إلى مواجهة شعور محاولة العيش من دونها».

استحال وجه ماكسون مرآةً شاحبةً لألمي، كما لو أن قلبه تهشَّم من أجلي وحدي.

لكن الغضب كان ظاهرًا عليه وبشدة، فقال لي: «آسف يا أميريكا. أنا لا ...»، ثم تغيرت ملامح وجهه قليلًا وسألني: «هل هذا الوقت المناسب لأربِّت كتفك؟».

ابتسمت عندما رأيته مترددًا وقلت له: «نعم، هذا أنسب وقت لذلك».

بدا مترددًا كما كان في اليوم الآخر، لكنه بدلًا من مجرد تربيت كتفي، انحنى قليلًا وأحاطني بذراعيه ، ثم قال: «عادةً ما أعانق والدتي فقط، هل يضايقك العناق؟».

ضحكت وقلت له: «من الصعب أن يسيء أحدٌ فهم العناق».

بعد مرور نحو دقيقة، تابعت: «لكنني أفهم ما تعنيه، أنا أيضًا لا أعانق أي شخص سوى أفراد عائلتي».

شعرت بالإرهاق بعد يوم طويل من التزين والظهور في النشرة وفترة العشاء والتحدث مع الآخرين. كان من اللطف أن يحتضنني ماكسون، كما كان أحيانًا يربِّت شعري. لم يعد تائهًا كما كان سابقًا.

انتظر بصبر حتى هدأت أنفاسي، وعندها رجع لينظر إليَّ وقال: «أَعِدكِ يا أميريكا بأنني سأبقيك هنا حتى آخر لحظة. أعلم أنهم يريدون مني تقليص عدد المختارات إلى ثلاث ثم الاختيار من بينهن. لكنني أقسم لكِ أنني سأقلص العدد إلى اثنتين وسأبقيك هنا حتى ذلك الحين. لن أسمح لكِ بالرحيل من هنا إلا إذا اضطررت للقيام بذلك، أو عندما تكونين مستعدة، وذلك بناءً على أيهما سيحدث أولًا».

أومأت برأسي، فقال لي: «أعلم أننا التقينا للتو، لكنني أعتقد أنكِ فتاة رائعة، ويزعجني أن أراكِ تتألمين. لو كان موجودًا هنا، لكنت...كنت...». ارتجفت قبضته من الإحباط واستأنف متنهدًا: «أنا آسف جدًّا لكل ما مررتِ به يا أميريكا».

ثم ضمَّني إليه مرة أخرى، فاستندت برأسي إلى كتفه العريضة. كنت أعلم أن ماكسون سيفي بوعده، وهكذا، وجدت نفسي أشعر بالأمان في المكان الذي لم أتوقع قط أن أجد فيه الراحة الحقيقية.

الفصل 16

شعرت بثقل جفني عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، فمسحت بيديَّ عيني لأزيل الألم الذي شعرت به، لكن سرعان ما غمرتني سعادة دافئة؛ لأنني أخبرت ماكسون بكل ما يُثقل صدري. من الغريب أن يصبح القصر - ذلك السجن الفخم - هو المكان الوحيد الذي أجد فيه صدقًا لا متناهِيًا مع نفسي.

لقد تسلل وعد ماكسون إلى أعماقي كنسيمٍ لطيفٍ بعد ليلة عاصفة، وعلمت بأنني سأشعر بالأمان هنا. العملية التي سيقلص فيها ماكسون عدد المختارات من خمس وثلاثين فتاة إلى واحدة ستستغرق أسابيع، وربما شهورًا. وكل ما أردته الآن هو بعض الوقت والمساحة للتعافي. لم أكن واثقة إن كنت سأتخطى أسبن حقًّا ذات يوم، لكنني أردت أن أصدق ذلك. أتذكر حديث أمي عن أن الحب الأول يترك أثرًا يبقى معك إلى الأبد، لكن ربما سأجد الراحة عاجلًا مع كل هذا الوقت بعيدةً عنه.

لم تسألني خادماتي عن انتفاخ جفني، بل اكتفين بتخفيف التورم. ولم يستفسرن عن شعري المتناثر، بل شرعن في تمشيطه بعناية. كنت أقدِّر اهتمامهن ورعايتهن لي. كان هذا القصر مختلفًا عن منزلي؛ هناك، اعتاد الجميع رؤية حزني دون محاولة لمواساتي. أما هنا فقد شعرت بأن هناك مَن يقلق لأمري حقًّا، ومن يعبر عن قلقه بالأفعال اللطيفة والاهتمام البالغ.

ومع انقضاء ساعات الصباح الأولى، كنت قد تهيأت لبدء يوم جديد. كان يوم السبت مختلفًا، بلا جدول أو التزام محدد، لكنه اليوم الذي يُطلب فيه منا جميعًا البقاء في غرفة النساء استعدادًا لاستقبال ضيوف القصر. أخبرونا بأن هناك احتمالًا لأن يرغب الزوار في رؤيتنا، ولم أكن أشعر بحماس تجاه هذه اللقاءات، لكنني كنت على الأقل متحمسة لارتداء بنطالي الجينز الجديد لأول مرة. وبالطبع كانت أفضل مجموعة بناطيل امتلكتها على

الإطلاق، وتمنيت – بحكم علاقتي الطيبة مع ماكسون – أن يُسمح لي بالاحتفاظ بها حتى بعد مغادرتي.

نزلت إلى الطابق السفلي بخطى متثاقلة، متأثرة بتعب الليلة الطويلة التي تركت أثرها في جسدي. وقبل أن أصل إلى غرفة النساء، تسللت إلى مسامعي همساتهن، وما إن دخلت الغرفة حتى استقبلتني مارلي لتسحبني نحو كرسيين في آخر الغرفة.

قالت بمجرد أن وقعت عيناها عليَّ: «ها قد حضرتِ أخيرًا! كنت بانتظارك».

اعتذرت لها وقلت: «آسفة يا مارلي. كانت ليلة طويلة، واستغرقتُ في النوم حتى وقت متأخر».

توقفت مارلي لتتفحصني، أظنها لاحظت بقايا الحزن العالق في نبرتي، لكنها اختارت بلباقة تجاهل ذلك. وعوضًا عن ذلك، أشارت إلى بنطالي الجينز وقالت: «هذا البنطال يبدو رائعًا».

قلت وقد شاب صوتي بعض الحماس: «جدًّا! لم ألمس قماشًا مثله من قبل». وقررت، كما اعتدت منذ أن أتيت هنا، إبقاء ذكريات أسبن بعيدة عني. دفعت الذكريات المؤلمة بعيدًا، وركزت على مارلي؛ صديقتي الأقرب إلى قلبي في هذا القصر وقلت لها: «آسفة على تأخيري. إذن، ما الأمر؟ ما الذي كنتِ تريدين التحدث عنه؟».

ترددت مارلي للحظة، وعضَّت على شفتيها بينما جلسنا. لم يكن هناك أحد حولنا، لا بد أنها تريد التحدث عن سر.

قالت أخيرًا بنبرة مترددة: «في الواقع... الآن بعد أن فكرت في الأمر، ربما ينبغي لي ألا أخبرك. أحيانًا أنسى أننا في النهاية نتنافس ضد بعضنا البعض».

آه، إذن فالحديث يتعلق بماكسون، وكان عليَّ أن أعرف ماذا أرادت قوله.

قلت لها: «أتفهم شعورك يا مارلي. في الحقيقة، أظن أننا قد نصبح صديقتين مقربتين. فكما تعلمين، لا أستطيع أن أراكِ عدوة».

بدا عليها حزن الخسارة وهي تقول: «نعم، أعتقد أنكِ لطيفة جدًا، والناس يحبونك. أعني، من المحتمل أن تكوني الفائزة».

حاولت أن أتماسك كي لا أتعثر أو أضحك عندما سمعت كلماتها.

ثم قلت لها بصدق: «مارلي، هل يمكنني أن أخبرك بسر؟»، وأردت حقًا أن تصدقني.

«بالطبع يا أميريكا، قولي ما تريدينه».

أخبرتها بمعظم الحقيقة: «لا أعرف حقًا من ستفوز في هذه المسابقة، من الممكن أن تكون أي واحدة منا هنا. أعتقد أن الجميع لديهن هذا الأمل، لكن بصراحة، إذا لم أكن أنا الفائزة، فأريدكِ أن تفوزي أنتِ. أظنك كريمة وعادلة، وأعتقد أنكِ ستصبحين أميرة رائعة».

همست لي: «وأنا أظنك ذكية ولطيفة، ستكونين رائعة أيضًا».

حنيت رأسي بخجل، كان لطيفًا منها أن تظن بي هذا الظن الحسن. لكنني شعرت بالقليل من عدم الراحة؛ لأن الناس يتحدثون عني بهذه الطريقة. مارلي وكينا، حتى خادماتي... كان من الصعب تصديق عدد الأشخاص الذين يظنون أنني سأكون أميرة جيدة.

هل كنتُ الوحيدة التي ترى عيوبي بهذا الوضوح؟ شعرت دائمًا بأنني لست مؤهلة، أفتقر لتلك الهالة الملكية التي تليق بأميرة. لم تكن لديَّ الجرأة لأن أقود أو الاهتمام بالأناقة المبالغ فيها التي تقتضيها حياة العائلة المالكة. أحيانًا أكون أنانية أو متقلبة المزاج، وأميل للانزواء بدلًا من الوقوف في المقدمة. والأهم من ذلك كله، كنت أعلم أنني أفتقر للشجاعة... الشجاعة التي رأيتها ضرورية لهذا الدور؛ فهذا ليس مجرد زواج؛ بل مسئولية عظيمة تتطلب قلبًا شُجاعًا.

اعترفت مارلي: «أشعر بذلك تجاه الكثير من الفتيات هنا، كأن كل واحدة منهن تمتلك شيئًا مميزًا يجعلها أفضل مني».

قلت لها: «هذا هو الأمر يا عزيزتي، من السهل أن نجد شيئًا يميز كل واحدة في هذه الغرفة. لكن من يدري ما الذي يبحث عنه ماكسون بالضبط؟».

مالت برأسها كأنها تتأمل كلماتي.

فأضافت: «لذا دعينا لا نقلق بشأن الأمر، يمكنكِ أن تخبريني بأي شيء ترغبين فيه، وأنا سأحافظ على أسراركِ إذا حافظتِ على أسراري. سأدعمك، وإذا رغبتِ، فيمكنكِ دعمي أيضًا. من الجميل حقًّا أن يكون لدينا أصدقاء هنا».

ابتسمت مارلي وألقت نظرة سريعة حول الغرفة لتتأكد من عدم وجود أي فتاة تستمع إلينا.

ثم همست لي: «لقد تقابلت أنا وماكسون للمرة الأولى».

«حقًّا؟»، لم أستطع إخفاء الحماس في صوتي وكان الفضول يستحوذ عليَّ لمعرفة ما حدث. أردت أن أعرف إن كان قد أصبح أكثر تفاعلًا معها، وأيضًا إن كان يشعر بشيء تجاهها.

«أرسل رسالة إلى خادماتي وسأل إن كان بإمكانه رؤيتي يوم الخميس»، ابتسمت وأنا أتذكر كيف قررنا أنا وماكسون كسر الحواجز الرسمية بيننا في اليوم السابق.

أكملت مارلي: «أرسلت له ردًّا بالموافقة، بالطبع! وكأنني سأرفضه! جاء ليأخذني، وتجولنا حول القصر. بدأنا الحديث عن الأفلام، واتضح أننا نتفق في حب الكثير من الأفلام نفسها؛ لذا نزلنا إلى الطابق السفلي. هل رأيتِ صالة السينما الموجودة هناك؟».

قلت لها: «لا، لم أذهب إلى السينما من قبل»، وزاد حماسي لتحكي لي عنها.

أوضحت مارلي بنبرة كلها حيوية: «إنه مكان رائع! المقاعد هناك واسعة، ويمكنك إمالتها حسب راحتك. والأفضل من ذلك أن بإمكانك صنع الفشار بنفسك، هناك آلة خاصة لذلك! وقف ماكسون هناك ليعد لنا بعض الفشار، كان ذلك لطيفًا جدًّا يا أميريكا. لكن حدث خطأ بسيط، حين أخطأ ماكسون في تقدير درجة تسخين الزيت فاحترقت أول دفعة من الفشار، وكان عليه أن يستدعي أحدًا لتنظيفه ويجرب مرة أخرى».

ندت عندي نظرة استنكار وتراقصت على شفتي ابتسامة، لم يكن ماكسون بارعًا في محاولاته؛ لكن على الأقل بدا أن مارلي ترى الموقف بشكل إيجابي.

واصلت مارلي: «ثم جلسنا لمشاهدة الفيلم، وعندما وصلنا إلى الجزء الرومانسي في النهاية، أمسك يدي! تخيلي، كدت أفقد الوعي! أعني، عندما أمسكت ذراعه ونحن نمشي، كان الأمر طبيعيًّا، كما ينبغي أن يكون. لكنه هناك، كان يمسك يدي...» تنهدت بعمق، وتراجعت إلى الوراء في كرسيها.

ضحكت بصوت عالٍ وأنا أرى مارلي مفتونة به تمامًا. نعم، هذا تقدم جيد!

«لا أطيق الانتظار حتى يزورني مرة أخرى. إنه وسيم جدًّا، أليس كذلك؟».

توقفتُ للحظة، ثم أجبتها: «نعم، إنه لطيف».

«بربك يا أميريكا! من المؤكد أنكِ لاحظتِ عينيه وصوته…».

ابتسمت عندما تذكرت ضحكته وقلت لها: «ما عدا عندما يضحك!»، كانت ضحكته لطيفة، لكنَّ هناك شيئًا غريبًا فيها. كان يزفر الهواء بشكل غريب، ثم يصدر صوتًا متقطعًا، كأنها ضحكة في أعماق ضحكة.

قالت: «حسنًا، ضحكته غريبة لكنها لطيفة».

قلت لها: «بالطبع، إذا كنت تحبين سماع صوت شخص مصاب بنوبة ربو كلما رويتِ نكتة!»، فانفجرت مارلي ضاحكة.

ثم قالت وهي تلتقط أنفاسها من الضحك: «حسنًا حسنًا، من المؤكد أنكِ ترين شيئًا جذابًا فيه».

فتحت فمي وأغلقته عدة مرات، ثم تراجعت عن ذكر مزحة أخرى عن ماكسون. لم أُرد أن تراه مارلي بطريقة سلبية، وفكرت قليلًا. ما الذي أراه جذابًا في ماكسون؟

قلت بعد تفكير: «يصبح جذابًا عندما يتصرف على طبيعته. مثلًا عندما يتحدث بعفوية دون أن يقلق بشأن اختيار الكلمات الملائمة، أو عندما تنظرين إليه على حين غرة بينما يتأمل شيئًا وكأنه يبحث عن الجمال الحقيقي فيه».

ابتسمت مارلي، وعلمت من نظرتها أنها رأت ذلك فيه أيضًا.

قالت مارلي: «وأنا يعجبني أنه يبدو مهتمًا حقًّا عندما يكون معك، تعرفين؟ على الرغم من أن لديه دولة يديرها وألف شيء ليقوم به، ينسى كل ذلك عندما يكون معك ويكرس نفسه تمامًا لمن أمامه. يعجبني ذلك فيه».

قلت لها: «وأيضًا... حسنًا، لا تخبري أحدًا بهذا، لكن تعجبني ذراعاه».

احمرت وجنتاي وشعرت بحرج شديد. قلت لنفسي كم أنا غبية... لماذا لم ألتزم فحسب بالحديث عن المميزات العامة لشخصيته؟ لحسن الحظ، كانت مارلي سعيدة بمتابعة الحديث.

أكدت مارلي متحمسة: «نعم! يمكنك حقًّا أن تشعري بعضلاته تحت تلك البدلة السميكة، أليس كذلك؟ لا بد أنه قوي جدًّا».

قلت لها: «أتساءل لماذا، يا ترى؟ أعني ما فائدة أن يكون بهذه القوة وهو يقوم بأعمال مكتبية.. أمر غريب».

«ربما يحب أن يتفاخر أمام المرآة بعضلاته» ثم أخذت تقوم بالحركة الشهيرة وهي تضحك وتبرز عضلات ذراعيها الصغيرة.

ضحكت وقلت: «أراهن أن هذا هو السبب، أتحداكِ أن تسأليه!».

«لن يحدث أبدًا!».

بدت مارلي وكأنها قضت وقتًا رائعًا. تساءلت لماذا بدا ماكسون مترددًا في ذكر ذلك الليلة الماضية. بناءً على رد فعله، بدا كما لو أنهم لم يكونا معًا على الإطلاق. لعله كان خجولًا.

نظرت حول الغرفة ورأيت أن أكثر من نصف الفتيات بدا عليهن التوتر أو الحزن. كانت جانيل وإيميكا وزوي يستمعن بتركيز لما تقوله كريس. كانت كريس مبتسمة ومتحمسة، لكن ملامح جانيل بدا عليها القلق، وزوي كانت تعض أظافرها. أما إيميكا فكانت تشد أذنها لأسفل كما لو كانت تعاني ألمًا فيها. وبجانبهن، جلست كل من سيليستي وآنا، وكانتا غارقتين في نقاش آخر. وكما هو معتاد، بدت سيليستي متغطرسة تمامًا وهي تتحدث.

لاحظت مارلي نظراتي وأوضحت لي ما يحدث: «الفتيات المتجهمات هن الفتيات اللاتي لم يخرج معهن بعد. لقد أخبرني بأنني الفتاة الثانية التي التقى بها يوم الخميس فقط، وهو يحاول قضاء الوقت مع الجميع».

سألتها: «حقًا؟ هل تعتقدين أن هذا هو السبب؟».

«نعم. أعني، انظري إلينا نحن الاثنتين. نحن في مزاج رائق لأننا تمكَّنا من الالتقاء به بمفردنا. نعلم أنه أعجب بنا بما يكفي ليقضي الوقت معنا ولم يطردنا فورًا بعد ذلك. الأمر

كله يدور حول مَن قضت الوقت معه ومَن لم تفعل، هن قلقات من احتمال أنه يؤخر الالتقاء بهن لأنه ليس مهتمًّا، وأنه سيقصيهن بمجرد الالتقاء بهن».

لماذا لم يخبرني بأي من هذا؟ ألسنا صديقين؟ الصديق يتحدث مع صديقه عن مثل هذه الأمور، لقد رأى على الأقل عشر فتيات بناءً على ابتساماتهن التي ألاحظها الآن. وقد قضينا الجزء الأكبر من الأمس معًا، وكل ما فعله أنه جعلني أبكي. أي نوع من الأصدقاء يحتفظ بأسراره هكذا بينما يجعلني أفصح عن جميع أسراري؟!

كانت تيوزداي تستمع إلى كاميل، لكنها نهضت من مقعدها وتعبير القلق يعتري وجهها ونظرت حول الغرفة، وحين وجدتني أنا ومارلي نجلس في الزاوية جاءت إلينا مسرعة.

بادرتنا فجأة: «ماذا فعلتما في موعدكما معه؟».

رحَّبت بها مارلي بوجه بشوش: «مرحبًا يا تيوزداي».

صاحت تيوزداي: «آه، اصمتي!»، ثم استدارت نحوي وقالت: «هيا يا أميريكا، قولي ما عندك».

رددت عليها: «لكن أخبرتك بالفعل».

«ليس ذلك الوقت، أقصد الليلة الماضية!»، وهنا جاءت خادمة إلينا تعرض علينا الشاي، كنت أريد أن أتناول الشاي لكن تيوزداي صرفتها فورًا.

بدأت أقول: «لكنني كيف...؟».

قاطعتني مارلي موضحة لي سبب ثورة تيوزداي: «لقد رأتكما تايني معًا البارحة وأخبرتنا بذلك. أنتِ الوحيدة التي قضى معها الوقت بمفردها مرتين. الكثير من الفتيات اللواتي لم يرينه بعد يشتكين من ذلك ويقلن إنه ليس عدلًا. لكنه ليس ذنبك إذا كان معجبًا بكِ».

تأوهت تيوزداي: «هذا ليس عدلًا، لم أره خارج أوقات الوجبات، ولا حتى في الممرات. ماذا فعلتما بالضبط؟».

شعرت بالتوتر كما لو كنت في ورطة: «نحن... آه... ذهبنا إلى الحديقة. هو يعرف أنني أحب الهواء في الخارج، وأخذنا نتحدث فقط»، كان تعبير وجهها حادًّا جدًّا؛ لذا نظرت بعيدًا. وعندما فعلت، لاحظت أن بعض الفتيات الجالسات على الطاولات القريبة يستمعن إلينا أيضًا.

سألتني بنبرة شك: «تحدثتما فقط؟».

هززت كتفي وقلت: «هذا كل شيء».

نفخت تيوزداي بملل، ثم توجهت إلى طاولة كريس، حيث حثتها على إخبار قصتها مرة أخرى بحماس. أما أنا فقد شرد ذهني.

سألتني مارلي: «هل أنتِ بخير يا أميريكا؟»، ما أعادني إلى الواقع فرددت عليها: «نعم، لماذا؟».

عقدت مارلي حاجبيها بقلق وقالت: «تبدين مستاءة».

«لا، لست مستاءة. كل شيء رائع».

فجأة وفي حركة سريعة كنت لأفوتها لو لم أكن قريبة، وصلت آنا فارمر، وهي فتاة من الطبقة الرابعة تعمل في الزراعة من أجل كسب عيشها، وصفعت سيليستي على وجهها. شهقت أنا والكثيرات غيري عند رؤية ذلك. أما اللاتي فاتهن ما حدث فقد استدرن وسألن عما جرى، وأبرزهن تايني، التي اخترق صوتها العالي الصمت الذي عمَّ الغرفة.

تنهدت إيميكا وقالت: «يا إلهي! ماذا فعلتِ يا آنا ؟!».

في اللحظة التي حدث فيها ذلك، بدأت آنا تدرك ما فعلته للتو. من المحتمل أن يتم إرسالها إلى منزلها؛ فلم يُفترض بنا أن نعتدي جسديًا على أي من المتسابقات. بدأت إيميكا تذرف الدموع بينما جلست آنا في صمت، مذهولة مما حدث. كلتاهما فلاحتان تعملان في زراعة الأرض؛ لذا توطدت علاقتهما بسرعة. لم أستطع تخيل بمَ سأشعر إذا كانت مارلي هي من ستغادر فجأة.

لقد قابلت آنا سابقًا وتحدثت معها بشكلٍ عابر، كانت دائمًا تبدو لي مفعمة بالحيوية. وأعلم أنها لا تحمل الضغينة لأحد لدرجة إيذائه، فهي بطبيعتها طيبة. كانت تصلي طيلة الوقت عند هجوم المتمردين.

لا شك أن سيليستي استفزتها، لكن لم يكن هناك أحد على مقربة لسماع ذلك والشهادة لصالحها. والموقف سيتحول إلى مواجهة قائمة فقط على أقوال كل واحدة منهما، حيث لا يوجد دليل أو شاهد يمكنه تأكيد حقيقة ما ستقوله آنا. لكن سيليستي ستكون لديها غرفة مليئة بالناس الذين يمكنهم تأكيد أنها تعرضت للاعتداء. من المحتمل أن يحث ذلك ماكسون على إرسال آنا إلى المنزل كعبرة للأخريات.

تجمعت الدموع في مآقي آنا بينما همست لها سيليستي بشيء وغادرت الغرفة بسرعة.

وهكذا، تم ترحيل آنا قبل العشاء.

الفصل 17

أجرت لنا سيلفيا اختبارًا وسألتنا: «مَن كان رئيس الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثالثة؟».

لم أكن أعرف إجابة هذا السؤال، فتجنبت النظر إليها آملة ألا تختارني. لحسن الحظ، رفعت إيمي يدها وأجابت: «الرئيس واليس».

كنا في القاعة الكبرى مرة أخرى، نبدأ الأسبوع بتلقي دروس في التاريخ، أو بالأصح اختبار في التاريخ. كان هذا واحدًا من المجالات التي يبدو أن ما يعرفه الناس فيها متنوع، سواء من حيث الحقائق أو مدى إلمامهم بالموضوع. كانت والدتي دائمًا تُعلمنا التاريخ شفهيًا . وكانت لدينا مراجع وتمارين لإتقان اللغة الإنجليزية والرياضيات، لكن عندما يتعلق الأمر بالقصص التي تشكل ماضينا، كان هناك القليل جدًا مما كنت أعرف حقيقته بالتأكيد.

عقَّبت سيلفيا: «صحيح، كان الرئيس واليس هو الرئيس قبل الهجوم الصيني، واستمر في قيادة الولايات المتحدة طوال الحرب».

أخذت أردد الاسم في ذهني لتذكره، واليس، واليس، واليس. شعرت برغبة مُلحة لتذكره جيدًا كي أخبر ماي وجيراد باسمه عندما أعود إلى المنزل؛ لكنا كنا نتعلم هنا الكثير من المعلومات هنا وكان صعبًا عليَّ تثبيتها كلها في رأسي.

سألت سيلفيا سيليستي: «وماذا كان دافعهم للغزو؟».

أجابت سيليستي: «المال، كانت أمريكا مدينة لهم بالكثير، ولم تستطع السداد».

ابتسمت سيلفيا بإعجاب وقالت: «ممتاز يا سيليستي». كيف تجذب سيليستي الآخرين إليها بهذه السهولة؟ كان ذلك يُشعرني بالغيظ حقًّا. وعقبت سيلفيا: «عندما لم تتمكن

الولايات المتحدة من سداد ديونها الهائلة، غزاها الصينيون. ولسوء حظهم، لم يحصلوا على أي أموال؛ فالولايات المتحدة كانت قد أفلسَت تمامًا. ومع ذلك، حصلوا على العمالة الأمريكية. وعندما تولى الصينيون السيطرة، ماذا أطلقوا على الولايات المتحدة؟».

رفعت يدي مع عدد قليل من الأخريات، فنادت سيلفيا: «جينا؟».

ردت جينا: «ولاية الصين الأمريكية».

قالت سيلفيا: «بالضبط، كانت ولاية الصين الأمريكية تحمل مظهرًا شبيهًا بالسابق، لكنها في الحقيقة أصبحت واجهة للصينيين. كانوا يحركون الخيوط من وراء الكواليس، يؤثرون في الأحداث السياسية الكبرى ويوجهون التشريعات لصالحهم».

كانت سيلفيا تتجول بين المكاتب بخطوات هادئة، وشعرت كأنني فأر صغير أمام عينيْ صقر يحوم بالمكان.

تطلعت حولي في الغرفة ولاحظت علامات الحيرة على بعض الفتيات، كنت أظن أن هذا الجزء من التاريخ معلومات بديهية للجميع.

سألتنا سيلفيا: «هل لدى إحداكن أي شيء تود إضافته؟».

قالت باريل: «لقد أدى الغزو الصيني إلى تحفيز عدة دول، وخاصة في أوروبا، لتنسيق جهودها وعقد تحالفات دفاعية».

ردت سيلفيا: «نعم، هذا صحيح»، ثم أضافت وهي ترسم تعبيرًا على وجهها يوحى بالخسارة: «ومع ذلك، لم يكن لدى ولاية الصين الأمريكية أي أصدقاء في تلك الفترة. استغرق الأمر خمس سنوات لإعادة تنظيم صفوفهم، وكانوا بصعوبة قادرين على التماسك؛ لذا فإن التفكير في تشكيل تحالفات كان أمرًا بعيد المنال. لكن ولاية الصين الأمريكية كانت

تخطط للرد على الصين، إلى أن واجهت غزوًا آخر. مَن كانت الدولة التي حاولت احتلالها بعد ذلك؟».

هذه المرة، ارتفعت الكثير من الأيادي. لكن قبل أن تختار إحداهن، قال صوتٌ من بين الجموع: «روسيا».

نظرت سيلفيا حول الغرفة محاولة تحديد مَن أجابت دون إذن، لكنها لم تعلم مَن هي.

بدا الانزعاج على وجهها لكنها قالت: «صحيح، حاولت روسيا التوسع في كلا الاتجاهين، لكنها فشلت بشكل فظيع، هذا الفشل منح ولاية الصين الأمريكية فرصة للرد. والآن، كيف تمكَّنوا من ذلك؟».

رفعت كريس يدها وأجابت: «جمعوا كل الموارد التي كانت متوافرة في أمريكا الشمالية لمواجهة روسيا. بدا واضحًا أن روسيا تطمع فيما هو أبعد من ولاية الصين الأمريكية. وكان القتال ضد روسيا أسهل، حيث كانت الصين تهاجمها أيضًا لمحاولة سرقة أراضيها».

ابتسمت سيلفيا بفخر وقالت: «بالضبط، ومَن الذي قاد الهجوم ضد روسيا؟».

في تلك اللحظة، انطلقت الإجابة من الجميع دفعة واحدة: «جريجوري إيليا!»، حتى إن بعض الفتيات صفَّقن بأيديهن.

أومأت سيلفيا برأسها وقالت: «وهكذا تأسست البلاد، والتحالفات التي أقامتها ولاية الصين الأمريكية شكَّلت جبهة موحدة. كانت سمعة الولايات المتحدة قد تلطخت بالكامل، فلم يرغب أحد في إعادة اعتماد ذلك الاسم. وبدلًا من ذلك، تم تشكيل أمة جديدة تحت قيادة جريجوري إيليا. لقد كان هو المنقذ الذي قاد البلاد إلى النور».

رفعت إيميكا يدها فأومأت لها سيلفيا كي تتحدث، فقالت بنبرة إعجاب: «نحن أشبه به نوعًا ما. أعني، نحن أيضًا لدينا فرصة لخدمة بلدنا. لقد كان مجرد مواطن عادي كافح

بوقته وأمواله ومعرفته، وقد غيَّر، بالفعل، كل شيء».

قالت سيلفيا: «نقطة جديرة بالذكر، بالفعل، سيتم اختيار إحداكن للارتقاء إلى العائلة الملكية. بالنسبة لجريجوري إيليا، فقد أصبح ملكًا عندما تزوج من عائلة ملكية، وبالنسبة لكُنَّ، سيكون ذلك من خلال الزواج من هذه العائلة». بدا التأثر في نبرات سيلفيا وهي تتجول بين الفتيات، وعندما رفعت تيوزداي يدها، استغرقت سيلفيا بعض الوقت لتلاحظها.

استفسرت تيوزداي: «لماذا لا يوجد لدينا أي من هذه المعلومات في كتاب حتى نتمكن من دراستها؟».

هزّت سيلفيا رأسها وقالت: «عزيزاتي، التاريخ ليس شيئًا يُدرَّس في الكتب، إنه شيء ينبغي أن تعرفنه بالفطرة».

استدارت مارلي نحوي وهمست: «لكن من الواضح أننا لا نعرف»، وابتسمت ثم أعادت تركيزها على سيلفيا.

جلست أفكر في ذلك، لماذا كان علينا أن نتعلم التاريخ من مصادر مختلفة أو نضطر لتخمين الحقيقة؟ لماذا لم يكن لدينا كتب تاريخ نستخدمها بصفتها مَراجع؟

وتذكرت قبل بضع سنوات عندما دخلت غرفة والديَّ بدافع الفضول؛ لأن أمي أخبرتني أن بإمكاني اختيار ما أريد قراءته لتحسين لغتي الإنجليزية. وبينما كنت أبحث بين الكتب، لمحت كتابًا سميكًا ومثيرًا للاهتمام في الزاوية الخلفية، فأخرجته ووجدته كتابًا عن تاريخ الولايات المتحدة.

لم أكن أدرك حينها مدى حساسية الأمر حتى دخل أبي بعد بضع دقائق ورأى ما كنت أقرؤه. ثم أخبرني أن بإمكاني قراءته لكن يجب ألا أخبر به أحدًا.

التزمت بسر أبي دون أن أطرح الأسئلة، كما أنني أحببت تصفح ذلك الكتاب، أو بالأحرى الصفحات التي تبقت منه، حيث كان هناك الكثير من الصفحات الممزقة، وبدا من أطراف الكتاب أنه تعرض لمحاولة حرق. على إحدى الصفحات المتبقية، وجدت صورة للبيت الأبيض القديم، وعرفت بعض المعلومات عن كيفية احتفال الأمريكيين بالعطلات في ذلك الزمن.

لم أفكر كثيرًا في المسألة حتى طرحتها تيوزداي. لماذا يتركنا الملك نخمن؟

ومض فلاش الكاميرات مجددًا، حيث كانوا يأخذون صورة لماكسون وناتالي وهما يبتسمان.

قال المصور: «ناتالي، اخفضي ذقنك قليلًا من فضلك، حسنًا هذا رائع»، ثم التقط المصور صورة أخرى ملأت الغرفة بضوء الفلاش.

قال: «أعتقد أن هذا يكفي، مَن التالية؟».

دخلت سيليستي من الجانب وحولها مجموعة من الخادمات يقمن بتعديل ملابسها وشعرها بسرعة قبل أن يبدأ المصور مرة أخرى. كانت ناتالي لا تزال تقف بجوار ماكسون وهي تحدثه، ثم حرَّكت قدمها بطريقة لافتة، لكن ماكسون بقي محايدًا. وابتعدت عنه وهي تضحك.

بعد درس التاريخ أمس، قيل لنا إن جلسة التصوير هذه ليست سوى عرض ترفيهي للجمهور، لكنني لم أتمكن من التخلص من شعوري بأنها تحمل أبعادًا أعمق. كان هناك مقال افتتاحي نُشر في إحدى المجلات مؤخرًا عن مظهر الأميرة المثالي. لم أقرأ المقال بنفسي، لكن إيميكا وبعض الفتيات الأخريات فعلن. ووفقًا لما قالته إيميكا، كان المقال يدور حول فكرة أن ماكسون بحاجة إلى العثور على شريكة تحمل مظهر الملكات وتتألق في الصور معه، فتاة مثالية تناسب صورتها طابع بريد احتفاليًّا.

وها نحن الآن مصطفات في طابور طويل، مرتديات فساتين بلون كِريمي متطابق، بأكمام قصيرة وخصر منخفض، مع شريط أحمر يمر عبر الكتف ويبرز على فساتيننا. كنا نلتقط صورًا مع ماكسون، والهدف من هذه الصور أن تُنشر في المجلة نفسها ليختار منها طاقم التحرير.

لم أستطع إنكار شعوري بعدم الارتياح، هذه كانت المشكلة التي أقلقتني منذ البداية؛ فكرة أن ماكسون يبحث فقط عن وجه جميل. لكن الآن، بعد أن قابلته وتعرَّفت عليه، كنت متأكدة من عدم صحة ذلك. لكن أزعجني أن هناك من كانوا يظنونه كذلك.

تنهدت بعمق، ورأيت هناك بعض الفتيات يتجولن ويدردشن ويتناولن مأكولات خفيفة لا تترك بقعًا على ملابسهن. لكن الأغلبية، بمن فيهن أنا، وقفنا حول محيط المنصة التي أعدت في القاعة الكبرى. كانت القاعة الكبرى مزينة بعناية، إذ امتد نسيج ذهبي ضخم من الجدار إلى الأرض، يِّذكرني بقطع القماش الفاخرة التي كان والدي يحرص على اقتنائها في منزلنا. كانت هناك أريكة صغيرة على الجانب، وعمود على الجانب الآخر. وفي المنتصف، كان شعار إيليا الكبير يضفى على هذا الحدث السخيف شعورًا بالوطنية. راقبنا كل متسابقة وهي تتحرك لالتقاط صورها. وكانت هناك همسات من الفتيات عن الأشياء التي لفتت انتباههن أو لم تَرُق لهن، وكذلك عن خططهن الشخصية لما سيفعلنه عندما يحين دورهن.

كانت عينا سيليستي تلمعان وهي تقترب من ماكسون، وهو بدوره ابتسم لها. وفي اللحظة التي وصلت إليه، مالت تهمس في أذنه بشيء، فألقى برأسه للخلف ضاحكًا وأومأ موافقًا على كلامها. بدا الأمر غريبًا لي؛ كيف لشخصٍ شعرت بأنه متوافق معي إلى هذا الحد أن يبدو مرتاحًا وسعيدًا مع شخصية مثلها؟

قال المصور: «حسنًا يا آنسة، واجهي الكاميرا وابتسمي، من فضلك»، فامتثلت سيليستي على الفور.

استدارت نحو ماكسون ووضعت يدها على صدره وأمالت رأسها قليلًا، ثم ابتسمت ابتسامة احترافية. بدت كأنها تفهم تمامًا كيفية استخدام الإضاءة وزاوية الكاميرا لصالحها. بدأت بتحريك ماكسون هنا وهناك، تطلب منه تغيير وضعيتهما أو تعدل من درجة قربهما. وبينما اختارت بعض الفتيات التمهل في دورهن مع ماكسون ليكنَّ معه فترة أطول، خاصة اللواتي لم يحصلن على موعد معه حتى الآن، بدا أن سيليستي تركز على الوصول لأفضل صورة بأسرع وقت.

وبعد لحظات، أنهت جلستها، واستدعى المصور الفتاة التالية. كنت منشغلة تمامًا بمراقبة سيليستي وهي تمرر أصابعها على ذراع ماكسون أثناء مغادرتها، ولم ألاحظ أن دوري حان إلى أن نبهتني خادمة برفق.

هززت رأسي قليلًا، وأخذت نفسًا عميقًا لاستعادة تركيزي. رفعت فستاني قليلًا، وبدأت أسير نحو ماكسون. انتقلت عيناه من سيليستي إليَّ مباشرة، وربما تخيلت ذلك، لكن بدا أن وجهه أشرق قليلًا عند رؤيتي.

همس: «مرحبًا، عزيزتي».

حذرته بنبرة مازحة وقلت: «لا تفكر حتى في قول ذلك»، لكنه ضحك ومد يديه نحوي.

«انتظري لحظة، يبدو الشريط الذي ترتدينه مائلًا».

قلت له: «لست مستغربة»، فقد شعرت بذلك الشريط الثقيل يتأرجح مع كل حركة.

قال ماكسون ممازحًا: «أظن أنه مناسب الآن».

رددت عليه: «تبدو متألقًا حرفيًا»، وضغطت بيدي على الأوسمة الذهبية التي تزين صدره. كان زيه يحتوي أيضًا على تفاصيل ذهبية على الكتفين، فضلًا عن سيف معلق على خاصرته، ويشبه قليلًا أزياء الحراس، لكنه أكثر أناقة بشكل مُبالغ فيه.

نادى المصور: «انظري إلى الكاميرا، من فضلك».

رفعت بصري لكن عينيَّ لم تستقرا فحسب على المصور، بل على كل الفتيات الواقفات هناك يشاهدننا، وشعرت بتوتر شديد يزحف إلى أطرافي.

مسحت راحتيَّ المتعرقتين على فستاني وزفرت لتهدئة أعصابي.

همس ماكسون: «لا تتوتري».

«لا أحب أن ينظر إليَّ الجميع».

شدني إليه أكثر ووضع يده على خصري، فحاولت أن أبتعد قليلًا؛ لكن ذراعه كانت قوية.

قال لي: «انظري إليَّ كما لو كنتِ لا تطيقينني»، ثم عبس بشكل هزلي، فأغرقت في الضحك.

ومضت الكاميرا في تلك اللحظة، ملتقطة صورتنا ونحن نضحك.

وعلق ماكسون: «أترين؟ الأمر ليس سيئًا كما تتخيلين».

قلت له: «أظن ذلك».

ورغم ذلك، استمر التوتر بداخلي لبعض الوقت بينما كان المصور يصدر تعليماته، ويطلب منا تبديل الوضعيات. كان ماكسون ينتقل من وضعية احتضاني عن قرب إلى وضعية أخرى ونحن متباعدان قليلًا، أو يحرِّكني ليجعل ظهري يستند إلى صدره.

قال المصور: «ممتاز، هل يمكننا أخذ بضع لقطات على الأريكة؟».

كنت قد بدأت أشعر براحة أكبر بعد أن اجتزنا نصف جلسة التصوير. جلست بجوار ماكسون، محاولة الحفاظ على أفضل وضعية جلوس ممكنة.

وبين الحين والآخر، كان يغمز لي أو يدغدغني، ما دفعني إلى الابتسام أو الانفجار في الضحك. كنت آمل أن تُلتقط لنا الصور قبل أن يتحول وجهي إلى تعبيرات غريبة بفعل الضحك. خشيت أن تتحول الجلسة إلى كارثة إذا لم تُلتقط الصور في الوقت المناسب.

ثم لمحت بطرف عيني شخصًا يلوح بيده، وبعد لحظات لاحظ ماكسون الأمر أيضًا والتفت نحو الرجل. كان يقف هناك مرتديًا بدلة رسمية، وبدا واضحًا أنه بحاجة ماسة إلى التحدث إلى الأمير. فأومأ له ماكسون بالقدوم، لكن الرجل نظر إلينا بتردد، وكانت عيناه تتنقلان بين ماكسون وبيني، ليقول بعينيه إن الأمر يجب ألا يُذكر أمامي.

قال ماكسون بثقة: «لا بأس، يمكنك التحدث».

تقدم الرجل وجثا على ركبتيه أمام ماكسون وقال: «هناك هجوم من المتمردين في ميدستون، جلالتك». تنهد ماكسون وخفض رأسه بينما يكمل الرجل: «لقد أحرقوا المحاصيل وقتلوا عشرات الأشخاص».

«أين تحديدًا في ميدستون؟».

«في الغرب يا سيدي، قرب الحدود».

أومأ ماكسون برأسه ببطء، وكأنه يضيف هذه المعلومة إلى خريطة في ذهنه، ثم سأل: «وماذا قال والدي؟».

«في الواقع، جلالتك، كان يريد معرفة رأيك».

للحظة ٍقصيرة، بدا ماكسون مذهولًا من هذا الرد، لكن سرعان ما استعاد هدوءه وقال: «ركِّزوا القوات في جنوب شرق سوتا وعلى طول تامينز. لا ترسلوا أي قوات جنوبًا إلى ميدستون؛ سيكون ذلك هدرًا للموارد، حاولوا اعتراض طريقهم هكذا».

وقف الرجل وانحنى باحترام قبل أن يقول: «أمر سموك»، ثم اختفى بالسرعة التي جاء بها.

كان علينا الرجوع إلى جلسة التصوير لكن ماكسون بات مشتتًا ولم يعد يبدي أدنى اهتمام بذلك الآن.

سألته: «هل أنت بخير؟».

أومأ برأسه بحزن وقال: «كل هؤلاء الناس».

اقترحت عليه: «ربما علينا أن نوقف الجلسة».

هز رأسه نفيًا ووقف مستقيمًا، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ووضع يده على يدي وقال: «هناك شيء عليكِ أن تتعلميه في هذه المهنة، وهو الظهور بهدوء، حتى عندما تشعرين بالعكس تمامًا. من فضلك، ابتسمي يا أميريكا».

وقفت وابتسمت ابتسامة خجولة أمام الكاميرا، وبدأ المصور التقاط الصور مجددًا. وفي آخر اللقطات أمسك ماكسون يدي وضغط عليها، فبادلته ذلك. وفي تلك اللحظة بالتحديد، شعرت بأن هناك رابطًا قويًا يجمعنا، ويتجاوز كل ما يحيط بنا.

صاح المصور بصوت منغم: «شكرًا جزيلًا، الفتاة التالية، من فضلكن!».

بينما كنا نقف، أمسك ماكسون يدي مجددًا وقال: «من فضلك، لا تخبري أحدًا بما سمعتِه، من الضروري أن يظل هذا سرًّا».

أجبته: «بالطبع».

وقبل أن أتمكن من قول المزيد، قاطعنا صوت الكعبين المتجه نحونا ليذكرني بأننا لم نكن وحدنا، لكنني كنت أرغب في البقاء. ضغط على يدي لمرة أخيرة قبل أن يتركني، وبينما ابتعدت، أخذت أفكر في عدة أشياء. كم كان شعورًا جميلًا أن يثق ماكسون بي بما يكفي ليجعلني أعلم هذا السر، وكيف شعرت كأننا كنا وحدنا للحظة. ثم فكرت في المتمردين

وكيف أن الملك عادةً ما كان سريعًا في إلقاء اللوم عليهم. لكن كان من المفترض أن أُبقي هذه الأخبار سرًّا، مع أن ذلك لم يبد منطقيًا على الإطلاق.

وسمعت ماكسون يحيي الفتاة التالية: «عزيزتي جانيل».

ابتسمت قليلًا عند سماع الكلمة التي يكررها، كأنها عادةٌ تعلَّمها لإرضاء الجميع.

خفض صوته وهو يتحدث لكنني استطعت التقاط ما قاله: «قبل أن أنسى، هل ستكونين متاحة هذا المساء؟».

شعرت بانقباض مفاجئ في معدتي، إحساس غريب لم أستطع تفسيره، أشبه بتشنج غير متوقع.

قالت إيمي بإصرار: «لا بد أنها ارتكبت شيئًا مريعًا».

ردت كريس: «هذا ليس ما بدا عليه الأمر».

تدخلت تيوزداي وأمسكت ذراع كريس وسألتها: «ماذا قالت؟».

لقد تم إرسال جانيل إلى المنزل.

كان هذا القرار صادمًا وغامضًا لنا جميعًا. لم يكن هناك أي كسر واضح للقواعد، كما هي الحال عادةً في مثل هذه الأمور. بدا كأن جانيل ارتكبت خطأ لا يُغتفر، وأردنا جميعًا معرفة ما حدث.

كانت غرفة كريس مقابلة لغرفة جانيل، وهي الوحيدة التي تمكنت من الحديث معها قبل رحيلها. تنهدت كريس وأعادت سرد القصة للمرة الثالثة:

«هي وماكسون ذهبا للصيد، لكنكم تعرفون ذلك بالفعل»، وأخذت تلوح بيدها كأنها تحاول تنظيم أفكارها. كان موعد جانيل مع ماكسون حديث الجميع، خصوصًا لأنها لم تتوقف عن التفاخر بخططهما لكل من أراد أو لم يرغب في الاستماع بعد جلسة التصوير بالأمس.

وعلقت باريل: «كان ذلك موعدها الثاني مع ماكسون، هي الوحيدة التي حصلت على موعدين».

تمتمتُ: «لا، ليست الوحيدة»، كان صوتي خافتًا، لكنه كان كافيًا لجذب انتباه بعض الفتيات من حولي. حسنًا، ما قلته كان صحيحًا، كانت جانيل الفتاة الأخرى التي حصلت على موعدين مع ماكسون، مثلي. بالطبع لم أكن أعد المرات أو مهتمة أصلًا.

تابعت كريس حديثها: «عندما عادت من الموعد كانت تبكي. سألتها عما حدث، لكن كل ما قالته هو أنها سترحل، وأن ماكسون طلب منها ذلك. عانقتها لأنها بدت حزينة جدًا، وسألتها مجددًا عما جرى، لكنها قالت إنها لا تستطيع إخباري ولم أفهم لماذا. هل يُمنع علينا التحدث عن أسباب إقصائنا؟».

سألتْ تيوزداي: «هذا لم يكن ضمن القواعد، أليس كذلك؟».

أعلنت إيمي: «لم يخبرني أحد بأي شيء عن مثل هذه القاعدة»، وأيدتها أخريات.

سألتْ سيليستي: «لكن ماذا قالت بعد ذلك؟».

تنهدت كريس مجددًا: «قالت لي إنه من الأفضل لي أن أكون حذرة فيما أتفوَّه به، ثم استدارت وأغلقت الباب بقوة».

ساد صمت ثقيل في الغرفة للحظة، حيث انشغل الجميع بالتفكير فيما حدث حقًّا، ثم قطعت إلاينا الصمت: «لا بد أنها أهانته بشكلٍ ما».

اعترضت سيليستي: «إذا كان هذا هو السبب في مغادرتها، فهذا ليس عدلًا؛ لأن ماكسون قال إن هناك فتاة في هذه الغرفة أهانته عندما قابلته لأول مرة ولم يفعل شيئًا بشأنها».

بدأت الأعين تتجول في الغرفة، تبحث عن تلك المذنبة، كما لو أنهن يُردن طردها كذلك؛ أي طردي أنا.

نظرت بتوتر إلى مارلي، التي سرعان ما غيرت الموضوع: «ربما قالت شيئًا يتعلق بالبلد، أي تحدثت في السياسة مثلًا؟».

بدت علامات السخرية تلوح على وجه باريل وهي تقول: «حقًّا؟ كيف يكون الموعد مملًّا لدرجة أن يصل الحديث إلى السياسة؟ هل سبق لإحداكن أن تحدثت مع ماكسون عن أي شيء يخص إدارة البلاد؟».

ساد الصمت، ولم يردَّ أحد.

وعلقت باريل: «بالطبع لم تفعلن، ماكسون لا يبحث عن شريكة في العمل، بل يبحث عن زوجة».

تدخلت كريس باعتراض: «ألا تعتقدين أنكِ تقللين من شأنه؟ ألا تعتقدين أن ماكسون يريد زوجة لديها أفكار وآراء؟».

ألقت سيليستي رأسها إلى الخلف وضحكت: «ماكسون يستطيع إدارة البلاد بمفرده، لقد تم تدريبه على ذلك منذ طفولته. بالإضافة إلى ذلك، لديه فرق من المستشارين والمختصين لمساعدته، فلماذا سيريد شخصًا آخر ليخبره بما يجب أن يفعله؟ لو كنت مكانك يا كريس، لبدأت تعلم أن أصمت، على الأقل حتى يتزوجك».

وهنا اقتربت باريل من سيليستي وهمست: «وهو لن يفعل ذلك».

ابتسمت سيليستي بخبث وأضافت: «بالضبط، لماذا سيتعب ماكسون نفسه مع فتاة متذاكية من الطبقة الثالثة بينما يمكنه الحصول على فتاة من الطبقة الثانية بسهولة؟».

لم تستطع تيوزداي تمالك نفسها، فصاحت: «اصمتي! ماكسون لا يهتم بالطبقات».

ردت سيليستي كأنها تتحدث إلى طفل صغير: «بالطبع يهتم، لماذا تعتقدين أن جميع مَن كنَّ أقل من الطبقة الرابعة قد رحلن؟».

رفعت يدي وقلت: «أنا ما زلت هنا، لذا إذا كنتِ تعتقدين أنكِ تفهمينه، فأنتِ مخطئة تمامًا».

قالت بنبرة ساخرة وكأنها تتسلى بإيذاء الناس: «آه، إنها الفتاة التي لا تعرف متى تصمت».

ضممت قبضتي بقوة، محاولة كبح غضبي. هل يجب أن أضربها مهما كان الثمن؟ أم أن هذا ما تريده ولهذا تستفزني؟

لكن قبل أن أتمكن من اتخاذ أي خطوة، اندفعت سيلفيا عبر الباب.

نادت سيلفيا: «البريد يا آنسات»، وهذا كان كافيًا لتخفيف أجواء التوتر في الغرفة.

توقف الجميع عن الحديث، وركزنا جميعًا على كومة الرسائل التي تحملها سيلفيا بين يديها. كنا في القصر منذ أسبوعين تقريبًا، وباستثناء الرسائل التي وصلتنا في اليوم الثاني، لم نحظَ بأي تواصل حقيقي مع عائلاتنا منذ ذلك الحين.

قالت سيلفيا وهي تقلب الرسائل بين يديها: «لنرَ ما لدينا هنا»، متجاهلة تمامًا التوتر الذي كان يغلف على الغرفة قبل ثوانٍ قليلة.

نادت وهي تبحث في الغرفة بعينيها: «الآنسة تايني؟».

رفعت تايني يدها وتقدمت لتتسلم رسالتها.

نادت سيلفيا من الأسماء: «الآنسة إليزابيث؟ الآنسة أميريكا؟».

قفزت من مكاني واندفعت نحوها مختطفة الرسالة من يدها، فقد ملأني الشوق لسماع أخبار عائلتي. وبمجرد أن أمسكتها، ذهبت إلى زاوية بعيدة في الغرفة، أبحث عن بعض الخصوصية.

فتحت الرسالة وبدأت أقرأها:

عزيزتي أميريكا،

لا أطيق الانتظار حتى يأتي يوم الجمعة، لا أصدق أنك ستحظين بفرصة التحدث مع جافريل فاداي! يا لكِ من محظوظة.

لم أشعر بأنني محظوظة. كنا سنقف مساء الغد جميعًا أمام الأضواء، سنصبح محور اهتمام جافريل وأسئلته غير المتوقعة. لم أكن أملك أدنى فكرة عما قد يسألنا إياه، لكنني كنت متأكدة من أنني سأحرج نفسي.

سيكون من الرائع سماع صوتك مرة أخرى. أفتقدك وأنت تغنين في المنزل. أمي لا تفعل ذلك، وقد صار المكان هادئًا جدًّا منذ مغادرتك. هلا لوَّحتِ لي في العرض؟

كيف تسير المنافسة؟ هل لديك الكثير من الصديقات هناك؟ هل تحدثتِ إلى أي من الفتيات اللاتي غادرن؟ أمي تقول الآن إنه ليس أمرًا مهمًّا إذا خسرتِ. نصف أولئك الفتيات اللاتي رجعن إلى المنزل خطبن بالفعل لأبناء الوزراء أو المشاهير. وتقول إن أحدهم سيتزوجك إذا لم يفعل ماكسون.

جيراد يأمل أن تتزوجي لاعب كرة سلة بدلًا من أمير ممل. لكنني لا أهتم بما يقوله أي شخص. ماكسون وسيم جدًّا!

هل عانقته؟

هل عانقته؟ لم نعرف بعضنا إلا منذ فترة قصيرة جدًّا، ولم يكن هناك أي سبب يدعو ماكسون للقيام بذلك.

أراهن أن لا أحد يعانق أفضل منه. أعتقد أنه بصفته أميرًا، يجب أن يكون بارعًا في كل شيء!

لديَّ الكثير لأخبرك به. لكن أمي تريدني أن أذهب لأرسم. اكتبي لي رسالة حقيقية قريبًا ، طويلة مع الكثير والكثير من التفاصيل!

أحبك! نحن جميعًا نحبك.

ماي

إذن، فالفتيات اللاتي تم استبعادهن من المنافسة قد وجدن طريقهن إلى رجال أثرياء بالفعل. لم يخطر ببالي قط أن الاستبعاد من مسابقة الزواج بالأمير يمكن أن يحول المرأة إلى هدف ثمين بهذا الشكل. أخذت أتجول ببطء حول الغرفة، أفكر في كلمات ماي.

أردت معرفة ما يجري، تساءلت عما حدث لجانيل، وعما إذا كان ماكسون لديه موعد آخر، هذه الليلة. كنت أرغب حقًّا في رؤيته.

بينما كانت الأفكار تتسابق في ذهني، أفكر في طريقة للتحدث معه، كنت أحدق إلى الورقة التي أحملها.

كانت الصفحة الثانية من رسالة ماي تقريبًا فارغة، مزقت قطعة صغيرة من الورقة بينما كنت أتجول.

في الجوار، كانت بعض الفتيات غارقات في قراءة رسائل عائلاتهن، والأخريات كُنَّ يتشاركن الأخبار. وبعد أخذ جولة، توجهت نحو دفتر الزوار في غرفة النساء والتقطت قلمًا.

كتبت بسرعة على قطعة الورق الصغيرة:

جلالتك...

أنا أشد أذني. في أي وقت يناسبك.

خرجت من الغرفة محاولة أن أبدو كأنني ذاهبة إلى الحمام، تفقدت الممر من الجانبين فوجدته فارغًا. ووقفت هناك أترقب، حتى ظهرت خادمة من الزاوية، تحمل صينية شاي بين يديها.

ناديتها بهدوء: «عذرًا؟»، كانت الأصوات تتردد بقوة في هذه الأروقة الكبيرة.

انحنت وقالت: «نعم آنستي؟».

أشرت إلى الصينية وسألتها: «هل ستذهبين إلى الأمير بهذه؟».

ابتسمت: «نعم، آنستي».

مددت لها قطعة الورق الصغيرة المطوية وقلت لها: «هل يمكنك إيصال هذه له نيابة عني؟»

تناولت الورقة من يدي وقالت: «بالطبع آنستي!».

أخذت الورقة بحماس وانطلقت بعيدًا بحيوية متجددة. لم يكن لديَّ شك أنها ستفتحها فور أن تبتعد عني، لكنني لم أقلق بشأن ذلك؛ لأن النص كان غامضًا.

كان القصر يحتوي على ممرات عديدة ساحرة، أبهى وأوسع من منزلي بأكمله. كان كل شيء جميلًا؛ ورق الجدران والمرايا المذهَّبة والمزهريات العملاقة المليئة بالزهور النضرة. كان السجاد تحت قدمي فاخرًا ونظيفًا، والنوافذ تتلألأ، واللوحات التي تزين الجدران بديعة.

توقفت للحظة أمام مجموعة من اللوحات، بعضها كان مميزًا لفنانين أعرفهم، مثل فان جوخ وبيكاسو، أما البعض الآخر فلم أعرف مَن أصحابها. رأيت صورًا لمبانٍ رأيتها من قبل، واستوقفتني لوحة للبيت الأبيض الأسطوري. لكن مقارنةً بما رأيته في الصور وما قرأته في كتاب التاريخ القديم، كان هذا القصر يفوقه فخامة وعظمة. ورغم ذلك، تمنيت لو كان البيت الأبيض لا يزال موجودًا لأراه.

أثناء تجوالي، توقفت أمام صورة قديمة للعائلة الملكية. ظهر فيها ماكسون أصغر سنًّا وأقصر قامة من والدته، لكنه الآن أصبح أطول منها.

استرجعت لحظاتي في القصر وفكرت في هذه العائلة. لم أرَهم معًا إلا في مناسبات رسمية، كالعشاء أو أثناء عرض النشرة الإخبارية. هل يفضلون الخصوصية إلى هذا الحد؟ هل كانوا مستائين من وجود كل هؤلاء الفتيات الغريبات في منزلهم؟ هل كانت الروابط بينهم مجرد دم وواجب؟ لم أعرف كيف أفسر تصرفات هذه العائلة التي تظهر بصعوبة.

«أميريكا؟».

استدرت عند سماع اسمي، لأجد ماكسون يركض باتجاهي في الممر.

كان قد خلع سترة البدلة، وطوى كُمَّيْ قميصه الأبيض. كانت ربطة عنقه الزرقاء مرتخية حول عنقه، وشعره المُصفف للخلف عادةً بدا، هذه المرة، أكثر فوضوية، يتحرك مع كل خطوة يتخذها. بدا مختلفًا تمامًا عن الشخص ذي المظهر الرسمي الذي رأيته بالأمس، لقد صار أكثر شبابًا وأكثر واقعية.

تجمدت في مكاني حين اقترب مني ماكسون وأمسك رسغي.

سألني وهو يضغط على يدي: «هل أنتِ بخير؟ ما الأمر؟».

«ماذا تقصد؟ ليس بي شيء، أنا بخير».

زفر زفرة طويلة، وكأنه كان يحبس أنفاسه طوال الوقت، وقال: «حمدًا لله. عندما قرأت ما كتبتِه لي، ظننت أنك مريضة أو أن شيئًا حدث لعائلتك».

قلت له: «أوه! لا يا ماكسون، أنا آسفة جدًّا. كنت أعلم أن ذلك كان تصرفًا غبيًّا، لكن لم أكن متأكدة من حضورك العشاء وأردت رؤيتك».

سألني: «لماذا؟»، وهو ينظر إليَّ بتعجب، ليتأكد من عدم حدوث شيء.

قلت له: «أردت رؤيتك فقط».

توقف ماكسون عن الحركة، ونظر إليَّ وكأنه يحاول فهم ما قلته.

ثم بدت عليه علامات الدهشة وسأل مبتسمًا: «أردتِ رؤيتي فقط؟».

رأيت السعادة تملأ عينيه فأجبت: «لا تتفاجأ هكذا، الأصدقاء عادةً يقضون الوقت معًا، أليس كذلك؟»، وكانت نبرتي توحي بأنه شيء بديهي.

عاد ماكسون إلى ملامحه الجادة، وقال: «آه، إذن أنتِ غاضبة مني لأنني كنت مشغولًا طوال الأسبوع، صحيح؟ لم أكن أقصد إهمال صداقتنا يا أميريكا».

«لا، لست غاضبة، أردت فقط توضيح الأمر. تبدو منشغلًا؛ لذا عد إلى عملك، وسأراك عندما تصبح متفرغًا». ولاحظت أن يده لا تزال تمسك رسغي.

«في الواقع، هل تمانعين إذا بقيت بضع دقائق؟ إنهم يعقدون اجتماعًا للميزانية في الطابق العلوي، وأنا أكره هذه الأمور».

ودون انتظار جوابي، جذبني ماكسون إلى أريكة قصيرة مريحة تحت نافذة في منتصف الممر، وضحكت قليلًا بينما نتخذ مجلسنا.

«ما الذي يجعلك تضحكين؟».

قلت مبتسمة: «أنت تضحكني، من اللطيف أن أراك متضايقًا من وظيفتك. ما الذي يجعلك تكره الاجتماعات، على أي حال؟».

توجه إليَّ وقال بتنهيدة عميقة: «يا للملل يا أميريكا، إنهم يدورون في حلقات مفرغة. والدي يبذل جهدًا كبيرًا لتهدئة المستشارين، لكن من الصعب دفع اللجان لاتخاذ أي قرار واضح. ووالدتي دائمًا تلح على والدي لدعم الأنظمة التعليمية أكثر، حيث تعتقد أن التعليم يقلل من احتمالية الجريمة، وأنا أتفق معها. لكن والدي ليس حازمًا بما يكفي لجعلهم يعيدون توزيع الميزانية بطريقة فعالة، إذ يمكننا إدارة بعض المجالات بميزانيات أقل. الأمر محبط جدًّا! والأسوأ أنني لست في موقع القيادة، لذا يتم تجاهل رأيي بسهولة»، استند ماكسون بمرفقيه إلى ركبتيه ودفن رأسه بين يديه، بدا متعبًا ومهمومًا.

الآن، بدأت أرى لمحة من العالم الذي يعيش فيه ماكسون، لكنه لا يزال يبدو غريبًا لي. كيف يمكنهم تجاهل رأي الملك المستقبلي؟!

مددت يدي وربتُّ ظهره محاولة أن أزرع فيه الأمل وقلت: «أنا آسفة يا ماكسون، لكن من الجيد أنك ستتمكن من التعبير عن رأيك بشكل أكبر عندما يحين الوقت».

قال بصوت يكاد يكون مسموعًا وهو ينظر إلى السجادة: « أعلم هذا، وأخبر نفسي به دائمًا. لكن ما يثير جنوني أننا نستطيع تغيير الكثير الآن، إذا استمعوا إليَّ فقط».

«حسنًا، لا تدع الإحباط يسيطر عليك، والدتك تسير على الطريق الصحيح، لكن التعليم وحده لن يُصلح كل شيء».

رفع ماكسون رأسه وقال: «ماذا تقصدين؟» بدا كأنه اتهام، وهو كذلك بحق؛ فقد كان يناصر فكرةً للتو وأنا أبدو كأنني أنتقدها.

حاولت التراجع قليلًا وقلت: «أعني، مقارنةً بالمعلمين الخصوصيين المتميزين لشخص مثلك، فإن نظام التعليم للطبقتين السادسة والسابعة بائس جدًّا. أعتقد أن توفير معلمين أفضل أو منشآت أحسن قد يُحدث فرقًا كبيرًا لهم. لكن ماذا عن الطبقة الثامنة؟ أليسوا هم المسئولين عن أغلب الجرائم؟ هؤلاء لا يتلقون أي تعليم. أعتقد لو شعروا بأن لديهم شيئًا كالآخرين، أيَّ شيء على الإطلاق، فقد يشجعهم ذلك على التغيير».

توقفت للحظة، لم أكن واثقة إن كان بإمكان شاب نشأ وحصل على كل شيء بسهولة أن يستوعب ذلك. ثم تابعت: «هل شعرت بالجوع يومًا يا ماكسون؟ ليس مجرد الجوع الذي يسبق وقت العشاء، بل التضور جوعًا؟ لو لم يكن هناك طعام على الإطلاق، لا لوالدتك ولا لوالدك، وعلمت أن بإمكانك فقط أخذ شيء من أشخاص يملكون في يوم واحد ما لن تحصل عليه أنت في حياتك بأكملها لتأكل... ماذا ستفعل؟ إذا كان هناك من يعتمد عليك، ألن تفعل ما بوسعك من أجل مَن تحب؟».

صمت لوهلة. لقد اعترفنا سابقًا، حين تحدثنا عن خادماتي أثناء الهجوم، بالفجوة الشاسعة التي تفصل بيننا. لكن هذا الموضوع كان أكثر جدلية، وكنت أراه يحاول تجنبه.

«أميريكا، لا أنكر أن هناك مَن يواجهون صعوبات، لكن السرقة...».

«ماكسون، أغمض عينيك».

«ماذا؟».

«أغمض عينيك».

نظر إليَّ باستغراب لكنه أطاعني، انتظرت حتى أغمض عينيه واسترخى وجهه قبل أن أبدأ.

«تخيل أن هناك امرأة ستكون زوجتك في مكان ما بهذا القصر».

رأيت شفتيه تتحركان، وكأن ابتسامة أمل بدأت ترتسم عليهما.

«ربما لا تعرف من هي حتى الآن، لكن فكِّر في الفتيات بتلك الغرفة. تخيّل الفتاة التي تحبك أكثر من الجميع، تخيّل ‹عزيزتك›».

كانت يده مستندة بجوار يدي إلى المقعد، ولثانيةٍ، لامست أصابعه أصابعي، فأبعدتها عنه سريعًا.

همس وهو ينظر باتجاهي: «آسف».

«اجعلي عينيك مغمضتين!».

ضحك وعاد إلى وضعه الأصلي.

«هذه الفتاة؟ تخيّل أنها تعتمد عليك. تريدك أن تحبها وتمنحها شعورًا وكأن المنافسة لم تحدث قط. كأنك لو تُركت وحيدًا لتتجول في أنحاء البلاد، تطرق الأبواب بابًا وراء الآخر، لكنت ستجدها هناك. هي دائمًا مَن كنت ستختارها».

بدأت الابتسامة المتفائلة تخبو، بل بدأت تتلاشى.

«تحتاج إليك لتعيلها وتحميها، وإذا وصل الأمر إلى أنه لا يوجد أي شيء لتأكلاه، ولا تستطيع حتى أن تغفو في الليل لأن قرقرة بطنها من الجوع تبقيك مستيقظًا...».

«توقفي!» انتفض ماكسون واقفًا ومشى عبر القاعة وظل هناك لوهلة، معطيًا ظهره لي.

شعرت ببعض الحرج؛ لم أدرك أن هذا سيزعجه إلى هذه الدرجة.

همست: «آسفة».

أومأ برأسه لكنه استمر في النظر إلى الجدار. وبعد لحظة، استدار نحوي وتطلع إليَّ بنظرة حزينة مليئة بالأسئلة.

سألني: «هل الأمر حقًّا هكذا؟».

«ما قصدك؟».

«أعني هناك في الخارج... هل يحدث هذا؟ هل يجوع الناس هكذا كثيرًا؟».

«ماكسون، أنا...».

قاطعني وقد زم شفتيه: «أخبريني بالحقيقة».

أجبته: «نعم، هذا يحدث. أعرف عائلات تضحي بحصتهم من الطعام لأجل أطفالهم أو أشقائهم، أعرف طفلًا تم جلده في الساحة لأنه سرق طعامًا. أحيانًا تفعل أشياء جنونية عندما تكون يائسًا».

صُدِم متسائلًا: «طفل؟ كم عمره؟».

أخذت نفَسًا وأنا أرتعش وأجبت: «تسع سنوات»، ما زلت أتذكر الندوب على ظهر جيمي الصغير، ورأيت ظهر ماكسون ينتصب وكأنه يشعر بألم الجَلد هو أيضًا.

ثم سألني: «هل...»، وتنحنح قبل أن يكمل: «هل مررتِ بذلك من قبل؟ التضور جوعًا؟».

أطرقت برأسي، وهذا جعله يفهم. لم أكن أريد إخباره بهذا حقًّا.

سألني: «إلى أي حد شعرتِ بذلك الجوع؟».

«هذا لن يجلب لك إلا المزيد من الضيق يا ماكسون».

قال بجدية وهو يهز رأسه: «ربما، لكنني بدأت فقط أدرك مدى قلة معرفتي ببلدي؛ لذا أخبريني، من فضلك».

تنهدت وقلت: «كنا نعيش في ظروف سيئة. في معظم الأوقات، إذا اضطررنا إلى الاختيار، كنا نختار شراء الطعام ونتخلى عن الكهرباء. كان أسوأ وقت مررنا به عندما حدث ذلك في فترة رأس السنة في أحد الأعوام. كان الجو باردًا جدًّا، فكان علينا ارتداء الكثير من الملابس، وكنَّا نرى بخار أنفاسنا داخل المنزل. لم تفهم ماي سبب عدم قدرتنا على تبادل الهدايا. وكقاعدة عامة، لا توجد بقايا طعام في بيتنا؛ دائمًا ما يكون هناك من يحتاج إلى المزيد».

رأيت وجهه يشحب وأدركت أنني لا أريد رؤيته منزعجًا، كان عليَّ أن أغير الموضوع وأجعل الحديث أكثر إيجابية، فقلت:

«أعلم أن الشيكات التي حصلنا عليها، خلال الأسابيع القليلة الماضية، ساعدتنا حقًّا، وعائلتي ذكية جدًّا فيما يخص المال. أنا واثقة بأنهم قاموا بالفعل بتوفير الكثير بحيث يدوم لفترة طويلة. لقد فعلتَ الكثير من أجلنا يا ماكسون»، حاولت أن أبتسم له مجددًا، لكن تعبيرات وجهه بقيت على حالها.

قال، وهو يهز رأسه: «يا إلهي، لم تكوني تمزحين عندما قلتِ إنك هنا من أجل الطعام، أليس كذلك؟».

«حقًّا لقد كنا بخير مؤخرًا يا ماكسون. أنا...»، لكن لم أتمكن من إنهاء جملتي.

تقدم ماكسون نحوي وقبَّل جبيني وقال: «سأراكِ على العشاء».

وبينما كان يبتعد، أخذ يعدل ربطة عنقه.

الفصل 18

رغم أن ماكسون أخبرني بأنه سيراني على العشاء، لم أجده هناك. دخلت الملكة بمفردها ووقفنا جميعًا لننحني باحترام بينما تجلس في مقعدها، ثم جلسنا جميعًا بعدها.

تجولت عيناي في المكان؛ بحثًا عن أي فتاة متغيبة، إذ ظننت أنه ربما تأخر بسبب موعد مع إحداهن، لكن جميع الفتيات كُنَّ حاضرات.

كنت قد أمضيت فترة الظهيرة وأنا أسترجع حديثنا الأخير؛ حقًّا، أنا لا أجيد موضوع الصداقة هذا؛ ولا عجب أنني لم أكتسب أصدقاء قط.

ثم فجأة، تبددت تساؤلاتي عندما دخل ماكسون برفقة الملك. كان قد ارتدى بدلته مجددًا، لكنه ترك خصلات شعره مبعثرة بشكل جذاب. بدا عليهما الانشغال في الحديث وهما يمشيان، وأسرعنا جميعًا للوقوف احترامًا لهما.

بدا حديثهما مشحونًا بالحماس، إذ كان ماكسون يستخدم يديه لتوضيح فكرته، بينما يهز الملك رأسه بالموافقة، يجاري كلمات ابنه بتفهم مشوب بشيء من الانزعاج. وعندما وصلا إلى الطاولة الرئيسية، ربَّت الملك كلاركسون بقوة على ظهر ماكسون، وقد بدا على وجهه الحزم.

استدار الملك نحو الفتيات الجالسات على الطاولة، وسرعان ما لانت تعبيرات وجهه وقال: «آنساتي العزيزات، رجاءً اجلسن»، ثم انحنى ليقبِّل رأس الملكة قبل أن يأخذ مقعده.

أما ماكسون فقد ظل واقفًا وأعلن: «آنساتي، لديَّ إعلان مهم».

نظرنا إليه جميعًا، تُرى ما الذي سيخبرنا به؟

تابع ماكسون حديثه بصوت مفعم بالسلطة، سمعته يتحدث هكذا مرة واحدة فقط عندما أمر بفتح أبواب الحديقة لي، يبدو أكثر وسامة عندما يستخدم سلطته لهدف مهم.

«أعلم أنه تم إخباركن بأنكن ستحصلن على تعويض مقابل مشاركتكن في المنافسة. ومع ذلك، فقد تمت إعادة توزيع الموارد المالية مؤخرًا. لذا إذا كنتن من الطبقة الثانية أو الثالثة، فلن تتلقين بعد الآن أي تعويض مالي. أما اللاتي ينتمين إلى الطبقة الرابعة أو الخامسة، فسوف يستمر إرسال التعويض لهن، لكن بمعدل أقل من السابق».

سَرَت همسات بين الفتيات، بينما بدت الصدمة واضحة على وجوه بعضهن، وارتسم على وجه سيليستي غضب مكبوت؛ فالحصول على المال كان جزءًا من الصفقة. كان من السهل تخمين شعورها؛ بالنسبة لشخص اعتاد وفرة المال، ومن ثم كان الحرمان منه أشبه بإهانة شخصية، خاصة أنها علمت أن الأقل منها مكانة سيحصلن على شيء لا تحصل هي عليه.

واصل ماكسون حديثه: «أعتذر عن أي إزعاج، لكنني سأشرح التفاصيل كاملة في نشرة الغد. وأود أن أوضح أن القرار نهائي وغير قابل للتفاوض. وإذا شعرت أي منكن بأن هذا التغيير لا يناسبها وترغب في الانسحاب من المنافسة، فيمكنها مغادرة القصر بعد العشاء».

جلس ماكسون وبدأ يتحدث مع الملك مجددًا، لكن الملك كان منهمكًا بتناول عَشائه وبدا غير مهتم بما يقوله ماكسون. شعرت ببعض الإحباط لأن المال الذي ستتلقاه عائلتي سيصبح أقل، لكن على الأقل لن يتم قطعه تمامًا. حاولت التركيز على طعامي، لكن الأفكار حول هذا الإعلان استمرت تدور في رأسي. ولم أكن وحدي في ذلك؛ إذ بدأت الهمسات تنتشر عبر القاعة.

سألتْ تايني بصوت خافت: «ما الذي يعنيه بهذا، فيما تعتقدون؟».

اقترحت كريس: «لعله اختبار، أراهن أن هناك من بيننا من جئن فقط لأجل المال».

بينما كنت أستمع إليهما، لاحظتُ فيونا تلكز أوليفيا وتشير برأسها نحوي. أدرتُ وجهي سريعًا كي لا ترى أنني لاحظت شيئًا.

استمرت الفتيات في التخمين، لكن تركيزي كان منصبًّا على ماكسون. حاولت جذب انتباهه وشد أذني لكنه لم يلتفت نحوي.

لاحقًا، جلست أنا وماري في غرفتي بمفردنا. ولا أخفي أنني كنت متوترة إلى حد كبير، فهذه الليلة سأقابل جافريل وسائر الأمة ضمن فقرة خاصة بنا في النشرة. كما أن الفتيات الأخريات سيكُنَّ هناك أيضًا، يراقبن بعضهن وينتقدن بكلام لاذع.

أخذت أتململ بينما كانت ماري تدون بعض الأسئلة المحتملة التي قد تُطرح علينا، والتي تظن أن جمهور المشاهدين يودون معرفتها عنا.

بعض أسئلة ماري كانت: كيف أستمتع بوقتي في القصر؟ ما أكثر شيء رومانسي فعله ماكسون من أجلي؟ هل أفتقد عائلتي؟ هل قبَّلني ماكسون؟

نظرت إلى ماري باستنكار عندما طرحت عليَّ ذلك السؤال الأخير، كنت أجيب عن الأسئلة دون أن أمنح الأمر الكثير من التفكير. ورغم ذلك، كان واضحًا من ابتسامتها أنها كانت تسأل بدافع الفضول.

وفي النهاية أجبت: «لا! يا إلهي!»، وحاولت أن أبدو غاضبة، لكن الموقف كان مضحكًا فضحكتُ، ما جعل ماري أيضًا تضحك، قلت لها: «اذهبي ونظفي شيئًا!».

استمرت ماري تضحك، وقبل أن أطلب منها التوقف، اقتحمت آن ولوسي الغرفة وهما تحملان ما بدا أنه فستان داخل حافظة أنيقة.

بدت لوسي متحمسة على نحو لم أرَه منذ قدومي للمرة الأولى هنا، أما آن فبقيت صامتة وعلى وجهها نظرة ماكرة.

سألتهما بينما تتوقف لوسي أمامي وتنحني لي: «ما هذا؟».

أجابت لوسي: «لقد انتهينا من فستانك لحضور النشرة، آنستي».

رفعت حاجبيَّ في استغراب وقلت: «فستان جديد؟ لماذا لا نستخدم الفستان الأزرق الموجود في الخزانة؟ ألم تنهي العمل عليه للتو، لقد أحببته».

تبادلت الفتيات الثلاث النظرات، وكأنهن يتآمرن على شيء.

سألتهن: «ماذا فعلتن؟»، وأشرت إلى الفستان الذي كانت آن تعلقه قرب المرآة.

ردت آن: «نحن نتحدث مع جميع الخادمات الأخريات، آنستي، ونسمع الكثير عن تلك وذاك. نعلم أنكِ والآنسة جانيل، الوحيدتان اللتان حصلتما على أكثر من موعد مع سمو الأمير. ومن أحاديثنا، يبدو أن هناك رابطًا بينكما».

سألتها: «رابطٌ، كيف ذلك؟».

«مما سمعناه، السبب في إرسالها إلى المنزل أنها قالت بعض الأمور غير اللائقة عنك. لم يعجب ذلك الأمير وأقصاها على الفور».

«ماذا؟»، غطيت فمي بيدي، محاولة إخفاء صدمتي.

تنهدت لوسي بسعادة: «نحن متأكدات أنكِ المفضلة لديه، آنستي، معظم الناس يقولون ذلك».

«أعتقد أن معلوماتكن خاطئة». هزت آن كتفيها مع ابتسامة على وجهها، غير مبالية برأيي.

ثم تذكرت بداية المحادثة وسألت: «ما علاقة كل هذا بفستاني؟».

اقتربت ماري من آن وبدأت فتح سحَّاب الحافظة الطويل، كاشفة عن فستان أحمر مذهل أخذ يلمع في الضوء الخافت الذي يتسلل من النافذة.

همست وأنا مذهولة تمامًا: «يا للروعة، لقد تفوقتِ على نفسك يا آن».

أومأت برأسها اعترافًا بمدحي وقالت: «شكرًا آنستي، لقد عملنا جميعًا عليه».

«إنه جميل، لكن ما زلت لا أفهم علاقة هذا بما قلتِه».

سحبت ماري الفستان من الحافظة لتهويته، بينما تابعت آن: «كما قلت، يعتقد الكثير من الناس في القصر أنكِ المفضلة لدى الأمير، هو يقول أشياء لطيفة عنك ويفضل صحبتك على الأخريات. ويبدو أن الأخريات لاحظن ذلك».

سألتها: «ماذا تعنين؟».

«نحن نذهب إلى غرفة العمل لتنفيذ معظم مهام الحياكة الخاصة بفساتينك. هناك مخازن للمواد ومكان لصنع الأحذية، وخادمات المشارِكات الأخريات يذهبن إلى هناك أيضًا.
جميعهن طلبن فستانًا أزرق لهذه الليلة، ويظن الجميع أن السبب في ذلك أنك ترتدين هذا اللون تقريبًا كل يوم، والأخريات يحاولن تقليدك».

علقت لوسي: «هذا صحيح، الآنستان تيوزداي وناتالي لم ترتديا أيًّا من مجوهراتهما اليوم. تمامًا مثلما تفعلين».

وأضافت ماري: «وأغلب الآنسات يطلبن فساتين أبسط، مثل التي تُفضلينها».

«لكن هذا لا يفسر لماذا صنعتن لي فستانًا أحمر».

أجابت ماري: «لجعلِك مميزة، بالطبع».

«إذا كان يحبك حقًّا، فعليكِ أن تظلي مميزة، آنستي. لقد كنتِ كريمة جدًّا معنا، خاصة مع لوسي». نظرنا جميعًا إلى لوسي حينها، التي أومأت بالموافقة وعقَّبت: «أنتِ... أنتِ جديرة بأن تكوني الأميرة، ستكونين مذهلة».

بحثت عن وسيلة للهروب من كلامهن.. فدائمًا ما أكره أن أكون
محط الأنظار:«لكن ماذا لو كان الجميع على صواب؟ ماذا لو كان السبب في إعجاب
ماكسون بي أنني لا أبالغ مثل الجميع، ثم تخترن لي فستانًا كهذا
يفسد كل شيء؟!».أجابت آن بثقة كبيرة: «كل فتاة تحتاج إلى التميز بين الحين والآخر، ونحن نعرف ماكسون معظم حياته، سيعجبه هذا الفستان عليكِ، بكل تأكيد»، وشعرت بأنني لا يمكنني مجادلتهن أكثر من ذلك.
لم أعلم كيف أشرح لهن أن الرسائل التي أرسلها لي والوقت الذي قضاه معي مجرد أشياء نفعلها بحكم الصداقة بيننا. لم أستطع إخبارهن، إذ كان مِن شأن ذلك أن يحبط عزيمتهن، كما أنني بحاجة للحفاظ على المظاهر ما دمتُ أرغب في البقاء، وكنت بحاجة حقًّا للبقاء هنا.

تنهدت في استسلام: «حسنًا، دعونا نجربه». أخذت لوسي تتقافز بحماس حتى ذكَّرتها آن بأنه ينبغي لها ألا تفعل ذلك. ارتديت الفستان الحريري وقمن بخياطة بعض الأماكن التي لم ينتهين منها كليًّا. كانت يد ماري الماهرة تمسك شعري وتُعدِّله في تصفيفات مختلفة لترى أيها يناسب الفستان بشكل أفضل، وبعد نصف ساعة صرت جاهزة.
تم ترتيب المسرح بشكل مختلف قليلًا، الليلة من أجل فقرتنا الخاصة. كانت كراسي العائلة الملكية على الجانب، كما هو معتاد، وكانت مقاعدنا على الجانب المقابل أيضًا. لكن المنصة كانت خارج المركز، ما جعل المساحة مركَّزة على كرسيين طويلين، وحين لمحت
ميكروفون مستندًا إلى أحد الكرسيين لاستخدامه أثناء التحدث إلى جافريل، شعرت بغثيان من التوتر بمجرد التفكير في الأمر.

وكما أخبرتني خادماتي بالفعل، كانت الغرفة مليئة بعدة فساتين بكل درجات اللون الأزرق. بعضها كان يميل إلى الأخضر، والبعض الآخر إلى البنفسجي، لكن كان من الواضح أن الأزرق كان اختيار الأغلبية. وشعرت بعدم الارتياح على الفور. لمحت نظرات سيليستي وقررت أن أبقى بعيدًا عنها إلى أن أضطر للجلوس. مرت كريس وناتالي بي، بعد أن تحققن من مكياجهن للمرة الأخيرة. كانتا تبدوان متضايقتين قليلًا، على الرغم من أنه من الصعب قراءة تعبيرات ناتالي. على الأقل كانت كريس تبدو مختلفة قليلًا عن باقي الحشد. كان فستانها الأزرق يتدرج وصولًا إلى اللون الأبيض، كما لو أن خيوطًا رقيقة من الجليد كانت تتداخل وتنساب إلى الأسفل.

قالت بطريقة كانت أقرب إلى الاتهام منها إلى الإطراء: «تبدين مذهلة يا أميريكا».

رددت عليها: «شكرًا، فستانك رائع».

مسحت بيديها على فستانها، وكأنها تفرد تجاعيد لم تكن هناك من الأساس وقالت: «نعم، أعجبني أيضًا».

مرّت ناتالي بيدها على أحد كُمي فستاني الطويلين وقالت: «ما نوع هذا القماش؟ سيشع تحت الأضواء».

قلت وأنا أهز كتفي: «في الحقيقة، ليست لديَّ فكرة. نحن لا نحصل على الكثير من الأشياء الجيدة كفتيات من الطبقة الخامسة»، نظرت إلى القماش وتذكرت أن لديَّ على الأقل فستانًا آخر مصنوعًا من نوع القماش نفسه، لكنني لم أهتم بمعرفة اسمه.

فجأة ناداني صوت: «أميريكا!».

رفعت رأسي لأرى سيليستي تقف بجواري مبتسمة.

«سيليستي».

«هل يمكنكِ مرافقتي للحظة؟ أحتاج إلى بعض المساعدة».

ودون انتظار إجابة مني، جذبتني بعيدًا عن كريس وناتالي لننعطف خلف الستار الأزرق الثقيل الذي كان يمثل خلفية أستديو النشرة.

أمرتني وهي تفتح سحَّاب فستانها: «اخلعي فستانك».

رددت عليها وعلامات الاستغراب والصدمة تجتاح وجهي: «ماذا؟!».

قالت وهي لا تزال تحاول خلع ملابسها: «أريد فستانك، اخلعيه. أُف! اللعنة على هذا السحَّاب».

قلت لها: «لنِ أخلع فستاني»، وهممت بالرحيل، لكنني لم أكن قد ابتعدت كثيرًا حينما دفنت سيليستي أظافرها في ذراعي وجذبتني إلى الوراء.

«آه!» صرخت وأنا أمسك ذراعي. لا بد أن ذلك سيترك علامات، وكنت آمل ألا يكون هناك دم.

كررت بتغطرس: «اصمتي واخلعي الفستان الآن».

وقفت هناك بلا تعبير على وجهي ورفضت التحرك، كان على سيليستي أن تعتاد عدم كونها مركز اهتمام إيليا.

وعندها أعلنت بكل برود: «يمكنني أن أخلعه لك».

قلت، وأنا أغطي صدري بيدي: «لست خائفة منك، هذا الفستان صُنع من أجلي وسأرتديه. في المرة التالية التي تختارين فيها ملابسك، ربما يتعين عليكِ محاولة أن تكوني نفسك بدلًا من أن تقلديني. أوه، انتظري، لكن ربما حينها سيرى ماكسون حقيقتك الحقيرة ويرسلكِ إلى المنزل، أليس كذلك؟».

ودون أن تتردد لثانية، رفعت يدها ومزقت أحد كمي فستاني ثم ابتعدت. تنهدت بغضب لكنني كنت مذهولة جدًّا لدرجة أنني لم أتمكن من فعل أي شيء. نظرت إلى الأسفل ورأيت قطعة قماش ممزقة تتدلى بشكل مؤسف أمامي. سمعتُ سيلفيا تنادي الجميع ليأخذن مقاعدهن، فمشيت بجانب الستار بأكبر قدر من الشجاعة التي استطعت جمعها.

كانت مارلي قد حفظت لي مقعدًا بجانبها، ورأيت وجهها مصدومًا عندما ظهرت أمامها.

همست لي: «ماذا حدث لفستانك؟».

شرحت لها وقد تملَّكني الاشمئزاز: «سيليستي السبب».

كانت إيميكا وسامانثا تجلسان أمامنا، فاستدارتا عند سماع ذلك.

سألتني إيميكا: «هل مزقتْ فستانكِ؟».

«نعم».

توسلت لي سامانثا وصوتها مفعم بالضيق: «اذهبي إلى ماكسون واشتكيها. تلك الفتاة كابوس حقيقي».

تنهدت وقلت: «أعلم أنها مزعجة، سأحدِّثه في المرة التالية التي أراه فيها».

لكن سامانثا بدت حزينة وهي تقول: «ومن يدري متى سيكون ذلك؟ كنت أظن أننا سنقضي وقتًا أطول معه».

وجَّهتني مارلي: «أميريكا، ارفعي ذراعك» وبإتقان، لملمت الكم الممزق وحشرته في الداخل، بينما عملت إيميكا على إزالة الخيوط الزائدة، وبفضلهما صار من الصعب أن يلاحظ أحد ما حدث للفستان. أما العلامات التي خلفتها أظافر سيليستي، فلحسن الحظ كانت على ذراعي اليسرى، بعيدة عن الكاميرا.

اقترب الموعد، وكان جافريل ينظر في أوراقه عندما دخلت العائلة الملكية أخيرًا. كان ماكسون يرتدي بدلة زرقاء داكنة، ويزين ياقته بدبوس يحمل الشعار الوطني. بدا واثقًا وهادئًا.

قال ماكسون وهو يبتسم: «مساء الخير، آنساتي».

انسابت الأصوات بالردود المتناغمة، فقالت إحداهن: «جلالتك» بينما قالت أخرى: «سموك» ترحيبًا به.

تابع ماكسون مبتسمًا: «لتعلمن فقط، سأبدأ بإعلان قصير ثم سأقدم جافريل. إنه تغيير لطيف، فهو دائمًا ما يقدمني!» ثم ضحك ضحكة خفيفة، تبعتها ضحكاتنا جميعًا: «أعلم أن بعضكن يشعرن بالتوتر قليلًا، لكن لا داعي لذلك، كنَّ فقط على طبيعتكن، فالناس يرغبون في التعرف عليكن». تقابلت عينا كل منا بين الحين والآخر بينما كان يتحدث. لكنها كانت نظرات عابرة ولم أتمكن من قراءة شيء من تعبيراته. بدا أنه لم يلاحظ ما حدث للفستان، لكن خادماتي سيشعرن بخيبة الأمل عند معرفة ما حدث له.

وقبل أن يصعد إلى المنصة، استدار وقال لنا بابتسامة: «حظًّا سعيدًا».

كان هناك شيء يحدث، شعرت بذلك بوضوح، وكنت واثقة بأن الإعلان الذي سيقدمه ماكسون مرتبط بما قاله لنا بالأمس. ومع ذلك لم أتمكن من فك رموز ما يعنيه بالضبط. شتتني لغز ماكسون الغامض، ما جعلني أقل توترًا. وجدت نفسي أستعيد هدوئي بينما كانوا يعزفون النشيد الوطني، والكاميرا مسلطة على وجه ماكسون. لطالما شاهدت النشرة منذ أن كنت طفلة، ولم يسبق لماكسون أن ألقى خطبة بهذه الطريقة المباشرة. تمنيت لو أتيحت لي الفرصة لأتمنى له التوفيق، كما فعل هو معنا.

ابتسم وهو يبدأ حديثه: «مساء الخير، أيها السيدات والسادة. أعلم أن الليلة استثنائية لنا جميعًا. الليلة، ستتاح للبلاد أخيرًا فرصة التعرف على النساء الخمس والعشرين المتبقيات

في مسابقة الاختيار. لا يمكنني أن أعبّر بما يكفي عن حماسي لأن أقدمهن لكم. أنا واثق بأنكم ستوافقونني الرأي بأن أي واحدة منهن ستكون قائدة رائعة وأميرة مستقبلية تستحقها إيليا».

توقف لحظة قبل أن يستطرد: «لكن قبل أن نبدأ، أود أن أشارككم مشروعًا جديدًا أعمل عليه، وهو ذو أهمية شخصية كبيرة لي. بعد لقائي هؤلاء الآنسات الرائعات، انفتح أمامي عالم جديد؛ عالم خارج جدران هذا القصر لم أعتد رؤيته كاملًا. لقد كشفن لي عن جوانب هذا العالم، عن جماله الرائع، وعن المظالم التي تحمّلها البعض. ومن خلال الحديث معهن، استيقظت على حقيقة لم أكن أدركها من قبل. لقد أنرن لي الطريق نحو معاناة الفئات الأقل حظًّا في مجتمعنا. وأنا مصمم على إحداث تغيير بشأن ذلك».

كنت مندهشة من حديثه، ماذا يقصد بذلك؟

«سيستغرق الأمر ثلاثة أشهر على الأقل لنتمكن من إعداد هذا البرنامج بالشكل المناسب، لكن مع بداية العام الجديد، سيكون لدينا دعم عام للطعام متوافر في كل مكتب من مكاتب خدمات المقاطعات. سيتمكن أي شخص من الطبقات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة من التوجه إلى هناك في أي مساء للحصول على وجبة مجانية ومغذية. وأود أن أوضح أن هؤلاء الآنسات الجالسات أمامكم، اليوم، قد ضحين ببعض أو بكل تعويضاتهن للمساعدة في تمويل هذا البرنامج الحيوي، ورغم أننا لا نستطيع ضمان استمرار هذا الدعم للأبد، فإننا سنبذل قصارى جهدنا لإبقائه لأطول فترة ممكنة».

حاولت كبح شعور الامتنان الذي اجتاحني، لكن لم أستطع منع دموعي. تذكرت أن مكياجي قد يتأثر، لكن هذا القلق بدا تافهًا أمام قوة وعاطفة هذه اللحظة.

«أشعر بأنه لا يمكن للمرء أن يصبح قائدًا حقيقيًّا إذا ترك الناس جياعًا. معظم سكان إيليا يتألفون من هذه الطبقات الأدنى، وقد تجاهلنا احتياجاتهم لفترة طويلة جدًّا. لهذا السبب قررت أن أمضي قدمًا في هذا المشروع وأدعو الجميع للانضمام إليّ. يا أفراد الطبقات

الثانية والثالثة والرابعة... الطرق التي تقودون عليها لا تمهد نفسها، ومنازلكم لا تُنظف بالسحر. هذه هي فرصتكم لرد الجميل، للتعبير عن امتنانكم بالتبرع في مكتب خدمات المقاطعات المحلي لديكم».

توقف قليلًا ثم أضاف: «لقد أنعم الله عليكم منذ أن ولدتم في هذا العالم، وحان الوقت للاعتراف بهذه النعمة. سأوافيكم بمزيد من التحديثات مع تقدم المشروع، وأشكركم جميعًا على انتباهكم. لكن الآن، لننتقل إلى السبب الحقيقي الذي جمعَنا هنا هذا المساء. آنساتي وسادتي، أقدم لكم السيد جافريل فاداي!».

انطلق تصفيق متقطع من جميع الحاضرين في الغرفة، لكن من الواضح أن إعلان ماكسون لم يلقَ الحماس نفسه لدى الجميع. كان الملك يصفق، لكن بلا حماسة تُذكر. أما الملكة، فبدت مفعمة بالفخر، في حين كان المستشارون منقسمين حول ما إذا كانت الفكرة صائبة أم لا.

قال جافريل وهو يتقدم نحو المنصة: «شكرًا جزيلًا على هذه المقدمة الرائعة، سموك! لقد كنت بارعًا جدًّا. إذا لم تنجح في منصب الأمير، فعليك أن تفكر جديًّا في العمل بمجال الترفيه!».

ضحك ماكسون بصوت عالٍ وهو في طريقه إلى مقعده. كانت الكاميرات الآن مركزة على جافريل، لكنني استمررت في النظر إلى ماكسون ووالديه، دون أن أفهم سبب التباين في ردود فعلهم.

«شعب إيليا العزيز، لدينا مفاجأة ساحرة لكم، الليلة! هذا المساء، سنأخذكم في رحلة لاكتشاف المزيد عن كل واحدة من هؤلاء الشابات المذهلات. نعلم أنكم متحمسون لمعرفة تفاصيل حياتهن والتقدم في علاقاتهن مع أميرنا ماكسون. لذا، الليلة... سننتقل إلى الحوار معهن مباشرة! والبداية ستكون مع» - توقف للحظة بينما قلّب بطاقاته - «الآنسة سيليستي نيوسوم من كليرمونت!».

نهضت سيليستي من مقعدها في الصف العلوي ونزلت الدرجات بخفة وأناقة وكأنها تسير على منصة عرض أزياء. عندما وصلت إلى جافريل، انحنت لتقبِّل وجنتيه قبل أن تجلس.

كانت ردودها متوقعة، وكذلك ردود باريل، فكلتاهما حاولت التصرف بإغراء، بإمالة أجسادهن بغنج ليتم التقاط صور لهما في وضعيات مثيرة مختلفة، وبدا الأمر كله مصطنعًا وزائفًا.

وبينما كنت أتابع وجهيهما على الشاشات، وجدتهما بين الحين والآخر تنظران إلى ماكسون وتغمزان له. وعندما حاولت باريل لعق شفتيها بأسلوب عدَّته مغريًا، تبادلتُ نظرة سريعة مع مارلي قبل أن ننظر بعيدًا كي لا نضحك.

كانت الفتيات الأخريات أكثر هدوءًا وتحفظًا، كان صوت تايني ناعمًا وخافتًا، وبدا كأنها تنكمش على نفسها من الخجل مع تقدم المقابلة. لكنني كنت أعرف أنها لطيفة، وتمنيت ألا يستبعدها ماكسون لمجرد أنها ليست متحدثة بارعة أمام الجمهور. أما إيميكا فكانت واثقة من نفسها، وكذلك كانت مارلي. لكن الفارق بينهما كان واضحًا في نبرة الصوت، إذ كان صوت مارلي مفعمًا بالحماس والإثارة، يتصاعد مع كل كلمة تخرج من شفتيها.

طرح جافريل أسئلة متنوعة، لكن كان هناك سؤالان يكررهما على الجميع: «ما رأيك في الأمير ماكسون؟» و «هل أنتِ الفتاة التي وبخته؟». لم أكن متحمسة لفكرة إخبار الجميع بأنني وبَّخت الملك المستقبلي. لحسن الحظ، وعلى حد علم الجميع، كنت قد تصرفت بهذا الشكل مرة واحدة فقط.

كانت كل فتاة تفخر بقول إنها ليست الفتاة التي وبخته، مع إضافة تعليق يمتدح ماكسون. كانت كلمة «لطيف» الأكثر شيوعًا على ألسنتهن. أما سيليستي فخرجت عن المألوف وقالت إنه وسيم، بينما وصفته باريل بأنه قوي وذو هدوء مخيف، وهو ما بدا لي وصفًا غريبًا. ثم سأل جافريل بعض الفتيات عما إذا كان ماكسون قد قبَّلهن أم لا، فاحمرت وجوههن جميعًا

وقلن لا. بعدما جاء الرد بالنفي لثالث أو رابع مرة، التفت جافريل إلى ماكسون مندهشًا وقال: «ألم تقبِّل أي واحدة منهن حتى الآن؟».

ضحك ماكسون وقال: «لقد جئن هنا منذ أسبوعين فقط! أي نوع من الرجال تظنني؟»، ورغم ضحكته، لاحظت بعض التوتر في طريقة جلوسه وتساءلت هل سبق له أن قبَّل فتاة من قبل.

مع انتهاء سامانثا من حديثها عن تجربتها الرائعة هنا، سمعت جافريل ينادي اسمي. صفقت الفتيات الأخريات لي بينما أقف، مثلما فعلن مع الجميع. ابتسمتُ لمارلي بتوتر قبل أن أركز على خطواتي. وبمجرد أن جلست، وجدت من السهل النظر مباشرة إلى ماكسون من خلف كتف جافريل. غمز لي عندما أمسكت الميكروفون، وفجأة شعرت بسلام داخلي. أدركت حينها أنني لست بحاجة إلى كسب إعجاب أحد.

صافحت جافريل وجلست في مواجهته. الآن وأنا على مقربة منه، تمكنت أخيرًا من رؤية الشارة الصغيرة على طية سترته بوضوح، حيث لم تظهر تلك التفاصيل عبر الكاميرات. حين دققت النظر، رأيت أنها لم تكن مجرد خطوط ومنحنيات عشوائية، بل كان هناك حرف X صغير محفور في المنتصف، ما جعل الشكل يبدو أشبه بنجمة، كان منظرها جميلًا.

سألني جافريل: «أميريكا سينجر، اسم مثير للاهتمام. هل هناك قصة وراء تسميتك بهذا الاسم؟».

أجبته: «نعم، عندما كانت أمي حاملًا بي، كنت أركل كثيرًا، فقالت إنني كنت أقاتل حتى قبل أن أولد. لذا أطلقت عليَّ اسم البلد الذي ناضل بشجاعة للحفاظ على وحدته. قد يبدو الأمر غريبًا، لكنها كانت مُحِقة... فنحن نواصل القتال منذ ذلك الحين».

ضحك جافريل وعلق: «يبدو أن والدتكِ امرأة ذات عزيمة قوية».

هززت رأسي مؤكِّدة: «هي كذلك، وأعتقد أنني ورثت عنها الكثير من عنادها».

«إذن أنتِ عنيدة؟ هل هذا يعني أن لديكِ جانبًا حادًّا في طباعك؟».

وبينما كان يتحدث، لاحظت ماكسون وهو يضع يده على فمه ليخفي ضحكته.

«نعم، أحيانًا».

«إذن، هل يمكن أن تكوني أنتِ من صرخت في وجه أميرنا؟».

تنهدت: «نعم، أنا مَن فعلت ذلك. والآن أنا متأكدة من أن والدتي على وشك أن تُصاب بنوبة قلبية».

التفت ماكسون إلي جافريل وهتف: «اجعلها تحك القصة كاملة!».

هز جافريل رأسه بسرعة وطلب مني: «آه! أخبرينا بالقصة كاملة».

حاولت أن أنظر بحدة لماكسون لأنه وضعني في هذا الموقف، لكن طرافة الحكاية لم تمكِّني من ادعاء الجدية.

بدأت أحكي: «شعرت بشيء من الخوف من الأماكن المغلقة في الليلة الأولى، وكنت في أمسِّ الحاجة للخروج، لكن الحراس لم يسمحوا لي بالمرور. كنت في الواقع على وشك أن يُغشى عليَّ بين ذراعي أحد الحراس، لكن الأمير ماكسون حضر وأمرهم بفتح الأبواب لي».

علق جافريل وهو يميل برأسه : «هذا لطف منه».

«نعم، ثم تبعني ليطمئن عليَّ... لكنني كنت متوترة؛ لذا عندما تحدث إليَّ، انتهى بي الأمر إلى اتهامه بالتفاخر والسطحية».

انفجر جافريل ضاحكًا، ونظرت إلى ماكسون وراءه فوجدته يضحك هو الآخر. شعرت بالإحراج أكثر عندما رأيت الملك والملكة يضحكان أيضًا. لم ألتفت إلى الفتيات، لكنني

سمعت بعضهن يضحكن أيضًا. كان هذا جيدًا، ربما الآن سيتوقفن عن رؤيتي كتهديد لهن. في النهاية، أنا مجرد فتاة يراها ماكسون مسلِّية.

سأل جافريل بنبرة أكثر جدية، هذه المرة: «وهل سامحك؟».

هززت كتفيَّ وقلت: «نعم، مع أن ذلك كان غريبًا منه».

عاد جافريل إلى أسئلته بصفتة مذيعًا: «حسنًا، بما أنكما الآن على وفاق، فما الأنشطة التي تقومان بها معًا؟».

«عادةً ما نذهب في نزهات حول الحديقة، هو يعلم أنني أحب تلك الأماكن، ونجلس ونتحدث فقط».

كان ذلك مثيرًا للشفقة مقارنة بما قالته بعض الفتيات الأخريات. حيث ذهبن معه إما في رحلة إلى المسرح أو الصيد أو ركوب الخيل، كانت أنشطة رائعة مقارنةً بما قلته.

حينها أدركت السبب وراء لقاءاته السريعة مع الفتيات، طوال الأسبوع الماضي. لقد كان يمنحهن شيئًا ليتحدثن عنه مع جافريل. بدا الأمر غريبًا أنه لم يخبرني بأي شيء عن ذلك، لكن على الأقل فهمت الآن سبب ابتعاده.

«يبدو هذا باعثًا على الاسترخاء، هل تقولين إن الحديقة هي ما تفضلينه في القصر؟».

ابتسمت وقلت: «ربما. لكن الطعام هنا رائع أيضًا، لذا...».

ضحك جافريل مجددًا، وقال: «أنتِ آخر فتاة متبقية من الطبقة الخامسة في المسابقة، أليس كذلك؟ هل تعتقدين أن هذا يؤثر على فرصكِ في أن تصبحي الأميرة؟».

خرجت الكلمة من شفتيَّ دون تفكير: «لا!».

بدا جافريل مسرورًا بالحماس المفاجئ الذي حملته إجابتي وقال: «لديكِ عزيمة قوية! إذن، هل تعتقدين أنكِ ستتفوقين على جميع الأخريات وتصلين إلى النهاية؟».

تريثت للحظة، ثم أجبت: «لا، لم أقصد ذلك. لا أعتقد أنني أفضل من الفتيات الأخريات؛ كلهن مذهلات بطريقتهن. لكن... لا أعتقد أن ماكسون من النوع الذي سيرفض شخصًا بسبب طبقته».

ساد الصمت فجأة القاعة وسمعت شهقات الجمهور. راجعت ما قلته للتو ولم أستغرق وقتًا طويلًا لأدرك خطئي، لقد نطقت باسمه «ماكسون» ببساطة، دون أن أضيف كلمة «الأمير». كان ترديد اسمه بهذا الشكل، في حديث خلف الأبواب المغلقة مع الفتيات الأخريات، أمرًا قد يمر مرور الكرام، لكن نداءه باسمه بهذه الطريقة في العلن كان خارجًا كليًّا عن السياق الرسمي.

وقد فعلت ذلك على الهواء مباشرة.

نظرت إلى ماكسون لأرى إن كان غاضبًا مني، لكنه كان يبتسم بهدوء. فهمت أنه لم يكن منزعجًا لكنني شعرت باحمرار وجنتيَّ من الإحراج.

«آه، يبدو أنك تعرَّفتِ على أميرنا عن قرب. أخبريني، ما رأيكِ بماكسون؟».

كان لديَّ قائمة من الردود الجاهزة التي فكرت بها أثناء انتظاري دوري. كنت أنوي المزاح حول ضحكته أو التعليق على اللقب الغريب الذي كان يأمل أن تناديه به زوجته. كنت أظن أن الكوميديا هي الطريقة المثلى لتخفيف التوتر وإنقاذ الموقف. لكن عندما رفعت عيني لألقي أحد تعليقاتي الساخرة، رأيت وجه ماكسون يتمنى أن يعرف حقًّا إجابتي.

لم يكن الوقت مناسبًا للسخرية، وها قد أتيحت لي الفرصة لأفصح عما بدأ يتضح في قلبي منذ أن أصبحنا صديقين. لم أستطع المزاح بشأن الشخص الذي أنقذني من الغرق في

ذكريات قلبي المحطم بالمنزل، الذي أرسل لعائلتي صناديق من الحلوى، والذي هرع إليَّ قلقًا بمجرد أن طلبت وجوده.

قبل شهر، كنت أنظر إليه على شاشة التلفاز وأرى رجلًا متصلبًا، صعب المنال، ومملًّا، شخصًا لا يمكنني تخيل أي فتاة تقع في حبه. وعلى الرغم من أنه لم يكن يشبه قط الشخص الذي أحببته، فإنه يستحق أن يكون لديه شخص يحبه في حياته.

«ماكسون شرايف هو تجسيد لكل ما هو جيد ونبيل، سيكون ملكًا رائعًا بحق. إنه يمنح الفتيات الحرية في ارتداء الجينز، بدلًا من الفساتين، ولا يغضب إذا أخطأ شخص لا يعلمه جيدًا في مناداته بشكل غير رسمي»، ثم نظرت إلى جافريل بنظرة عتاب لطيفة، فابتسم لي، في حين بدا ماكسون خلفه مهتمًّا أكثر بكلماتي.

«من ستتزوجه ستكون الأكثر حظًّا في العالم. وبغض النظر عما يحدث لي، سأظل أَعدُّ نفسي محظوظة لأنني حظيت بشرف معرفته».

رأيت ماكسون متأثرًا، فخفضت بصري بخجل.

قال جافريل: «أميريكا سينجر، شكرًا جزيلًا لكِ»، ثم تقدم ليصافحني وقال: «التالية هي الآنسة تالولا بيل».

لم أستطع التركيز على أي كلمة قالتها الفتيات من بعدي. كنت أحدق إلى المقعدين أمامي، ذهني مشغول بالكلمات التي خرجت مني خلال المقابلة. لم أكن أعتزم مطلقًا أن تصبح المقابلة شخصية إلى هذا الحد. جلست أسترجع كلماتي مرارًا، غير قادرة على النظر إلى ماكسون بعد كل هذا.

سمعت طَرَقات على الباب في نحو العاشرة مساء. قفزت لفتح الباب بسرعة، فوجدت ماكسون يقف أمامي متذمرًا.

بادرني: «من المفترض أن تكون هنا خادمة معكِ في هذا الوقت من الليل».

«ماكسون! أنا آسفة جدًّا، لم أقصد أن أناديك بهذا الاسم أمام الجميع. كان ذلك تصرفًا غبيًّا جدًّا مني!».

دخل الغرفة وأغلق الباب خلفه وقال: «هل تعتقدين أنني غاضب منكِ؟ أنتِ تنادينني باسمي كثيرًا يا أميريكا، كان من الطبيعي أن تخطئي وتناديني به أمام الجميع يومًا ما. كنت فقط أتمنى لو حدث ذلك في تجمع أكثر خصوصية»، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة، واستطرد: «لكن لا تقلقي، لا ألومكِ على الإطلاق».

«حقًّا؟».

«أجل بالطبع».

«آه! شعرت بحمقٍ لا مثيل له، الليلة، لا أستطيع أن أصدق أنك جعلتني أحكي تلك القصة!»، ولكزتُ ذراعه بلطف.

«كان ذلك أفضل جزء في الليلة بأكملها! أمي كانت مستمتعة حقًّا. في زمانها، كانت الفتيات أكثر تحفظًا حتى من تايني، وأنتِ هنا تصفينني بالسطحية ... لم تستطع التوقف عن الضحك».

قلت لنفسي: يا لحظِّي الرائع، الآن الملكة تعتقد أنني غير ملائمة أيضًا. قطعنا غرفتي وانتهى بنا المطاف على الشرفة. كانت هناك نسمة دافئة تحمل رائحة آلاف الزهور في الحديقة نحونا.

ألقى القمر المكتمل ضوءه الفضي علينا، ما أضاف بريقًا ساحرًا إلى الأضواء المحيطة بالقصر، وجعل وجه ماكسون يبدو كأنه محاط بهالة غامضة.

قلت بينما أمرر أصابعي على السور: «حسنًا، يسعدني رؤيتك مستمتعًا».

قفز ماكسون ليجلس على السور، وهو يبدو عليه الاسترخاء وقال: «أنتِ دائمًا مسلِّية، اعتادي ذلك».

أظنه يود أن يكون طريفًا.

تابع وقد بدا مترددًا: «حسنًا... بشأن ما قلتِه سابقًا...».

أدرت عينيَّ وقلت: «أي جزء تقصد؟ الجزء الذي انتقدتك فيه؟ أم حديثي عن استبداد والدتي؟ أم قولي إن الطعام هو ما يحفزني؟».

ضحك وأوضح: «أقصد الجزء الذي تحدثتِ فيه عني... كوني شخصًا جيدًا».

توقفت للحظة وقلت: «أوه، وماذا في ذلك؟».

فجأة، بدت الكلمات التي خرجت مني بثقة في وقت سابق محرِجة، مقارنة بأي شيء آخر قلته. خفضت رأسي وبدأت أعبث بطرف فستاني.

«أُقدِّر أنكِ حاولتِ أن تجعلي الأمر يبدو صادقًا، لكن لم يكن عليكِ المبالغة».

رفعت رأسي فجأة، مذهولة من كلماته. كيف يمكنه أن يعتقد ذلك؟

«ماكسون، لم يكن ذلك من أجل الفقرة. لو كنتَ سألتني قبل شهر عن رأيي الصادق فيك، لكان مختلفًا تمامًا. لكن الآن أنا أعرفك، وأعرف حقيقتك. وأنت بالفعل مثل ما قلته عنك، بل أكثر من ذلك».

ساد الصمت للحظة، لكنني رأيت ابتسامة صغيرة ترتسم على وجهه.

تحدَّث أخيرًا وقال: «شكرًا لكِ».

«لا داعي للشكر».

تنحنح وقال: «سيكون محظوظًا هو أيضًا»، واقترب مني حيث كنت أقف.

«ماذا تعني بذلك؟».

تحدَّث ماكسون بنبرة تأكيد: «أقصد حبيبك، عندما يعود إلى رشده ويتوسل إليكِ لتعودي إليه مرة أخرى».

لم أستطع منع نفسي من الضحك، تلك الفكرة بدت بعيدة تمامًا عما أفكر فيه.

«هو ليس حبيبي الآن، وقد أوضح تمامًا أنه أنهى علاقتنا»، لكن حتى وأنا أتحدث، لم أستطع تجاهل النبرة الضئيلة من الأمل التي تسربت إلى صوتي.

«مستحيل، من المؤكد أنه شاهدكِ الآن على التليفزيون ووقع في غرامك من جديد. لكن في رأيي، أنتِ أفضل بكثير من أن تكوني مع هذا الأحمق»، قالها ماكسون بقليل من الضجر، وكأنه شهد هذا السيناريو يتكرر مليون مرة.

ثم رفع صوته قليلًا واستطرد: «بالمناسبة! إذا لم تريدي مني أن أُغرم بكِ، فيجب عليكِ التوقف عن الظهور بهذا الجمال. أول شيء سأفعله غدًا أنني سأطلب من خادماتك أن يخطن لكِ أكياس البطاطس لارتدائها».

ضحكتُ وضربت ذراعه: «اصمت يا ماكسون».

قال ممازحًا وهو يحاول ادعاء الشفقة: «أنا لا أمزح، أنتِ جميلة جدًّا لدرجة أن ذلك لا يصب في مصلحتك. بمجرد أن تغادري القصر، سنضطر إلى إرسال بعض الحراس معكِ، لن تتمكني من إنقاذ نفسك بمفردكِ يا مسكينة».

تنهدت: «لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك، لا يمكن للمرء أن يتحكم في كونه وُلد جميلًا إلى درجة الكمال»، ثم رفعت يدي وبدأت ألوح بها أمام وجهي، وكأن الجمال الذي أمتلكه كان أمرًا مرهقًا.

«لا، لا أعتقد أنكِ تستطيعين التحكم في ذلك».

ضحكت، لكنني لم ألحظ للحظة أن ماكسون لم يجد ذلك مضحكًا.

نظرت إلى الحديقة أمامي، ثم لمحت بطرف عيني أنه كان ينظر إليَّ.

كان وجهه قريبًا جدًّا مني.

استدرت وكنت على وشك أن أسأله عما ينظر إليه، فاندهشت عندما وجدت وجهه أقرب مما كنت أتخيل، وكأنه على وشك أن يقبّلني.

فوجئت أكثر عندما قام بذلك بالفعل!

تراجعت بسرعة وخطوت خطوة للخلف، فارتبك ماكسون بدوره وتراجع خطوة هو الآخر.

تمتم وهو يشعر بالخجل: «آسف».

همست له وأنا مندهشة: «ماكسون، ماذا تفعل؟».

كرر: «آسف»، ثم أدار لي ظهره قليلًا، وكان واضحًا عليه الخجل.

غطيت فمي بيدي وهمست: «لماذا فعلت ذلك؟».

قال: «فقط... بشأن ما قلتهِ سابقًا، ثم الطريقة التي بحثتِ عني بها البارحة... الطريقة التي تصرفتِ بها... ظننت أنه ربما تغيرت مشاعرك، وأنا معجب بكِ، ظننت أنكِ لاحظتِ ذلك»، ثم استدار ونظر لي وقال: «و... أوه، هل أسأت التصرف؟ لا تبدين سعيدة على الإطلاق».

حاولت أن أغير التعبير الذي ظهر على وجهي لأن ماكسون بدا مُحرجًا تمامًا.

«أنا آسف جدًّا، لم أقبّل فتاة من قبل. لا أعرف ما الذي أفعله، أنا فقط... أنا آسف يا أميريكا».

تنهد بعمق، ومرر يده عبر شعره عدة مرات قبل أن يستند إلى السور.

لم أتوقع ذلك، لكن دفئًا غريبًا سرى في صدري.

لقد أراد أن تكون قُبلته الأولى لي.

فكرت في ماكسون الذي عرفته حتى الآن، الرجل الذي لا يبخل بالمجاملات، الرجل الذي تنازل لي عن مكاسب رهان كنت قد خسرته، الرجل الذي سامحني عندما آذيته جسديًّا وعاطفيًّا. ومع ذلك، ورغم كل شيء، ظل بجانبي. أدركت فجأة أنني لا أمانع هذا على الإطلاق.

نعم، لا يمكنني إنكار مشاعري تجاه أسبن، تلك المشاعر القديمة لا تزال باقية في مكان ما بداخلي. لكن إذا كان الطريق إلى أسبن مغلقًا أمامي، فما الذي يمنعني من السير في طريق جديد مع ماكسون؟ لا شيء يمنعني سوى أفكاري السابقة عنه، والتي تبين لي أنها كانت خاطئة تمامًا.

اقتربت منه ومسحت بيدي على جبينه.

«ما الذي تفعلينه؟».

«أمحو تلك الذكرى، أعتقد أننا يمكننا القيام بذلك بشكل أفضل». أنزلت يدي واتكأت على السور بجانبه، لكنني وليت وجهي نحو غرفتي. لم يتحرك ماكسون... لكنني رأيته يبتسم.

همس: «أميريكا، لا أعتقد أنك تستطيعين تغيير التاريخ»، لكن ملامحه كانت مفعمة بالأمل.

«بلى، يمكننا تغييره. إلى جانب ذلك، مَن سيعرف عن هذا الأمر غيرك وغيري؟».

نظر ماكسون إليَّ للحظة، لا بد أنه كان يتساءل إن كان ما قلته مقبولًا حقًّا. ومع ذلك، بدأت الثقة تتسلل إلى ملامحه ببطء بينما كان ينظر في عينيَّ.

بقينا على هذه الحال للحظة، قبل أن أتذكر ما الذي قلته للتو.

همست له: «لا يمكن لأحد أن يهرب من حقيقة كونه وُلد جميلًا إلى درجة الكمال».

اقترب مني وأحاط خصري بذراعه برفق، ما جعلَنا نتقابل وجهًا لوجه. لامس أنفه أنفي وانسابت أصابعه على وجنتي بخفة، وكأنني زجاج يخشى أن يكسره.

همس: «لا، لا أعتقد أنكِ تستطيعين الهروب».

وبيده التي كانت تمسك وجهي وتثبته تجاهه، انحنى ماكسون ببطء وعانقني عناقًا دافئًا.

كان هناك شيء في تردده جعلني أشعر بأنني جميلة بحق، فمن دون حاجة لكلمات، استطعت أن أقرأ في تردده مدى حماسه لهذه اللحظة، ومدى خوفه أيضًا. بل أكثر من ذلك، شعرت بإعجابه الشديد بي.

إذن، هذا هو شعور الفتيات حين يعامَلن برقي.

بعد لحظة قصيرة، تراجع وسألني: «هل أُعجبكِ؟».

لم أستطع سوى أن أومئ برأسي موافقة، وبدا على ماكسون أنه سيطير من شدة السعادة. وقد اعتراني شعور مشابه بدأ ينبض في صدري. كان الأمر مفاجئًا، سريعًا جدًّا وغير متوقع ألبتة. بدا على وجهي الارتباك؛ لأن ماكسون أصبح أكثر جدية، ثم سألني: «هل يمكنني أن أقول شيئًا؟».

أومأت برأسي مجددًا.

قال: «أنا لست ساذجًا بما يكفي لأعتقد أنكِ نسيتِ حبيبك السابق تمامًّا. أعلم جيدًا أنكِ مررت بالكثير، وأن وجودكِ هنا لم يكن نتيجة ظروف عادية. وأعلم أيضًا أنكِ قد ترين أن هناك من هن أكثر ملاءمة لي وللحياة التي أحياها. لكنني لا أريدكِ أن تتعجلي أو تضغطي على نفسك لتتقبلي أيًّا من ذلك... أنا فقط... أريد أن أعرف... ما إذا كان هناك أي احتمال لعلاقة بيننا؟».

لكن كيف يمكنني الإجابة عن هذا السؤال الصعب؟ هل أنا مستعدة لعيش حياة لم أُردها يومًا؟ هل سأتحمَّل رؤيته يفتح قلبه لأخريات كي أتأكد من أنه لا يرتكب خطأ باختياري؟ هل سأكون قادرة على مواجهة المسئولية الثقيلة التي ترتبط بمنصبه بصفته أميرًا؟ هل سأكون قادرة على أن أحبه بالطريقة التي يستحقها؟

مع كل ما كان يدور في رأسي، خرجت الكلمات همسًا من شفتي: «نعم يا ماكسون».

الفصل 19

لم أخبر أحدًا بما حدث بيني وماكسون، لا مارلي ولا حتى خادماتي. عددتُ ما حدث سرًّا جميلًا أحتفظ به وأعود إليه في خِضم دروس سيلفيا المملة أو خلال يوم طويل في غرفة النساء. بصراحة، كنت أسترجع عناقنا بشكل دائم أكثر مما أتوقع.

كنت أعلم أنني لن أقع في حب ماكسون بين ليلة وضحاها، وأن قلبي لن يسمح لي بذلك بسهولة. لكن فجأة، وجدت نفسي أفكر في الأمر؛ في أنني قد أحبه. وبقيت أفكر في هذا الاحتمال بصمت، رغم أنني تمنيت مرارًا أن أبوح بهذا السر.

وقد تأججت رغبتي في إفشائه، خصوصًا بعد مرور ثلاثة أيام، حين أعلنت أوليفيا في غرفة النساء نصف الممتلئة أن ماكسون قبّلها. لم أصدق حجم الانكسار الذي شعرت به. وجدت نفسي أتطلع إلى أوليفيا وأتساءل ما الذي يجعلها مميزة إلى هذا الحد.

أصرت مارلي: «أخبرينا بكل شيء».

بدت معظم الفتيات الأخريات فضوليات أيضًا، لكن مارلي كانت الأكثر حماسًا بينهن. فمنذ آخر موعد لها مع ماكسون، بدا كأن اهتمامها بتقدم الأخريات في المنافسة يزداد. لم أستطع فهم السبب وراء هذا التغير، ولم أكن شُجاعة بما يكفي لسؤالها عنه.

لم تكن أوليفيا بحاجة إلى تشجيع. جلست على إحدى الأرائك وفردت ثوبها بتفاخر، وكأنها تتدرب على أن تكون الأميرة. شعرت برغبة في إخبارها بأن عناقًا واحدًا لا يعني أنها الفائزة.

قالت أوليفيا: «لا أريد الخوض في كل التفاصيل، لكنه كان مشهدًا رومانسيًا تمامًا»، مالت برأسها إلى صدرها متظاهرة بالخجل، وتابعت: «أخذني إلى السطح. هناك مكان يشبه

الشرفة، لكنه يبدو مخصصًا للحراس، لم أتأكد من ذلك، لكن كان بوسعنا النظر من فوق الأسوار، وكانت المدينة كلها تتلألأ بشكل بديع. لم يقل شيئًا حقًّا، فقط جذبني إليه وعانقني عناقًا حارًّا، وارتجفت من فرط النشوة».

تنهدت مارلي، بينما بدا على سيليستي أنها على وشك تحطيم شيء ما. أما أنا فاكتفيت بالجلوس في مكاني.

ظللت أخبر نفسي بأنه ينبغي ألا أهتم بهذا القدر، فكل هذا جزء من عملية الاختيار. ومن قال إنني أرغب حقًّا في الفوز بماكسون؟ بصراحة، عليَّ أن أَعدَّ نفسي محظوظة. كان من الواضح أن حقد سيليستي وجد له هدفًا جديدًا وأنها اكتفت بما فعلته بفستاني، وهو شيء أدركت أنني نسيت إخبار ماكسون به، كنت سعيدة لرؤيتها تتجه نحو هدف آخر.

همست تيوزداي في أذني: «هل تعتقدين أنها الوحيدة التي قبَّلها؟». كانت كريس تقف بجواري وسمعت سؤالها، فتدخلت بحسرة: «لن يُقبّل أي فتاة هكذا ببساطة، لا بد أنها تقوم بشيء جيد».

تساءلت تيوزداي: «ماذا لو قبَّل نصف الفتيات في الغرفة والباقيات التزمن الصمت؟ ربما يكون ذلك جزءًا من إستراتيجيتهن».

رددت عليها: «لا أعتقد أن مَن يلتزمن الصمت حيال هذا يَعدُدْنه إستراتيجية، ربما يفضلن الخصوصية فحسب».

أخذت كريس نفَسًا عميقًا وقالت: «ماذا لو كان ما قالته أوليفيا مجرد خدعة؟ كلنا قلقات، ولن تجرؤ أي منا على سؤال ماكسون عما إذا كان قد عانق أوليفيا فعلًا. لا توجد طريقة للتأكد مما إذا كانت تكذب أم لا».

سألتها: «هل تظنين أنها قد تفعل ذلك؟».

علقت تيوزداي: «إذا كانت قد فعلت ذلك، فكم أتمنى لو أنني فكرت في الأمر أولًا».

تنهدت كريس وأضافت: «الأمر معقد أكثر مما تصورت».

تمتمت مؤكِّدة: «بالفعل».

اعترفت كريس: «أنا أحب معظم الموجودات في الغرفة، لكن عندما أسمع أن ماكسون يفعل شيئًا مع فتاة أخرى، أشعر برغبة شديدة في أن أكتشف طريقة لأفعل شيئًا أفضل منها، مع أنني لا أحب الشعور بالمنافسة تجاه أي منكن».

قالت تيوزداي: «هذا يشبه ما كنت أقوله لتايني في ذلك اليوم، أعلم أنها خجولة بعض الشيء، لكنها تتمتع برقيّ حقيقي وأعتقد أنها ستكون أميرة رائعة. لا أستطيع أن أغضب منها إذا كانت تلتقي به أكثر مني، حتى إن كنت أريد التاج لنفسي».

التقت عيناي بعينيَّ كريس للحظة، وعلمت أننا كنا نفكر في الشيء نفسه، لقد قالت تيوزداي: التاج، ولم تقل ماكسون، لكنني لم أعلق على الموضوع؛ لأن الجزء الآخر من كلامها لمس شيئًا مألوفًا وقلت: «أنا ومارلي نتحدث عن هذا طوال الوقت، عن أننا نرى صفات رائعة في بعضنا البعض».

تبادلنا جميعًا النظرات، وشعرت بأن هناك شيئًا مختلفًا. فجأة، لم أعد أشعر بالغيرة من أوليفيا، أو حتى بالتعارض مع سيليستي. كنا جميعًا نمر بهذه التجربة بطرق مختلفة، وربما لأسباب مختلفة، لكن على الأقل كلنا كنا نمر بها معًا.

قلت: «ربما كانت الملكة أمبرلي محقة، كل ما يمكننا فعله هو أن نكون على طبيعتنا. أُفضِّل أن يعيدني ماكسون إلى المنزل لأنني أتصرف بطبيعتي، على أن يبقيني هنا لأنني أتصرف مثل شخص آخر».

قالت كريس: «أنتِ مُحقة. وفي النهاية، يجب أن تغادر أربع وثلاثون فتاة. وإذا كنت الأخيرة المتبقية، فأريد أن يدعمني الجميع؛ لذا ينبغي أن نحاول تقديم الدعم لبعضنا البعض».

أومأت برأسي، مدركة أنها مُحقة. وكنت واثقة من قدرتي على فعل ذلك.

في تلك اللحظة، اقتحمت إليز الغرفة، تلتها زوي وإيميكا. كانت إليز عادة هادئة وبطيئة ولا ترفع صوتها أبدًا، لكن اليوم، استدارت نحونا وصاحت بحماس: «انظرن إلى مشابك الشعر هذه!» وأشارت إلى قطعتين جميلتين من حُلي الشعر المغطاة بما بدا وكأنه ثروة من الأحجار الكريمة، «لقد أهداني إياها ماكسون، أليست رائعة؟».

أثار هذا في الغرفة موجة جديدة من الحماس وخيبة الأمل، وتلاشت ثقتي المكتسَبة حديثًا.

حاولت ألا أشعر بخيبة الأمل. ففي النهاية، ألم أتلقَّ الهدايا؟ ألم يعانقني ماكسون؟ لكن مع ازدياد أعداد الفتيات وتكرر القصص، وجدت نفسي أرغب في الاختباء، ربما يكون اليوم مناسبًا لقضائه مع خادماتي.

وبينما كنت أفكر في مغادرة الغرفة، دخلت سيلفيا، كانت مرتبكة ومتحمسة في الوقت نفسه وهي تسأل: «يا آنسات! هل أنتن جميعًا هنا؟».

رددنا بصوت واحد: «نعم».

هدأت قليلًا وأعلنت: «الحمد لله على ذلك، أعلم أن هذا إشعار متأخر جدًّا، لكننا تلقينا للتو خبرًا بأن ملك وملكة سويندواي سيزوراننا خلال ثلاثة أيام. وكما تعلمن جميعًا، تجمعنا صلات بعائلتهم الملكية. كذلك ستأتي عائلة الملكة لمقابلتكن في الوقت نفسه؛ لذا سيكون القصر مزدحمًا جدًّا. ليس لدينا الكثير من الوقت للاستعداد، من فضلكن، حاولن التفرغ

فترة ما بعد الظهيرة. الدروس ستكون في القاعة الكبرى مباشرة بعد الغداء»، ثم استدارت للمغادرة.

إذا كنتَ قد شاهدت القصر بعد الانتهاء من الترتيبات، لكان من الممكن أن تظن أن طاقم القصر قد أُتيحت له شهور للتخطيط. فقد نُصبت خيام كبيرة في الحدائق، مع منصات للطعام والشراب موزعة على امتداد العشب. كان عدد الحراس أكثر من المعتاد، وقد انضم إليهم الجنود السويديون الذين رافقوا الملك والملكة في رحلتهما. يبدو أنهم أيضًا يدركون احتمالية تعرُّض القصر للخطر.

كما تم إعداد خيمة لتضم عروش الملك والملكة وماكسون، بالإضافة إلى ملك وملكة سويندواي. كانت الملكة السويندية، التي تحمل اسمًا يصعب نطقه، لا تقل جمالًا عن الملكة أمبرلي، وبدا أنها صديقة عزيزة عليها. كانوا جميعًا جالسين مرتاحين أسفل تلك الخيمة، باستثناء ماكسون، الذي كان مشغولًا بالتنقل بين الفتيات وأفراد عائلته.

كان ماكسون سعيدًا جدًا برؤية أبناء خالاته، حتى الصغار منهم الذين كانوا يجذبون سترته ثم يهربون ضاحكين. كان يحمل واحدة من كاميراته، ويلاحق الأطفال بها ويلتقط الصور باستمرار. وكانت معظم الفتيات المختارات يرمقنه بإعجاب شديد.

نادتني إحدى الفتيات، فالتفتُّ إلى يميني لأرى إيلاينا وليا تتحدثان إلى امرأة تشبه الملكة: «تعالي تعرفي على أخت الملكة».

كان هناك شيء في نبرة إيلاينا لا أستطيع تحديده جعلني أشعر بالتوتر حيال الانضمام إليهن.

مشيت نحوهن وانحنيت للسيدة التي ضحكت وقالت: «لا داعي لذلك عزيزتي، لستُ الملكة هنا. أنا أديل، أخت أمبرلي الكبرى»، ومدت يدها فصافحتها. كانت المرأة تتحدث بلكنة بلدها، وقد وجدتُ راحة في الحديث معها، مثل شعور العودة إلى المنزل. كانت ذات قوام

ممتلئ وتحمل كأس شراب شبه فارغ، واستطعت تخمين أنها لم تكن كأسها الأولى؛ من ثقل جفنيها.

سألتها: «من أين أنتِ؟ لهجتكِ مميزة». كانت بعض الفتيات من الجنوب يتحدثن بطريقة مشابهة، ولكنتهن في نظري كانت لطيفة جدًّا.

«من هندوراجوا بجانب الساحل، لقد نشأنا في بيت صغير جدًّا»، ورسمت فراغًا بحجم سنتيمترين بين سبَّابتها وإبهامها، ثم تابعت وهي تشير إلى فستانها: «ثم انظري إليها الآن.. انظري إليَّ، يا له من تغيير!».

قلت لها: «أعيش في كارولينا، وأخذني والداي إلى الساحل ذات مرة، أحببتُ المكان هناك».

قاطعتني أديل وهي تلوح بيدها: «آه، لا لا لا يا عزيزتي». بدا أن إيلاينا وليا تحاولان كتم ضحكاتهما، من الواضح أنهما لم يعتقدا أن أخت الملكة ستكون على طبيعتها إلى هذا الحد.

تابعت أديل: «الشواطئ في وسط إيليا سيئة، مقارنة بتلك الموجودة في الجنوب، عليكِ الذهاب لرؤيتها يومًا ما».

ابتسمتُ وأومأتُ برأسي، فكرت في أنني سأسرُّ برؤية المزيد من الأماكن في إيليا، لكنني لا أظن أنني سأتمكن من ذلك يومًا ما. بعد فترة وجيزة، اقترب من أديل أحد أطفالها العديدين وسحبها بعيدًا، فانفجرت إيلاينا وليا ضاحكتين.

علقت ليا: «أليست مضحكة؟».

هززت كتفي وقلت: «لا أدري، تبدو ودودة».

وقالت إيلاينا: «إنها فظة، كان يجب أن تسمعي كل الأشياء التي قالتها قبل أن تأتي».

سألت: «ما الذي كان سيئًا في حديثها؟».

ردت ليا باستهزاء: «ظننا أنها تعلمت بعض دروس الآداب على مر السنين. كيف لم تستطع سيلفيا السيطرة عليها؟».

قلت: «هل أحتاج إلى تذكيرك بأنها نشأت في الطبقة الرابعة، مثلكِ تمامًا».

عندها هدأت تعبيرات ليا المتعجرفة، وبدا أنها تذكرت أنها وأديل ليستا مختلفتين كثيرًا. أما إيلاينا فكانت من الطبقة الثالثة بطبيعتها واستمرت في الحديث: «يمكنكِ أن تتأكدي من أنني لو فزت، فإما أن أُخضع عائلتي للتدريب أو أجعلهم يرحلون، لن أسمح لأي منهم بأن يحرجني هكذا».

سألتها: «ما الذي كان محرجًا إلى هذا الحد؟».

كان صوت إيلاينا مليئًا بالاستنكار: «إنها ثملة، وملك وملكة سويندواي هنا، كان ينبغي حبسها».

قررت أنني سأكتفي بهذا القدر من الحديث ومشيت بعيدًا للحصول على شراب منعش. وبمجرد أن حصلت عليه، نظرت حولي ولم أستطع أن أجد مكانًا واحدًا لأجلس فيه. كانت حفلة الاستقبال بأكملها جميلة ومثيرة للاهتمام، لكنها مزعجة أيضًا.

فكرت فيما قالته إيلاينا. إذا انتهى بي المطاف للعيش في القصر، فهل سأتوقع من عائلتي أن تتغير؟ تأملت الأطفال الذين كانوا يجرون في المكان، وإلى الناس الذين تجمهروا معًا لتبادل الأحاديث. ألن أريد أن تبقى كينا على طبيعتها، وأن يستمتع أطفالها بكل هذا مهما كان سلوكهم؟

إلى أي مدى ستغيرني الحياة في القصر؟ هل سيريدني ماكسون أن أغير من نفسي؟ هل كان هذا السبب وراء عناقه الفتيات الأخريات؛ لأن هناك شيئًا لا يعجبه فيَّ؟

وهل سيلازمني هذا الانزعاج طيلة مسابقة الاختيار؟

«ابتسمي».

استدرت فرأيت ماكسون يلتقط لي صورة فجأة. تراجعت في دهشة، بينما استهلكت تلك الصورة غير المتوقعة ما تبقّى من صبري. وأدرت ظهري إليه.

سألني ماكسون وهو يُنزِل الكاميرا: «هل هناك خَطْب ما؟».

هززت كتفي بلا مبالاة.

سألني: «ما الأمر؟».

أجبت بنبرة حادة: «لا أشعر برغبة في أن أكون متسابقة، اليوم».

ودون أن يبدو متأثرًا، اقترب ماكسون مني وخفّض صوته: «هل تحتاجين إلى شخص لتتحدثي معه؟ يمكنني شد أذني، الآن».

تنهدت وحاولت أن أرسم ابتسامة مهذبة على وجهي وقلت: «لا، أحتاج فقط إلى التفكير»، ثم هممت بالمغادرة.

نادى بهدوء: «أميريكا». فتوقفت واستدرت إليه.

«هل فعلت شيئًا يزعجك؟».

ترددت للحظة، هل أسأله عن عناق أوليفيا؟ هل أشاركه كيف أصبح الجو بيني وبين الفتيات متوترًا منذ تغيرت الأمور بيننا؟ هل أخبره بأنني لا أريد أن أغيّر نفسي أو عائلتي لأصبح جزءًا من هذا العالم؟

كنت على وشك أن أفصح عن كل شيء، لكن جاء صوت حاد من خلفنا.

«الأمير ماكسون؟».

التفتنا، فوجدنا سيليستي تقف هناك وتتحدث مع ملكة سويندواي. كان واضحًا أنها ترغب في إجراء هذا الحديث وهي تمسك ذراع ماكسون، حيث لوّحت بيدها لتدعوه إلى الانضمام.

قلت: «لماذا لا تذهب إليها؟»، حاولت عدم إظهار ضيقي، لكن لهجتي أفصحت عن انزعاجي.

نظر إليّ ماكسون، وكانت تعبيرات وجهه تذكّرني بأن هذا جزء من الاتفاق. كان من المفترض أن أتحلى بحس المشاركة.

في النهاية نصحته: «احذر من تلك الفتاة»، وانحنيت له سريعًا ثم ابتعدت.

سرت باتجاه بوابات القصر الداخلية، ولاحظت في طريقي مارلي تجلس وحيدة. لم أكن أرغب في رؤيتها، الآن، لكنها كانت جالسة على مقعد قرب الحائط الخلفي للقصر تحت الشمس الحارقة، وأقرب من يرافقها كان حارسًا شابًّا يقف بصمت على بُعد خطوات.

«مارلي، ماذا تفعلين هنا؟ انتقلي إلى خيمة قبل أن تحترق بشرتك».

ابتسمت بلطف وقالت: «أنا مرتاحة هنا».

قلت وأنا أضع يدي برفق على ذراعها: «أنا أتكلم بجدية، ستصبح بشرتك بلون شعري. عليكِ أن... ».

سحبت مارلي يدها من قبضتي لكنها تحدثت بلطف: «أريد أن أبقى هنا يا أمريكا، أُفضِّل ذلك».

كان يغلف وجهها توتر تحاول إخفاءه. كنت واثقة بأنها ليست مستاءة مني، لكنَّ هناك أمرًا ما يحدث.

قلت محاوِلة أن أبدو هادئة رغم شعوري بالإحباط: «حسنًا، لكن حاولي إيجاد بعض الظل قريبًا. حروق الشمس مؤلمة»، ثم استأنفت سيري.

حالما دخلت، قررت الذهاب إلى غرفة السيدات. لن أستطيع الغياب لفترة طويلة، وعلى الأقل ستكون الغرفة فارغة. لكن عندما دخلت، وجدت أديل جالسة بجوار النافذة، تراقب المشهد بالخارج. التفتت إليَّ حين دخلت وابتسمت.

تقدمت نحوها وجلست بجانبها: «تختبئين هنا؟».

ابتسمت وأجابت: «نوعًا ما. أردت أن ألتقي بُكّن جميعًا وأرى أختي مجددًا، لكنني أكره المناسبات الرسمية. تجعلني أشعر بالتوتر».

«وأنا لا أحبها كثيرًا، لا أستطيع أن أتخيل القيام بأشياء كهذه طوال الوقت».

قالت بنبرة هادئة: «أراهن على ذلك، أنتِ من الطبقة الخامسة، أليس كذلك؟».

لم تحمل الطريقة التي قالت بها هذا إهانة، بل كان الأمر أشبه بسؤال عن عضويتي في نادٍ ما، وأجبتها: «بلى، هذا صحيح».

«تذكرت وجهك، كنتِ لطيفة في المطار. إنه نوع التصرفات نفسها التي تنتهجها هي»، وأشارت برأسها نحو النافذة حيث تقف الملكة. ثم تنهدت وتابعت: «لا أعلم كيف تفعل ذلك، إنها أقوى مما يدركه أغلب الناس». راقبتها وهي ترفع كأس مشروب وترتشف منه.

قلت لها: «تبدو قوية، لكنها أنيقة أيضًا».

ابتسمت أديل: «نعم، لكن الأمر يتجاوز ذلك. انظري إليها الآن».

راقبتُ الملكة، فلاحظت أن عينيها كانتا تتطلعان عبر الحديقة. تتبعت نظراتها فوجدتها تراقب ماكسون. كان يتحدث إلى ملكة سويندواي بجوار سيليستي، بينما يتشبث أحد

أبناء خالاته بساقه.

«كان ليكون أخًا رائعًا. تعرضت أمبرلي لثلاث حالات إجهاض؛ اثنتين قبله، وواحدة بعده. وهي لا تزال تفكر في ذلك، أخبرتني بهذا من قبل. أما أنا فلديَّ ستة أطفال... أشعر بالذنب في كل مرة أزورهم».

قلتُ لها لأطمئنها: «أنا متأكدة من أنها لا تفكر بهذه الطريقة، أراهن أنها تفرح في كل مرة تزورينهم».

التفتت إليَّ: «أتدرين ما الذي يسعدها؟ أنتن، هل تعلمين ماذا ترى هناك؟ ترى ابنة، تعلم أنه عندما ينتهي كل هذا، سيصبح لديها ابنان».

تطلعت باتجاه الملكة مجددًا وسألتها: «حقًّا تظنين ذلك؟ تبدو متنائية عنا بعض الشيء، لم أتحدث معها حتى الآن».

هزَّت أديل رأسها وقالت: «انتظري وسترين. هي فقط خائفة من التعلق بُكنَّ جميعًا، ثم تراكن تغادرن في النهاية. ستلاحظين الفرق عندما تصبح المجموعة أصغر».

نقلت نظراتي بين الملكة، وماكسون، والملك، وأخيرًا التفتُّ إلى أديل.

تدافعت الأفكار في رأسي... كيف تظل العائلات كما هي مهما كانت طبقتها، وكيف أن الأمهات جميعًا لديهن مخاوف، وكيف أنني في الواقع لا أكره أيًّا من الفتيات هنا، مهما كنَّ مختلفات عني، وكيف أن الجميع هنا لا بد أنهم يُظهرون شجاعة مصطنعة لسبب أو لآخر. وأخيرًا، تذكرت وعد ماكسون لي.

قلت لها: «عذرًا، هناك شخص يجب أن أتحدث إليه».

أخذت رشفة من كأسها ولوَّحت لي بلطف لكي أنهض. ركضت خارج الغرفة، عائدة إلى الشمس الساطعة في حدائق القصر. بحثت حولي للحظة ووجدت ابن خالة ماكسون

الصغير يطارده حول شجيرة، فابتسمت واقتربت ببطء.

أخيرًا، توقف ماكسون ولوح بيديه في الهواء، معلنًا هزيمته. عندما كان يضحك استدار ورآني، وظلَّت الابتسامة الواسعة على وجهه... حتى تلاقت أعيننا. تلاشت ابتسامته تدريجيًّا، وأخذ يتفحص وجهي، يحاول فهم حالتي.

عضضت على شفتي وخفضت بصري. كان من الواضح أن الاهتمام بمصيري في هذه المسابقة يعني مواجهة مشاعر كثيرة لم أكن مستعدة لها. ومهما كانت تلك المشاعر التي راودتني، لم يكن عليَّ أن أصبها على الآخرين، وخصوصًا ماكسون.

تأملت الملكة، كيف كانت تستضيف قادة الدول الزائرين، وأفراد العائلة، ومجموعة من الفتيات الغريبات في آنٍ واحد؛ تدير المناسبات وتدعم القضايا وتساند زوجها وابنها وتخدم البلاد بإخلاص. ورغم كل هذا، كانت من الطبقة الرابعة، امرأة حملت أوجاعها بصمت، ولم تسمح لماضيها المتواضع أو آلامها الشخصية بأن تقف حائلًا أمام التزامها بواجباتها.

ثم حولت نظري تجاه ماكسون وابتسمت. استجاب بابتسامة بطيئة، ثم همس بشيء للصبي الصغير فاستدار فورًا وركض مبتعدًا. رفع ماكسون يده وشد أذنه، وفعلت الشيء نفسه.

الفصل 20

بقيت عائلة الملكة لبضعة أيام فقط، أما الضيوف القادمون من سويندواي فقد امتدَّت زيارتهم أسبوعًا كاملًا. وخلال تلك الفترة، قدّموا تقريرًا خاصًّا تناول العلاقات الدولية ومساعي تعزيز السلام بين الدولتين.

مرَّ الآن شهر منذ أن وطئت قدماي القصر، وقد بدأت أشعر كأنه بيتي الثاني. اعتاد جسدي المناخ الجديد؛ ذلك الدفء الذي يغلف جدران القصر يشعرني كأنني في عطلة جميلة. كان سبتمبر يوشك على الانتهاء، مخلفًا وراءه أمسيات باردة نسبيًّا، لكنها لا تزال أدفأ من تلك التي أعرفها في بلدتي. أصبحتُ أنظر إلي تلك المساحات الشاسعة بلا رهبة. أما الأصوات، وَقْع الأحذية ذات الكعوب العالية على الرخام، وارتطام كئوس الكريستال ببعضها، وخطوات الحراس، كل هذه الأصوات لم تعد غريبة، بل تحولت إلى جزء من حياتي اليومية، كتلك الأصوات التي اعتدت سماعها في المنزل، مثل طنين الثلاجة أو ركلات جيرارد لكرة القدم على الجدار.

كانت أوقات وجبات الطعام مع العائلة الملكية، والأوقات التي أُمضيها في غرفة النساء جزءًا لا يتجزأ من روتيني اليومي. لكن الأوقات التي بينهما كانت دائمًا مختلفة ومشوقة.

قضيت ساعات طويلة من تلك الأوقات في عزف الموسيقى؛ كانت الآلات الموسيقية في القصر تفوق بمراحل ما امتلكته في المنزل، فنقاء صوتها كان ساحرًا، وليس بوسعي سوى أن أعترف بأنهم يدللونني حقًّا هنا. وحتى غرفة النساء أصبحت أكثر إثارة، خاصة مع ظهور الملكة مرتين على الأقل في الأسبوع. لم تتحدث إلينا بعد، لكنها كانت تجلس في كرسيها المريح، محاطة بخادماتها، تراقبنا ونحن نقرأ أو نتبادل الأحاديث.

وبمرور الوقت، بدأت العداوات والأجواء المتوترة تهدأ، واعتدنا وجود بعضنا البعض. وذات يوم، وصلتنا اختيارات المجلة لأفضل الصور وكان الخبر حديث الجميع. صُدمت عندما

رأيت أنني كنت من بين الأسماء البارزة. تصدرت مارلي القائمة، تلتها كريس، ثم تالولا وباريل. أثار هذا الترتيب بعض التوتر؛ حيث توقفت سيليستي عن التحدث مع باريل لعدة أيام، لكن في النهاية تجاوز الجميع الأمر.

ما ظل يشعل المنافسة بيننا هو تلك الشذرات من المعلومات التي كان يتم تداولها. كل واحدة تحاول التباهي بلقاءاتها مع الأمير ماكسون. كانت أحاديث الفتيات تجعله يبدو كأنه سيختار ست زوجات أو سبعًا!

لكن لم يكن الجميع يستمتعن بتلك التجربة بالقدر نفسه، فمارلي، على سبيل المثال، حصلت على أكثر من موعد مع ماكسون، ما جعل الجميع في حالة توتر. ومع ذلك لم تبدُ متحمسة كما كانت بعد موعدهما الأول.

قالت مارلي وهي تسير بصحبتي في الحديقة: «أميريكا، إذا أخبرتكِ بهذا، فعليكِ أن تقطعي وعدًا بألا تخبري أحدًا».

أدركت على الفور أن الأمر جدي، فقد انتظرت مارلي حتى ابتعدنا عن آذان الجميع في غرفة النساء وعن أعين الحراس.

«بالطبع يا مارلي، هل أنتِ بخير؟».

«نعم، أنا بخير... أحتاج فقط إلى رأيك في شيء»، كانت ملامحها يعتريها بالقلق.

سألتها: «ما الأمر؟».

عضت على شفتيها في تردد، ثم أوضحت: «الأمر يتعلق بماكسون، لست متأكدة من نجاح الأمر بيننا»، ثم خفضت بصرها.

سألتها بقلق: «ما الذي يجعلكِ تعتقدين ذلك؟».

«حسنًا، لا أشعر... بشيء، أتفهمين؟ لا شرارة حب، ولا اتصال حقيقيًّا بيننا».

«ماكسون خجول قليلًا، هذا كل ما في الأمر. عليكِ منحه بعض الوقت»، بالفعل كان ماكسون كذلك، فوجئتُ أنها لا تعرف ذلك عنه.

لكن مارلي قاطعتني: «لا أقصد ذلك، أظن أنني معجبة به».

«أوه» وصمتُّ للحظة ... كان هذا شيئًا مختلفًا تمامًا، ثم سألتها: «هل حاولتِ؟» رغم أنني شعرت بأن السؤال بدا غبيًا فور نطقي به.

«نعم! حاولت بكل جهدي! أظل أنتظر تلك اللحظة... تلك اللحظة التي يقول فيها شيئًا أو يفعل شيئًا يجعلني أشعر بأننا ننسجم، وأن هناك رابطًا بيننا، لكن هذا لم يحدث قط. أعتقد أنه وسيم، لكن هذا ليس كافيًا لبناء علاقة حقيقية. أنا حتى لا أعرف إذا كان يشعر بانجذابٍ نحوي، هل لديكِ أي فكرة عن نوع الأشياء... التي يحبها؟».

فكرت للحظةٍ وقلت: «لا، في الواقع. لم نتحدث يومًا عما يبحث عنه من الناحية الجسدية».

«وهذا شيء آخر! نحن لا نتحدث أبدًا. هو يتحدث معك باستمرار، لكننا لا نجد شيئًا لنقوله. نقضي معظم وقتنا نشاهد شيئًا بهدوء أو نلعب الورق». وبدا أن القلق يزداد على وجهها مع كل لحظة تمر.

حاولتُ طمأنتها: «أحيانًا نظل صامتين أيضًا، نجلس فقط دون الحديث عن أي شيء. وبالمناسبة يا مارلي، مثل هذه المشاعر لا تتطور دائمًا بين ليلة وضحاها، ربما تحتاجان إلى بعض الوقت لتنمو مشاعركما». جعلتُ نبرتي مطمئنة قدر الإمكان، لكن مارلي لم تبدُ مقتنعة. بل على العكس، بدا كأنها على وشك البكاء.

قالت، وصوتها يرتجف: «بصراحة يا أميريكا، أعتقد أن السبب الوحيد لبقائي هنا أن الناس يحبونني كثيرًا. أظن أن رأيهم يهمه».

لم يخطر هذا ببالي من قبل، لكن كلماتها بدت معقولة. أتجاهل رأي الناس منذ زمن، لكن ماكسون دائمًا يحمل تقديرًا عميقًا لشعبه، وربما يكون لرأيهم تأثير أكبر على قراره في اختيار الأميرة المنتظَرة أكثر مما يدركون.

تابعتْ بصوتٍ منكسر: «وفوق كل هذا، كل شيء بيننا يبدو... فارغًا».

وبدأت الدموع تنهمر على وجنتيها، فتنهدت واحتضنتها. كنت أريدها حقًّا أن تبقى هنا معي، لكن إذا لم تكن تحب ماكسون...

«مارلي، إذا لم تريدي أن تكوني مع ماكسون، فأعتقد أن عليكِ إخباره».

قالت: «أوه لا، لا أعتقد أنني أستطيع فعل ذلك».

«عليكِ أن تفعلي ذلك، لا يود ماكسون الزواج من فتاة لا تشعر بأي حب تجاهه. إذا لم يكن لديكِ أي مشاعر تجاهه، فعليه أن يعلم».

هزّت رأسها مستنكرة: «لا أستطيع أن أطلب المغادرة! عليَّ البقاء هنا، لا أستطيع الذهاب إلى المنزل... ليس بعد».

«لماذا يا مارلي؟ ما الذي يُبقيكِ هنا؟».

للحظةٍ، تساءلتُ إن كانت مارلي تحمل السر المظلم نفسه الذي أحمله. ربما كان هناك شخص تحتاج إلى الابتعاد عنه أيضًا. الفرق الوحيد بين موقفينا هو أن ماكسون يعرف قصتي. أردتها أن تصرح بالأمر! أردت أن أعرف أنني لست الوحيدة التي انتهى بها المطاف هنا بسبب ظروف سخيفة.

لكن دموع مارلي توقفت فجأة كما بدأت، أخذت بضعة أنفاس عميقة، وسوَّت فستانها، واستقامت في وقفتها قبل أن تلتفت نحوي بابتسامة كبيرة دافئة وتقول: «تعرفين ماذا؟ أعتقد أنكِ مُحقَّة»، وبدأت تتراجع ببطء قبل أن تضيف: «أنا متأكدة من أنه إذا منحتُ الأمور بعض الوقت، فستسير على ما يرام. يجب أن أذهب الآن، تايني تنتظرني».

وانطلقت مارلي مسرعة إلى القصر، وتساءلت في نفسي عما حدث لها للتو!

تجنبتني مارلي في اليوم التالي، وفي اليوم الذي تلاه أيضًا. حرصت على الجلوس في غرفة السيدات على مسافة آمنة، وكنت أتأكد من تحيتها كلما تلاقينا. أردتها أن تعلم أن بإمكانها الوثوق بي؛ وأنني لن أجبرها على الحديث.

استغرق الأمر منها أربعة أيام قبل أن تمنحني ابتسامة حزينة، وكأنها تعرف أنني أفهمها. اكتفيت بإيماءة بسيطة، ويبدو أن هذا كل ما ستقوله بشأن ما يعتمل في قلبها.

في اليوم نفسه، بينما كنت جالسة في غرفة السيدات، طلب ماكسون رؤيتي. سأكذب لو قلت إنني لم أشعر بسعادة ولهفة وأنا أركض إلى الخارج لأرتمي بين ذراعيه.

تنهدت وأنا أرتمي بين ذراعيه: «ماكسون!»، عندما تراجعت خطوة إلى الوراء، بدا أنه تردد للحظة، وعرفت السبب. في اليوم الذي تركنا فيه حفل استقبال سويندواي وذهبنا للحديث، اعترفت له كم كان من الصعب عليَّ التعامل مع مشاعري، وطلبت منه ألا يعانقني حتى أكون أكثر يقينًا. كان من الواضح أن هذا آلمه، لكنه أومأ برأسه ولم يخلف وعده لي. كان من الصعب جدًّا فهم تلك المشاعر عندما كان يتصرف وكأنه حبيبي، لكنه بالطبع لم يكن كذلك.

ما زال هناك اثنتان وعشرون فتاة في القصر بعد أن تم إرسال كاميلي وميكيلا وليلى إلى المنزل. لم تكن كاميلي وليلى مناسبتين ببساطة وخرجتا دون ضجة كبيرة. أما ميكيلا فقد شعرت بالحنين إلى الوطن لدرجة أنها انفجرت بالبكاء على الفطور بعد يومين، فاصطحبها

ماكسون خارج الغرفة وهو يربّت كتفها طوال الطريق. بدا أنه لا يمانع في رحيلهن، وكان سعيدًا بالتركيز على الخيارات الأخرى، بمن في ذلك أنا. لكننا نحن الاثنين نعلم أنه ليس من الحكمة أن يضع قلبه بالكامل بين يديَّ، خاصة أنني أنا أيضًا لم أكن واثقة من قلبي.

سأل وهو يتراجع خطوة إلى الوراء: «كيف حالكِ، اليوم؟».

«بخير، بالطبع. ماذا تفعل هنا؟ أليس من المفترض أن تكون مشغولًا؟».

«رئيس لجنة البنية التحتية مريض؛ لذا تم تأجيل الاجتماع. أنا حر كطائر طيلة فترة ما بعد الظهيرة». كانت عيناه تتلألآن بالمرح وسألني وهو يمد إليَّ ذراعه: «ماذا تريدين أن تفعلي؟».

«أي شيء! هناك الكثير من الأماكن في القصر التي لم أرها. هناك خيول هنا، أليس كذلك؟ وأيضًا السينما، لم تأخذني إليها».

«لنذهب إلى السينما، أعتقد أنني بحاجة إلى بعض الاسترخاء»، ثم سألني بينما بدأنا نسير نحو السلم المؤدي إلى الطابق السفلي: «ما نوع الأفلام التي تحبينها أكثر؟».

قلت له: «بصراحة لا أعرف، لم تُتَح لي الفرصة لمشاهدة الكثير من الأفلام، لكنني أحب الكتب الرومانسية، والكوميدية أيضًا!».

رفع حاجبيه كأنه على وشك وضع خطة شريرة في ذهنه، وسأل: «هل قلتِ: رومانسية؟»، فضحكتُ.

انعطفنا عند الزاوية واستمر حديثنا بلا انقطاع. لكن مع اقترابنا من الردهة، تحركت مجموعة من حراس القصر واصطفوا إلى جانب الجدار يقدمون لنا التحية أثناء مرورنا.

كان هناك أكثر من عشرة رجال في الردهة، وكنت قد ألفت هذا المشهد. لم يعد يثير دهشتي كما كان في البداية، حتى مع وجودهم بأعداد كبيرة، لم يكن هناك ما يمكن أن

يعكر صفو الوقت الذي سأقضيه مع ماكسون.

ولكن كل شيء تغير عندما سمعت صوت شهقة قصيرة من أحد الحراس بينما مررنا.

التفتنا أنا وماكسون في الوقت نفسه نحو مصدر الصوت.

وهناك... رأيته.

أسبن!

شهقت أنا أيضًا من المفاجأة.

قبل بضعة أسابيع، سمعت أحد المسئولين في القصر يتحدث بشكل عابر عن التجنيد. خطر ببالي حينها أسبن، لكن جدول دروسي مع سيلفيا كان مزدحمًا لدرجة أنني لم أستطع التوقف طويلًا عند هذا التساؤل.

لكن الآن... الآن كان الجواب أمامي، تم تجنيده بالفعل. ومن بين كل الأماكن التي كان يمكن أن يذهب إليها، هو موجود هنا...

لاحظ ماكسون الصدمة على وجهي، فسألني: «أميريكا، هل تعرفين هذا الشاب؟».

كان قد مر أكثر من شهر منذ آخر مرة رأيت فيها أسبن. ومع ذلك، كان هو الشخص الذي حفرت تفاصيله في ذاكرتي لسنوات؛ الشخص الذي لا يزال يتسلل إلى أحلامي دون استئذان. كنت سأتعرف عليه في أي مكان.

بدا أكبر حجمًا وأكثر صلابة، كان واضحًا أنه صار يأكل جيدًا جدًّا، وربما قضى ساعات طويلة في التدريب. أما شعره الطويل المبعثر فقد صار قصيرًا جدًّا. كنت قد اعتدت رؤيته في ملابس بالية، وها هو الآن يرتدي زيًّا رسميًّا لحراس القصر، أنيقًا ومثاليًّا.

كان غريبًا ومألوفًا في آنٍ واحد. الكثير عنه بدا مختلفًا وغير معتاد بطريقة ما، لكن تلك العينين... كانتا عينيْ أسبن، عينيه اللتين لم تتغيرا قط.

تسللت نظراتي إلى بطاقة الاسم المعلقة على صدره: الضابط ليجر.

أدركت أنه مرت بضع ثوانٍ منذ أن رأينا بعضنا البعض.

حافظت على هدوئي بشِقِ الأنفس، مجاهدة لأخفي العاصفة التي كانت تعتمل بداخلي، كانت معجزة حقيقية أن يأتي إلى هنا. أردت أن ألمسه، أن أحتضنه، أن أصرخ في وجهه، أن أتوسل إليه ليغادر، ليخرج من عالمي الجديد. أردت أن أذوب وأختفي، لكن وجوده هنا جعلني أشعر بكل شيء... بكل شيء دفعة واحدة.

ولم يكن أي من هذا منطقيًّا.

تنحنحت وقلت: «نعم، الضابط ليجر من كارولينا، هو في الواقع من مدينتي» وابتسمت لماكسون.

أدركت أن أسبن سمعنا ونحن نضحك قبل أن ندخل المكان، ورأى ذراعي التي لا تزال مستندة إلى ذراع الأمير. تركته يفسر ذلك كيفما شاء.

بدا ماكسون سعيدًا جدًّا بهذا اللقاء وقال: «يا لها من مصادفة سعيدة! مرحبًا أيها الضابط ليجر. لا بد أنك سعيد لرؤية بطلة المقاطعة مرة أخرى». ثم مد ماكسون يده، وصافحه أسبن.

بدا وجه أسبن كأنه قُدَّ من حجر، جامدًا لا ينم عن أي شعور بينما يقول: «نعم جلالتك، بالطبع سعيد جدًّا».

ماذا قصد بذلك؟

قال ماكسون مشجعًا وهو يغمز لي: «وأنا متأكد أنك تدعمها أيضًا، أليس كذلك؟».

رد أسبن بانحناءة صغيرة: «بالطبع، جلالتك».

وماذا كان يعني ذلك؟

«ممتاز، بما أن أميريكا من مقاطعتك، فلا أستطيع التفكير في رجل أفضل منك في القصر ليكون مسئولًا عن أمنها، سأضيفك إلى حراسها»، ثم هز رأسه نحوي وأضاف: «إنها ترفض أن تكون لها خادمة في غرفتها ليلًا. حاولت أن أقنعها...».

رأيت أسبن يسترخي قليلًا: «لست متفاجئًا من ذلك، جلالتك».

ابتسم ماكسون: «حسنًا، أنا متأكد من أن لديكم يومًا مليئًا بالأعمال. سنغادر الآن، يوم سعيد أيها الضباط»، وأومأ برأسه في تحية سريعة قبل أن يقتادني بعيدًا.

قاومت بكامل جهدي رغبتي في الالتفات إلى الخلف لأنظر إلى أسبن.

وفي ظلام السينما، غرقت في أفكاري... ماذا أفعل الآن؟ منذ الليلة التي أخبرته فيها عن أسبن، لم يتردد ماكسون في التعبير عن كراهيته أي شخص يجرؤ على معاملتي بقسوة. وإذا علم أن الرجل الذي كلفه بحراستي هو نفسه الذي تسبب في ألمي، فماذا سيفعل؟ هل سيعاقبه؟ لم أستبعد ذلك. فقد أسس ماكسون نظامًا بأكمله لدعم البلاد بعدما سمع قصصي عن الجوع.

لذلك لا أستطيع أن أخبره ... لن أخبره. فعلى الرغم من غضبي، على الرغم من الجراح التي تركها أسبن داخلي، فما زلت أحبه، ولا أحتمل فكرة أن يصاب بأذى.

هل ينبغي لي الرحيل إذن؟ كان السؤال وحده يمزق نياط قلبي. يمكنني الهروب والابتعاد عن أسبن، عن وجهه الذي سيعذبني كل يوم عندما أراه وأدرك أنه لم يعد لي. لكن الهروب يعني أيضًا ترك ماكسون.

وماكسون كان صديقي المقرَّب، وربما أكثر من ذلك. كيف يمكنني أن أغادر دون التحدث إليه؟ دون أن أشرح له؟ لكن كيف لي أن أشرح دون أن أعترف بوجود أسبن هنا؟

ثم هناك عائلتي، صحيح أن المبالغ التي يحصلون عليها ليست كبيرة الآن، لكنها تضمن لهم القليل من الراحة. كتبت لي ماي مؤخرًا تخبرني بأن أبي وعدهم بأفضل ذكرى ميلاد على الإطلاق، هذا العام. لكنني كنت متأكدة من أن هذا الوعد كان سيتبعه عام مقبل لن يكون بالروعة نفسها. وإذا غادرت، فمَن سيضمن أن شهرتي السابقة ستستمر في جلب المال لهم؟ علينا أن نوفر الآن أكثر من أي وقت مضى.

جاء صوت ماكسون بعد صمتٍ دام ساعتين تقريبًا: «لم يعجبك، أليس كذلك؟».

«ها؟».

«هذا الفيلم، لم تضحكي أو تبدي أي رد فعل».

«أوه...» حاولت أن أسترجع أي مشهد يمكنني الحديث عنه، أي لحظة استمتعت بها، لكن ذهني كان فارغًا تمامًا. فقلت: «أعتقد أنني متعبة اليوم، آسفة إن كنت قد أهدرت وقتك، هذه الظهيرة».

لوّح بيده اعتراضًا: «هذا هراء، رفقتك تكفيني. لكن ربما عليكِ أخذ قسط من الراحة قبل العشاء، تبدين شاحبة قليلًا».

أومأت له موافقة. الحقيقة أنني كنت أفكر في الهروب إلى غرفتي، وربما عدم الخروج أبدًا.

الفصل 21

في النهاية، قررت ألا أختبئ في غرفتي. وبدلًا من ذلك، اتخذت من غرفة النساء ملاذًا. عادةً ما كنت أتنقل على مدار اليوم، أزور المكتبة أو أتمشى مع مارلي، أو حتى أصعد إلى الطابق العلوي لزيارة خادماتي. لكن الآن، أصبحت غرفة النساء أشبه بكهف أعتزل فيه العالم. لا يُسمح لأي رجل بدخول هذا المكان، حتى الحراس، دون إذن صريح من الملكة. وكانت هذه القاعدة مثالية لي.

حسنًا، استمتعت بهذا الملاذ الصغير لثلاثة أيام. لكن مثالية هذه العزلة لم تدم طويلًا، فمع وجود هذا العدد من الفتيات، كان من الطبيعي أن يأتي يوم يُحتفل فيه بذكرى ميلاد إحداهن. وجاءت ذكرى ميلاد كريس لتكسر روتيني يوم الخميس. لا بد أن كريس أخبرت ماكسون مسبقًا عن ذكرى ميلادها. وهو لا يفوِّت أي فرصة لإسعاد أي منهن بهدية أو لفتة كريمة. وكانت النتيجة، كما توقعت، حفلة فاخرة للجميع. حفلة لم يكن لأي منا خيار آخر سوى حضورها. وهكذا تحولت أجواء القصر، يوم الخميس، إلى فوضى لطيفة: الفتيات يدخلن ويخرجن من غرف بعضهن، يتبادلن الأسئلة حول خيارات الملابس، ويتخيلن مدى فخامة الحفل الذي أعده ماكسون.

لم يكن تقديم الهدايا جزءًا مطلوبًا من المناسبة، ولكنني شعرت برغبة في القيام بشيء لطيف من أجل كريس، على أي حال.

في يوم الحفلة، اخترت ارتداء أحد فساتيني النهارية المفضلة. حملت آلة الكمان وتوجهت إلى القاعة الكبرى. تسللت إلى الداخل بهدوء بعدما تفحصت الزوايا، وبمجرد أن دخلت، جلت في المكان مرة أخرى بنظري، مستكشفة الحراس المنتشرين على الجدران. لحسن الحظ، لم يكن أسبن من بينهم. ووجدت نفسي أضحك قليلًا عندما لاحظت العدد الكبير من الرجال بزيهم الرسمي. هل كانوا يتوقعون شغبًا أو اضطرابًا؟!

بدت القاعة الكبرى كأنها خرجت من لوحة فنية. كانت الزخارف تملأ المكان، والمزهريات الكبيرة تحمل تنسيقات مذهلة من الأزهار الصفراء والبيضاء، فضلًا عن باقات مشابهة وُضعت في مزهريات مزخرفة أصغر منتشرة في أنحاء الغرفة. النوافذ، وامتدادات الجدران، وحتى بعض قِطع الأثاث مغطاة بالزينة. بينما كانت الطاولات الصغيرة الموزعة حول الغرفة مغطاة بمفارش زاهية الألوان، تناثرت عليها زينة لامعة أضفت بريقًا خفيفًا على المكان. وحتى الكراسي كانت مزينة بشرائط مزخرفة.

وفي إحدى زوايا القاعة، تربع قالب كيك ضخم بزينة متقنة تنسجم مع ألوان الغرفة، ينتظر تقطيعه. وبجواره، وضعت طاولة صغيرة تحمل بعض الهدايا المخصصة لفتاة ذكرى الميلاد.

على الجانب الآخر، استقرت فرقة موسيقية رباعية بجانب الحائط، ما جعل محاولاتي لتقديم هدية العزف على الكمان تبدو بلا معنى. كان هناك أيضًا مصور يتجول في الغرفة، يلتقط لحظات عابرة لتُعرض أمام أعين الآخرين.

ساد جو مرح في الغرفة، كانت تايني، التي لم تنجح حتى الآن إلا في التقرب من مارلي، تتحدث مع إيميكا وجينا، مبتسمة ومفعمة بالحيوية كما لم أرها من قبل. مارلي، كالعادة، اختارت زاوية قرب النافذة تقف عندها. كانت تبدو كأنها واحدة من الحراس، ترقب المشهد من بعيد. ورغم أنها لم تتحرك كثيرًا، فقد توقفت لتبادل الحديث مع أي فتاة تمر بجانبها. وعلى الجانب الآخر من الغرفة، وقفت كايلي وإليزابيث وإميلي يتلفتن هنا وهناك ويوزعن ابتساماتهن. وعندما التقت أعيننا بادلتهن التحية بابتسامة. بدا الجميع سعيدًا ومتصالحًا، اليوم.

لكن هذا لم ينطبق على سيليستي وباريل. كانتا، على غير العادة، بعيدتين عن بعضهما البعض. البعض كانت باريل منشغلة بالحديث مع سامانثا، بينما جلست سيليستي بمفردها على طاولة، تحمل كأس كريستال ممتلئًا بسائل أحمر داكن. أدركت أن شيئًا حدث بين عشاء الأمس وبعد ظهر اليوم، لكنني لم أكن هناك لمعرفته.

حملت الكمان وسرت باتجاه مؤخرة الغرفة حيث تقف مارلي.

قلت وأنا أضع الكمان بجانبي: «مرحبًا يا مارلي. الأجواء هنا رائعة، أليس كذلك؟».

أجابتني وهي تحتضنني: «بالتأكيد! سمعت أن ماكسون سيأتي لاحقًا ليهنئ كريس بذكرى ميلادها شخصيًا. أليس هذا لطيفًا؟ أراهن أنه أحضر لها هدية أيضًا».

استمرت مارلي في الحديث بحماستها المعتادة، كنت لا أزال أتساءل عن سرها، لكنها كانت من الأشخاص الذين أثق بهم بما يكفي لأترك لها المجال لطرح الموضوع معي إذا أرادت ذلك. تبادلنا حديثًا عابرًا عن أمور تافهة، إلى أن قاطعَنا صوت ضجة مفاجئة عند طرف الغرفة.

استدرنا كلانا في الوقت نفسه، وبينما ظلت مارلي هادئة، شعرت أنا بموجة إحباط تجتاحني.

كان اختيار كريس لفستانها إستراتيجيًا بشكل مذهل.

بينما كنا جميعًا نرتدي فساتين نهارية قصيرة، لفتت كريس الأنظار بفستان سهرة طويل يصل إلى الأرض. لكن الطول لم يكن ما جعلها محط الأنظار، بل اللون الكِريمي للفستان.

زين شعرها المرفوع صفًا من الجواهر الصفراء، مرتبة بعناية في خط عبر مقدمة رأسها، ما جعلها تبدو كأنها ترتدي تاجًا حقيقيًا. كانت تبدو ناضجة، أقرب إلى عروس من العائلة المالكة.

شعرت ببعض الغيرة. حتى إن لم أكن متأكدة تمامًا مما يبتغيه قلبي، فقد علمت أنه لن تحظى أي واحدة منا بلحظة مشابهة لها. مهما تكررت المناسبات وحفلات العشاء، لن تكون هناك جدوى من محاولة تقليد مظهر كريس. وبينما كنت أتأملها، لمحت يد سيليستي - التي لم تكن تمسك مشروبها – تتكور في قبضة غيظ.

علّقت مارلي بتنهيدة: «تبدو جميلة جدًّا».

أجبتها: «بل فاتنة».

استمرت الحفلة، وقضيت أنا ومارلي معظم الوقت نراقب الحشد. بشكل مفاجئ - ومريب - لاحظت أن سيليستي كانت تتشبث بكريس بشكل مبالغ فيه، تتحدث بلا توقف، كما لو أنها تحاول السيطرة على المشهد. ومع ذلك، لم تفقد كريس ابتسامتها وكانت تدور في الغرفة، تشكر الجميع على الحضور، رغم أن الحقيقة أنه لم يكن لدينا خيار سوى الحضور.

في النهاية، وصلت كريس إلى الركن الخلفي حيث كنت أنا ومارلي نستمتع بأشعة الشمس الدافئة التي تسللت عبر النوافذ.

ودون تردد، ألقت مارلي ذراعيها حول كريس وصاحت بسعادة: «ذكرى ميلاد سعيدة!».

ردت كريس بالحماس والود نفسيهما: «شكرًا!».

سألتها مارلي: «إذن، بلغتِ التاسعة عشرة اليوم، أليس كذلك؟».

أجابت كريس بابتسامة واسعة: «نعم، لم أكن لأفكر في طريقة أفضل للاحتفال. أنا سعيدة جدًّا بأنهم يلتقطون الصور، ستنبهر أمي بهذا! على الرغم من أننا نعيش بشكل جيد، فإننا لم نملك مالًا يكفي لإقامة حفل بهذا الجمال، إنه مثالي!».

كانت كريس من الطبقة الثالثة. لم يكن هناك الكثير من القيود على حياتها كما في حياتي، لكنني أتخيل أنه سيكون من الصعب عليهم فعلًا تنظيم حفلة كهذه.

علّقت سيليستي: «إنه مثير للإعجاب، في ذكرى ميلادي، العام الماضي، أقمت حفلة تتطلب أن يكون كل شيء بالأبيض والأسود. لم يكن مسموحًا لأي شخص بالحضور بالألوان».

همست مارلي: «واو»، وكانت الغيرة واضحة في نبرتها.

«كانت الحفلة رائعة، مليئة بالطعام الفاخر والإضاءة الدرامية والموسيقى! حسنًا، لقد دعونا تيسا تامبل أيضًا. هل سمعتن بها؟».

كان من المستحيل ألا يعرف أحد تيسا تامبل. كان لديها على الأقل عشر أغانٍ حققت نجاحًا مذهلًا. وكنا نراها أحيانًا على التلفاز، رغم أن أمي كانت تستاء من ذلك. كانت تعتقد أن لدينا مواهب أكثر من أي شخص مثل تيسا، وكان يزعجها أنها تحظى بالشعبية والمال بينما نحن لا نملك ذلك، رغم أننا نؤدي الشيء نفسه.

قالت كريس بحماس: «إنها المفضلة لديَّ!».

«حسنًا، تيسا صديقة عزيزة للعائلة؛ لذلك جاءت وأحيت حفل ذكرى ميلادي. أعني، لم نكن لنسمح لبعض الأشخاص البائسين من الطبقة الخامسة بأن يغنوا بطريقتهم المملة ويقتلوا روح الاحتفال».

ألقت مارلي عليَّ نظرة جانبية سريعة، وعلمتُ أنها شعرت بالإحراج من أجلي بسبب قول سيليستي ذلك.

وهنا أضافت سيليستي وهي تنظر إليَّ: «آه، لقد نسيت، لم أقصد الإساءة».

كانت نبرة صوتها المتكلفة تستفز أعصابي بشدة. راودتني مرة أخرى رغبة جامحة في إسكاتها بصفعة... لكن كان من الحكمة أن أتحكم في نفسي وألا أتجاوز الحدود.

أجبتها بقدر ما استطعت من تماسك: «لا توجد إساءة».

«ماذا تفعلين بالضبط؛ كونك من الطبقة الثانية يا سيليستي؟ أعني، لم أسمع بموسيقاك على الراديو».

أجابتني بنبرة توحي بأنني كان يجب أن أعرف مسبقًا: «أنا أعمل عارضة أزياء، ألم تشاهدي إعلاناتي؟».

«لا أعتقد ذلك».

«آه، حسنًا، أنتِ من الطبقة الخامسة. أعتقد أنه لا يمكنكِ تحمل تكلفة شراء المجلات، على أي حال».

تركت كلماتها أثرًا مؤلمًا في نفسي. كانت على حق، لم نكن نملك المال لشراء المجلات. كنت أنا وماي نكتفي بإلقاء نظرات خاطفة عليها أثناء مرورنا أمام المتاجر، لكن امتلاك واحدة؟ لم يكن ذلك خيارًا.

تولت كريس زمام الحديث مجددًا لتغيير الموضوع: «أتعلمين يا أميريكا، كنت أريد أن أسألك عن مجال عملك؛ كونك من الطبقة الخامسة».

أجبتها: «الموسيقى».

قالت: «يجب أن تعزفي لنا في وقت ما!».

تنهدت وقلت: «في الواقع، أحضرت كماني معي لأعزف لكِ، اليوم. ظننت أنها ستكون هدية لطيفة، لكن لديكِ بالفعل فرقة موسيقية، لذلك فكرت أن...».

قاطعتني مارلي: «اعزفي لنا! من فضلك!».

وأضافت كريس: «أرجوكِ يا أميريكا، إنه حفل ذكرى ميلادي!».

قلت لها: «لكنهم جهزوا لكِ فرقة بالفعل...»، لكنهما لم تتركا لي مجالًا للاعتراض. وفي لحظات، كانت كريس ومارلي قد أوقفتا الفرقة الموسيقية وأخبرتا الجميع بالتجمع في مؤخرة القاعة.

فردت بعض الفتيات فساتينهن وافترشن الأرض، بينما سحبت أخريات بضعة كراسي نحو الزاوية. وقفت كريس في وسط الحشد وهي تصفق بحماس، في حين وقفت سيليستي

بجوارها، تمسك كأس الكريستال الذي لم ترتشف منه بعد.

بينما كانت الفتيات يأخذن أماكنهن بهدوء، بدأت أُعد الكمان بين يدي. اقتربت مني الفرقة الموسيقية الشبابية وكانت جاهزة لدعمي، بينما توقف بعض الخدم الذين كانوا في الغرفة عن إثارة الضجة.

أخذت نفَسًا عميقًا ورفعت الكمان إلى ذقني. ونظرت إلى كريس وقلت: «من أجلكِ».

تركت القوس يمر فوق الأوتار، ثم أغمضت عيني وتركت أنغام الموسيقى تتحدث.

في تلك اللحظات، تلاشت كل الأشياء الثقيلة التي كانت تحيط بي. لم يكن هناك وجود لسيليستي الشريرة، ولا لأسبن الذي يتجول في القصر، ولا للمتمردين الذين يهددون القصر. كانت هناك الموسيقى فقط، نغمة تسلم نفسها للأخرى، وكأن النغمات تخاف أن يبعدها الزمن عن بعضها، لكن النغمات تماسكت في وحدة واحدة وفاضت في الغرفة. وبينما أعزف، أصبحت تلك الهدية التي كنت أقدمها لكريس شيئًا أكثر من ذلك؛ أصبحت هدية لي أنا.

صحيح أنني من الطبقة الخامسة، لكنني لست بلا قيمة.

كانت الأغنية مألوفة مثل صوت أبي حين يناديني، ورائحة غرفتي. استغرقت في عزفها دقائق معدودة لكنها ممتعة ومليئة بالمعنى، ثم تركتها تنتهي بهدوء بينما أمرر القوس للمرة الأخيرة فوق الأوتار، وأرفع يدي في الهواء.

بحثت بنظري عن كريس، آملة أن أرى السعادة على وجهها بعد أن قدمت لها هديتها. لكنني لم أتمكن حتى من رؤية وجهها. كان ماكسون قد دخل الغرفة، ويقف خلف الحشد في بدلة رمادية أنيقة. وكان يحمل علبة تحت ذراعه، ومن الواضح أنها كانت هدية كريس. صفقت الفتيات بلطف من حولي، لكن الصوت بدا كأن صداه يأتي من مكان بعيد. كل ما استطعت أن أركز عليه كان وجه ماكسون. كانت عيناه مثبتتين عليَّ، تملؤهما نظرة انبهار، ثم تحولت

تعبيراته تدريجيًّا إلى ابتسامة دافئة. لم تكن تلك الابتسامة موجهة لأي فتاة في الغرفة سواي.

انحنيت وقلت: «جلالتكَ».

اندفعت الفتيات الأخريات ينهضن لتحية ماكسون عند دخوله الغرفة، ووسط هذا الاندفاع سمعت صيحة صدمة قطعت الجو.

«أوه، لا! أنا آسفة جدًّا يا كريس!».

استدار الجميع نحو مصدر الصيحة، وشهقت بعض الفتيات بدهشة. وعندما التفتت كريس نحوي، فهمت السبب. كان فستانها الجميل ملطخًا تمامًا من الأمام. كان السبب لكمة من سيليستي، وبدت كريس كأنها تعرضت لطعنة.

«آسفة، لقد استدرت بسرعة كبيرة. لم أقصد ذلك يا كريس، دعيني أساعدك».

بالنسبة لشخص عادي، قد تبدو نبرة سيليستي مليئة بالندم، لكنني كنت أرى بوضوح زيف كلماتها.

غطت كريس فمها بيدها وانفجرت باكية وهرعت إلى خارج الغرفة، منهية الحفل.
وللإنصاف، تبعها ماكسون على الفور لمواساتها، لكن جزءًا مني تمنى بشدة لو أنه بقي.

أما سيليستي فبدأت الدفاع عن نفسها أمام كل من كانت مستعدة للاستماع، مدعية أن ما حدث لم يكن سوى مجرد حادث. كانت تيوزداي تهز رأسها مؤيدة، قائلة إنها رأت كل شيء. لكن نظرات عيون بقية الفتيات الأخريات وحركات أجسادهن المستاءة كانت كافية لإظهار أن حججها لم يكن لها وزن يُذكر. وضعت كماني جانبًا بهدوء وهممت بالمغادرة، لكن مارلي أمسكت ذراعي فجأة وقالت بغضب: «يجب أن يفعل أحدهم شيئًا حيالها».

كانت مُحقة، فقد تجاوزت سيليستي كل الحدود. إذا كانت قادرة على دفع شخص طيب القلب مثل آنا إلى العنف، وتعتقد أنه من المقبول محاولة نزع فستاني، أو جعل شخصية مسالمة مثل مارلي على وشك الانفجار من الغضب، فهذا يعني أنها كانت إعصارًا يدمر كل ما يواجهه في مسابقة الاختيار.

كان عليّ أن أفعل شيئًا لإخراج تلك الفتاة من القصر.

الفصل 22

كنا في الحديقة مرة أخرى، نقضي الوقت حتى موعد النشرة. استغرق الأمر مني يومًا كاملًا للحصول على فرصة للتحدث إليه.

«أؤكد لك يا ماكسون، لم يكن ذلك حادثًا».

رد ماكسون: «لكنها بدت مصدومة، وظلت تعتذر كثيرًا، كيف يمكن ألا يكون حادثًا؟».

تنهدت: «أقول لك إنني أرى سيليستي كل يوم، وكانت تلك طريقتها الماكرة في تدمير لحظة كريس تحت الأضواء. هي تنافسية بشدة».

«حسنًا، إذا كانت تحاول سرقة انتباهي من كريس، فقد فشلت. لقد أمضيت مع كريس ما يقرب من ساعة، وكان وقتًا ممتعًا جدًّا».

لم أُرد أن أسمع عن ذلك. كنت أعرف أن هناك شيئًا صغيرًا وهشًّا بيننا، ولم أرغب في التعامل مع أي شيء قد يغيره. ليس قبل أن أتأكد من شعوري حيال ذلك بنفسي.

سألته: «ماذا عن آنا إذن؟».

«من؟».

«آنا فارمر؟ لقد ضربت سيليستي وأنت طردتها، هل تذكرت؟ أعرف أنها استفزت آنا».

بدا عليه الشك وسأل: «هل سمعتِ سيليستي تقول شيئًا؟».

«لا... لكنني أعرف آنا، وأعرف سيليستي. آنا لم تكن من النوع الذي يتصرف مباشرة بعنف. لا بد أن سيليستي قالت لها شيئًا قاسيًا لتتصرف بهذه الطريقة».

«أميريكا، أنا أعلم أنك تقضين وقتًا أكثر مع الفتيات، لكن إلى أي مدى يمكنك حقًّا معرفة شخصياتهن؟ أنتِ تحبين الاختباء في غرفتك أو في المكتبة. أظن أنكِ أكثر دراية بشخصيات خادماتكِ من أي واحدة من المختارات».

ربما كان على صواب، لكنني لم أتراجع: «هذا ليس عدلًا. كنت مُحقة بشأن مارلي، أليس كذلك؟ أليست لطيفة؟».

عبس ماكسون وقال: «بلى... هي لطيفة، على ما أعتقد».

«إذن، لماذا لا تصدقني عندما أقول لك إن ما فعلته سيليستي كان خطوة مدروسة؟».

«لا أظنكِ تكذبين طبعًا، أنا متأكد من أن الموقف بدا لكِ كذلك. لكن سيليستي اعتذرت، وكانت مهذبة معي».

تمتمت: «أراهن على ذلك».

تنهد ماكسون: «هذا يكفي، لا أريد التحدث عن الأخريات الآن».

اشتكيت له: «لقد حاولت أخذ فستاني يا ماكسون».

هتف بحدة: «قلتُ لا أريد التحدث عنها».

لم أحتمل أسلوبه أكثر من ذلك، فزفرت بغضب ورفعت ذراعي في الهواء قبل أن أتركهما يسقطان على ساقيَّ بقوة. كنت محبطة جدًّا لدرجة أنني أردت الصراخ.

وسمعته يقول: «إذا كنت ستتصرفين بهذه الطريقة فسأذهب لأجد شخصًا يقدِّر رفقتي»، ثم مشى مبتعدًا.

ناديته: «أنت!».

«لا!» استدار نحوي وتحدث بنبرة أكثر حدة مما تخيلت: «أنتِ تنسين نفسكِ يا آنسة أميريكا. سيكون من الأفضل لكِ أن تتذكري أنني ولي عهد إيليا. وبكل المقاييس، أنا سيد هذا البلد، ولن أسمح أبدًا بأن تعتقدي أن بإمكانك معاملتي بهذه الطريقة في منزلي. ليس عليكِ أن تتفقي مع قراراتي، ولكن عليكِ أن تلتزمي بها».

ثم استدار وغادر، دون أن يلاحظ أو يهتم بالدموع في عيني.

لم أنظر تجاهه أثناء العشاء، لكن كان من الصعب تجنب ذلك خلال النشرة. تقابلت عيوننا مرتين، وفي كل مرة كان يشد أذنه. لكنني لم أحاكِ هذه الإيماءة لأنني لم أرغب في التحدث معه الآن. كل ما فكرت فيه هو أنه سيوبخني أكثر على أي حال، ولم أكن بحاجة لذلك.

صعدت إلى غرفتي بعد ذلك وأنا مستاءة بشدة من ماكسون لدرجة أنني لم أستطع التفكير بعقلانية. لماذا لم يستمع إليَّ؟ هل يعتقد أنني كاذبة؟ والأسوأ من ذلك هل يعتقد أن سيليستي منزهة عن الكذب؟

ربما كان ماكسون مثل بقية الرجال، وسيليستي فتاة جميلة، وفي النهاية هذا ما سيحسم الأمر. ورغم كل حديثه عن رغبته في العثور على رفيقة روحه، فربما كان كل ما يريده في الحقيقة شريكةً في السرير وحسب.

وإذا كانت شخصيته هكذا، فلماذا أزعج نفسي بالأمر؟ كيف كنت بهذا الغباء؟! لماذا سمحت لنفسي بالانخداع؟ غبية، غبية، غبية! لقد عانقته، قلت له إنني سأتحلى بالصبر! ولأجل ماذا؟ لأواجه هذا؟

انعطفت نحو غرفتي، لكنني توقفت فجأة عندما وجدت أسبن يقف أمام الباب. تلاشت كل مشاعر الغضب بداخلي لتحل محلها موجة غامضة من الحيرة والارتباك. الحراس، كقاعدة

عامة، يثبتون أنظارهم أمامهم ويبقون في حالة تأهب، لكنه كان مختلفًا، كان يتأملني بنظرة غامضة.

همس: «آنسة أميريكا».

«الضابط ليجر».

ورغم أن هذا لم يكن من واجباته فإنه انحنى ليفتح لي الباب. مررت بجواره ببطء، وقلبي يخفق بخوف غريب، وكأنني إذا أدرت له ظهري فسيختفي، وكأنه قد لا يكون حقيقيًا. ورغم كل محاولاتي لإبعاده عن ذهني وقلبي، كان كل ما أردته في تلك اللحظة أن يبقى معي. وبينما مررت بجواره، شعرت بنفَسه الدافئ يلامس شعري، وتملَّكتني قشعريرة سرت في كل جسدي. وعندما التفتُ رأيت عينيه مثبتتين عليّ، قبل أن يغلق الباب خلفي ببطء.

كان النوم مستحيلًا، تلك الليلة، ظللت أتقلب في سريري لساعات، تتصارع أفكاري بين خيبة أملي في ماكسون وقرب أسبن. كنت أشعر بالضياع، عاجزة عن اتخاذ أي قرار أو فهم أي شيء. غمرتني الأفكار لدرجة أنني لم أنتبه لمرور الوقت، إلا عندما تجاوزت الساعة الثانية صباحًا.

تنهدت مستسلمة. غدًا، سيكون على خادماتي أن يبذلن جهدًا مضاعفًا ليجعلنني أبدو على ما يرام.

وفجأة، رأيت ضوءًا قادمًا ببطء من الممر، شعرت كأنني في حلم. فتح أسبن الباب بهدوء بالغ، وتسلّل إلى الداخل وأغلقه خلفه.

همست له بينما كان يدخل الغرفة: «أسبن، ماذا تفعل؟ لو قبضوا عليك هنا، فستكون في ورطة كبيرة!».

لم يرد، بل استمر في المشي بهدوء.

«أسبن؟».

توقف أمام سريري، ثم وضع العصا التي كان يحملها جانبًا وسألني: «هل تحبينه؟».

للحظةٍ شعرت كأن الكلمات علقت في حلقي، نظرت إلى عينيه الغائرتين، بالكاد أميزهما بصعوبة في الظلام، وقلت: «لا».

سحب أسبن الغطاء عني بحركة مفاجئة جمعت بين الخفة والاندفاع. كان ينبغي أن أعترض، أن أفعل أي شيء، لكنني بقيت صامتة. امتدت يداه خلف رأسي ودفع وجهي نحو وجهه ليقبّلني بشغف. وفي تلك اللحظة، بدا كل شيء في العالم كأنه عاد إلى مكانه الصحيح. لم تعد تفوح منه رائحة صابونه المصنوع يدويًّا، وبدا أقوى من قبل. لكن كل لمسة، كل حركة، كانت مألوفة.

همست حين استطعت أن ألتقط أنفاسي، بينما كانت شفتاه تتنقلان ببطء نحو عنقي: «سيقتلونك لفعل هذا».

رد عليَّ: «إذا لم أفعل، فسأموت على أي حال».

حاولت جمع إرادتي لأطلب منه التوقف، لكنني كنت أعلم أنني لن أستطيع. أعلم أن كل شيء في هذه اللحظة كان خاطئًا، كنا ننتهك الكثير من القواعد؛ فأسبن لديه حبيبة، وكان بيننا شيء أنا وماكسون. لكن كل ذلك تلاشى في تلك اللحظة. كنت غاضبة جدًّا من ماكسون، وأسبن كان الوحيد الذي وجدت فيه عزائي؛ لذا تركت يديه تتحركان صعودًا وهبوطًا على ساقي، ولم أقاوم.

أدهشني كيف كان الشعور مختلفًا، هذه المرة، لم يكن لدينا كل هذه المساحة من قبل.

لكن حتى مع هذه الهدنة المؤقتة، كانت الأفكار تشتعل في رأسي. كنت غاضبة؛ غاضبة من ماكسون؛ غاضبة من سيليستي، غاضبة حتى من أسبن. بل اللعنة، كنت غاضبة من إيليا

كلها. بينما استمر عناقنا الحميم، شعرت بالدموع تنساب من عيني.

ورغم ذلك، لم يتوقف أسبن. استمر في معانقتي؛ لكن سرعان ما أدركت أن بعض الدموع على وجهي كانت دموعه.

تمتمت: «أنا أكرهك، هل تعلم ذلك؟».

«أعلم يا مير، أعلم ذلك».

ذلك الاسم... مير. عندما يناديني به، كنت أشعر كأنني في عالم آخر. ورغم كل الغضب الذي اجتاحني، كان أسبن بمثابة وطني.

استمرت اللحظة بيننا كأن الزمن توقف. لكن بعد ما يقرب من خمس عشرة دقيقة، عاد الواقع لينبهنا إلى ما يحدث.

قال: «عليَّ أن أعود، الحارس الذي يقوم بالدورية سيبدأ البحث عني قريبًا».

«ماذا؟».

«هناك حراس يقومون بجولات بشكل عشوائي. قد يكون لديَّ عشرون دقيقة، أو ربما ساعة. لكن إذا كانت الجولة قصيرة، فلديَّ أقل من خمس دقائق».

قلت بلهفة، وأنا أقفز من السرير لمساعدته: «إذن أسرع!»، وبدأت أرتب شعره في عجلة.

أمسك عصاه وركضنا معًا نحو مدخل الغرفة. قبل أن يفتح الباب، استدار وجذبني إليه ليقبِّلني مرة أخرى.

شعرت كأن أشعة الشمس النقية تسري في عروقي؛ تسري في كل جزء مني، وتضيء عتمة قلبي.

قلت له: «لا أصدق أنك هنا، كيف انتهى بك الأمر في حرس القصر؟».

هزّ كتفيه: «يبدو أنني موهوب بالفطرة. يقومون بنقل الجميع إلى مكان التدريب في وايتس. كان المكان مغطى بالثلوج يا أميريكا! لا شيء يشبه المطر في بلدنا. يتم إطعام وتدريب واختبار الحراس الجدد هناك. يعطوننا أيضًا بعض اللقاحات، لا أعرف ما الذي تحتوي عليه، لكنني اكتسبت المهارة بسرعة. أصبحت مقاتلًا قويًا وذكيًا، وحصلت على أعلى الدرجات في صفنا».

ابتسمت بفخر: «لا يفاجئني ذلك على الإطلاق» ثم عانقته مجددًا. كان أسبن دائمًا أفضل من أن يعيش حياة الطبقة السادسة.

فتح أسبن الباب وتفقد الممر فوجده فارغًا.

همست له: «لديّ الكثير لأخبرك به، نحن بحاجة إلى الحديث».

«أعلم، وسنفعل ذلك. سيستغرق الأمر بعض الوقت، لكنني سأعود إليك. ليس هذه الليلة، ولا أعلم متى بالضبط، ولكن قريبًا».

ثم عانقني مرة أخرى بحرارة لدرجة أشعرتني بالألم.

همس: «اشتقت إليك»، ثم عاد إلى موقعه.

عدت إلى سريري وأنا في حالة ذهول، لم أستطع تصديق ما فعلته للتو. جزء مني - جزء غاضب للغاية - شعر بأن ماكسون يستحق ذلك. إذا كان مستعدًا لحماية سيليستي وإهانتي بهذه الطريقة، فلماذا يجب عليّ البقاء في هذه المنافسة البائسة؟ إذا كانت سيليستي تجد طرقًا للتحايل على القواعد، فلن يمنعني شيء بعد الآن، لقد حُلت المشكلة.

سيطر عليّ الإرهاق فجأة، وغفوت في غضون لحظات.

الفصل 23

في صباح اليوم التالي، استيقظت وأنا أشعر بشيء من الذنب، وحتى بالخوف. عدم استجابتي لإشارة شد الأذن من ماكسون لا يعني أنه ليس بإمكانه القدوم إلى غرفتي في أي وقت يشاء، وكان من السهل جدًّا أن يتم اكتشافنا. لو علم أي شخص بما حدث...

كانت خيانة، والطريقة الوحيدة التي يتعامل بها القصر مع الخيانة معروفة للجميع.

لكن مع ذلك، كان هناك جزء مني لا يكترث لهذا كله. في اللحظات الضبابية بين النوم واليقظة، استعدت كل نظرة في عينيْ أسبن، وكل لمسة، وكل همسة. كنت قد افتقدت ذلك بشدة.

تمنيت لو كان لدينا المزيد من الوقت لنتحدث، كنت بحاجة ماسة لمعرفة ما كان يفكر فيه أسبن. رغم أن الليلة الماضية قد أعطتني بعض التلميحات حول ما يدور في ذهنه. كان الأمر لا يصدَّق، بعد كل المحاولات الصعبة لتجاهل مشاعري تجاهه، هل يرغب بي حقًّا بعد كل هذا؟

كنا يوم السبت، ومن المفترض أن أذهب إلى غرفة النساء، لكن مجرد التفكير في ذلك أثقل صدري. لم أكن أستطيع تحمل الأحاديث المرهقة التي لا تنتهي في الطابق السفلي. كنت بحاجة إلى لحظة هدوء، لحظة أفكر فيها بعيدًا عن الجميع. عندما جاءت خادماتي صباحًا، أخبرتهن بأنني أشعر بصداع وسأبقى في الفراش اليوم.

قمن بمساعدتي وأحضرن لي الطعام ونظفن الغرفة بكل هدوء. وللحظة، شعرت بالذنب لأنني كذبت عليهن، لكن الحقيقة أنني لم أستطع مواجهة أي شخص اليوم؛ فمواجهة الملكة والفتيات، وربما ماكسون، كانت أشبه بمهمة مستحيلة، بينما ذهني مستغرق في التفكير في أسبن.

استلقيت على السرير وأغلقت عيني، لكن لم أنم. كان رأسي يعج بالفوضى، حاولت ترتيب مشاعري وفهمها. لكن قبل أن أتمكن من تحقيق أي تقدم، سمعت طَرقًا على الباب.

فتحت عيني ورأيت آن تسأل بصمت إن كان عليها أن تفتح الباب. اعتدلت في السرير ومشطت شعري بيدي وأشرت لها برأسي أن تفتحه.

كنت أدعو بصمت ألا يكون ماكسون خلف الباب، فقد خشيت أن يقرأ جرائمي على وجهي بسهولة. لكنني لم أتوقع رؤية أسبن يدخل من الباب، شعرت بجسمي كله يضحى مشدودًا وتمنيت ألا تلاحظ خادماتي ذلك.

قال بصوت رسمي موجهًا كلامه لآن: «عذرًا يا آنسة، أنا الضابط ليجر. جئت للتحدث مع السيدة أميريكا بشأن بعض التدابير الأمنية».

ردت بابتسامة مشرقة أكثر من المعتاد: «بالطبع»، وأشارت له بالدخول. وعلى الجانب الآخر من الغرفة، رأيت ماري تدفع لوسي بمرفقها، فضحكت ضحكة خفيفة.

عندما لاحظهما أسبن، أدار رأسه نحوهما وأمال قبعته قليلًا وقال: «آنستيَّ».

خفَّضت لوسي رأسها، بينما بدت وجنتا ماري أكثر احمرارًا من شعري. لم ترد أي منهما بكلمة، أما آن، فرغم تأثرها الواضح بجاذبية أسبن، فقد كانت متماسكة بما يكفي لتتحدث.

سألتني: «هل نغادر آنستي؟».

فكرت للحظة. لم أرغب في أن أبدو متلهفة جدًا، لكن فكرة الحصول على بعض الخصوصية كانت ستفيدني.

قررت أن أقول: «لبضع دقائق فقط، أنا متأكدة من أن الضابط ليجر لن يحتاج إليَّ لفترة طويلة»، فغادرن سريعًا.

ما إن أغلقن الباب خلفهن حتى تكلم أسبن: «أنتِ مخطئة، أخشى أنني سأحتاج إليك لفترة طويلة جدًّا»، وغمز لي.

هززت رأسي وقلت: «ما زلت لا أصدق أنك هنا».

ودون إضاعة المزيد من الوقت، خلع أسبن قبعته ووضعها جانبًا قبل أن يجلس على حافة سريري. كانت يداه قريبتين من يدي، تلامس أطراف أصابعه بصعوبة أطراف أصابعي، قال: «لم أظن يومًا أنني سأعدُّ التجنيد نعمة، لكن إذا كان هذا يعني أن تُتاح لي الفرصة للاعتذار لك، فسأظل ممتنًّا إلى الأبد».

أدهشتني كلماته لدرجة أنني وجدت نفسي عاجزة عن الرد.

حدجني بنظرة طويلة فاحصة، وقال: «أرجوكِ سامحيني يا مير. كنت غبيًّا جدًّا، ندمت على تلك الليلة في بيت الشجرة منذ اللحظة التي نزلت فيها السلم. كنت عنيدًا جدًّا لأقول أي شيء حينها، ثم تم قبولك في المسابقة... لم أكن أعرف ماذا أفعل». توقف للحظة، وبدا أن الدموع تجمعت في مآقيه. هل كان ممكنًا أن أسبن بكى من أجلي كما كنت أبكي من أجله؟ أردف: «ما زلت أحبكِ بجنون».

عضضت على شفتي، أحاول كبح دموعي. رغم كل ما قاله، كنت بحاجة إلى التأكد من شيء واحد قبل أن أسمح لنفسي بأن أصدقه أو أفكر في الأمر.

سألته: «وماذا عن برينا؟».

تغيرت ملامح وجهه فجأة، كأن السؤال أربكه وسأل: «ماذا؟».

أخذت نفسًا متقطعًا، بصعوبة أتمالك أعصابي وقلت: «رأيتكما معًا في الساحة عندما كنت أغادر، هل انتهت علاقتكما؟».

انقبض وجه أسبن للحظة يتذكر قبل أن ينفجر في الضحك. رفع يديه ليغطي فمه، ثم وقع بظهره على السرير وهو يضحك بلا توقف، قبل أن ينهض فجأة ويسألني: «هل هذا ما تعتقدينه؟ أوه يا مير، لقد تعثرت وسقطت، وأنا أمسكت بها فقط».

شعرت بتردد داخلي، وكدتُ لا أصدقه: «تعثرت؟».

هز رأسه مؤكِّدًا، محاولًا أن يكتم ضحكته، هذه المرة: «نعم، الساحة كانت مزدحمة جدًّا، والناس يستطيعون بمشقة التحرك. فقدت توازنها وسقطت بين ذراعي، ثم قالت مازحة إنها حمقاء. أنت تعلمين برينا وطبيعتها، حتى في أفضل أحوالها». وبينما كنت أستمع إليه، تذكرت المرة التي رأيتها فيها تسقط من فوق الرصيف دون أي سبب ظاهر. لماذا لم يخطر لي أنها قد تكون مجرد حادثة عابرة؟ تابع: «بمجرد أن تمالكت نفسها، ابتعدت عنها وكنت في طريقي نحو المسرح».

استعدت في ذهني تلك اللحظات، ومحاولاته اليائسة للفت انتباهي. لم يكن يزيف أي شيء، كنت متأكدة من ذلك الآن. ابتسمت وقلت: «وما الذي كنت تخطط لفعله عندما تصل إلى هناك؟».

هز كتفيه: «في الحقيقة، لم أفكر في ذلك كثيرًا. كل ما كان يدور في رأسي أنني بحاجة للتوسل إليكِ لتبقي. كنت مستعدًّا أن أبدو أحمق أمام الجميع إذا كان ذلك يعني أنكِ لن تركبي تلك السيارة. لكن عندما رأيت وجهكِ... بدوتِ غاضبة جدًّا. وقد فهمت الآن لماذا كنتِ كذلك». ثم تنهد وتابع: «في النهاية لم أتمكن من فعل ذلك. وقلت لنفسي إنك ربما تجدين السعادة هنا». نظر حوله يتفقد الغرفة الفاخرة المزينة بكل الأشياء الجميلة التي كانت مؤقتًا مِلكًا لي، وفهمت قصده.

ثم أردف: «كنت أفكر أنه يمكنني كسب قلبكِ بمجرد عودتكِ إلى المنزل». لكن صوته تغير فجأة وملأه القلق: «كنت متأكدًا من أنكِ سترغبين في العودة إلى المنزل بأسرع ما يمكن. ولكنك... لم تعودي».

توقف لحظة ونظر إليَّ، لكن لحسن الحظ لم يسأل عن مدى قرب العلاقة بيني وماكسون. كان قد رأى ما يكفي ليعرف بعض التفاصيل، لكن لم يكن يعلم أننا تبادلنا العناق أو أن بيننا إشارات سرية. ولم أُرد أن أضطر لشرح ذلك.

«ثم جاء التجنيد. كنت أعتقد أنه ليس من العدل حتى أن أفكر في الكتابة إليكِ، قد أموت هناك. ولم أُرد أن أحاول استعادة حبكِ مجددًا، كي أخسركِ مرة أخرى...».

قاطعته بإنكار: «استعادة حبي مجددًا؟ أسبن، لم أتوقف قط عن حبك».

في حركة سريعة لكنها مليئة بالحنان، اقترب أسبن مني وعانقني. ربَّت خدي بيده، وضمني إليه. فشعرت بكل دقيقة وذكرى قضيتها معه في السنتين الماضيتين تعود لتغمرني، وكنت ممتنة لعدم رحيل تلك الذكريات من قلبي.

تمتم أسبن بين أحضاني: «أنا آسف جدًّا يا مير، آسف على كل شيء».

توقف فجأة لينظر إليَّ، وافتر ثغره عن ابتسامة صغيرة، كانت عيناه تسألانني عما كنت أفكر فيه نفسه: ماذا سنفعل الآن؟

لكن قبل أن أُرد، انفتح الباب فجأة، ووقع نظري على خادماتي وهن يحدقن إلينا متعجبات من قرب أسبن مني، وتملَّكني الرعب.

لكن أسبن سيطر على الموقف وقال وهو يضغط يده برفق أكثر على خدي قبل أن يحركها إلى جبيني: «الحمد لله أنكن عدتن! أعتقد أنه ليس لديكِ حمى يا آنسة».

سألت آن، وقد بدا على ملامحها القلق وهي تسرع إلى سريري: «ماذا حدث؟».

نهض أسبن وأجاب: «بدأت تقول إنها تشعر بشيء غريب، شيء في رأسها».

سألَت ماري: «هل صداعك أسوأ، الآن، آنستي؟ تبدين شاحبة جدًّا!».

كنت متأكدة من ذلك، فلا شك في أن كل قطرة دم اختفت من وجهي في اللحظة التي رأونا فيها معًا. لكن أسبن، الذي ظل هادئًا تحت الضغط، حلَّ المشكلة في ثانية واحدة.

قالت لوسي وهي تسرع إلى الحمام: «سأحضر الدواء».

قال أسبن بينما بدأت خادماتي العمل: «اعذريني آنستي، لا أريد أن أزعجك أكثر من ذلك. سأعود عندما تشعرين بتحسن».

كنت أرى في عينيه الوجه نفسه الذي احتضنته ألف مرة في بيت الشجرة. كان العالم من حولنا جديدًا تمامًا، لكن ترابطنا ظل كما كان دائمًا.

همستُ: «شكرًا لك، أيها الضابط».

انحنى انحناءة صغيرة وخرج من الغرفة.

سرعان ما كانت خادماتي يتحركن من حولي، يحاولن معالجة مرض لم يكن موجودًا.

لم يكن رأسي هو ما يؤلمني، بل قلبي. كان الشوق لذراعيْ أسبن مألوفًا جدًّا، وكأنه لم يغب عني يومًا.

استيقظت على هزة قوية على كتفي من آن في منتصف الليل.

تمتمت في نومي: «ماذا...؟».

كان صوتها مضطربًا ومليئًا بالخوف: «من فضلكِ آنستي، يجب عليكِ النهوض!».

قلت لها: «ما الأمر؟ هل أصبتِ بشيء؟».

ردت: «إنهم يهاجموننا، يجب أن نأخذكِ إلى القبو».

شعرت بالارتباك التام، وكأن عقلي لم يستوعب ما سمعته. لكن عندما نظرت خلفها، رأيت لوسي تبكي.

سألت مصدومة: «هل دخلوا بالفعل؟».

كان نشيج لوسي المذعور هو الإجابة الوحيدة التي كنت بحاجة إليها.

سألت بصوت يملؤه التوتر: «ماذا نفعل؟»، وفجأة شعرت باندفاع الأدرينالين في جسدي واستيقظت حواسي. قفزت من السرير، وبينما كنت أنهض، كانت ماري تدفع قدميَّ في حذائي، وآن تضع رداء علي ظهري. وكل ما كان يدور في رأسي حينها: هل أهم من الشمال أم الجنوب؟

قالت آن بسرعة وهي توجهني: «هناك ممر هنا في الزاوية، سيأخذكِ مباشرة إلى غرفة الأمان في القبو، الحراس هناك ينتظرونك. على الأغلب وصلت العائلة الملكية بالفعل، ومعظم الفتيات أيضًا. أسرعي، آنستي!».

سحبتني آن إلى الرواق، ودفعت جزءًا من الحائط، فانفتح ممر سري مثل الذي يوجد في الروايات الغامضة. وخلف الجدار، كان هناك درج يؤدي إلى الأسفل. وبينما كنت أقف هناك مذهولة للحظة، اندفعت تايني من غرفتها تركض عبر الممر بسرعة.

قلت: «حسنًا، لنذهب».

لكن آن وماري حدقتا إليَّ في تردد، بينما كانت لوسي ترتجف بشكل واضح، تحاول بصعوبةٍ الوقوف.

كررت بحدة: «هيا لنذهب».

«لا يا آنستي، نحن سنذهب إلى مكان آخر. من فضلك، أسرعي قبل أن يصلوا إلى هنا!».

كنت أعلم أن مصير خادماتي سيكون على المحك. في أفضل الأحوال، قد يتعرضن للإصابة إذا تم العثور عليهن؛ وفي أسوأ الأحوال، قد يفقدن حياتهن. لم أستطع تحمل فكرة تعرضهن للأذى، ربما كنت مغرورة بعض الشيء، لكن إذا كان ماكسون قد بذل كل هذا الجهد من أجلي، فقد يهتم بخادماتي إذا رأى أن أمرهن يهمني، حتى إن كنا متشاجرين. ربما كان هذا افتراضًا جريئًا، وتفاؤلي كان مبالغًا فيه، لكنني لم أكن مستعدة لتركهن خلفي. جعلني الخوف أتحرك بسرعة، أمسكت ذراع آن ودفعتها إلى الداخل. تعثرت آن ولم تستطع منعي، بينما أمسكت ماري ولوسي وجررتهما معي.

أمرتهن: «هيا تحركن!».

بدأن السير، لكن آن كانت تعترض طوال الطريق وتقول: «لن يسمحوا لنا بالدخول، آنستي! هذا المكان مخصص فقط للعائلة... سيجعلوننا نغادر!». ولم أكترث لكلماتها. مهما كان المكان المخصص لاختباء الخادمات، فلن يكون، بأي حال من الأحوال، آمنًا كالمكان الذي تتواجد فيه العائلة الملكية الآن.

كان السلم مُضاءً على بعد كل بضعة أمتار، لكن ذلك لم يمنعني من التعثر عدة مرات في عجلتي للتحرك. كان ذهني مشوشًا بالخوف والتساؤلات: إلى أي مدى توغل المتمردون؟ هل يعرفون بوجود هذه الممرات السرية؟ كانت لوسي ترتجف بشدة، تكاد لا تقدر على التحرك؛ لذا أمسكت بها لتظل بقربي.

لم أتمكن من تقدير الوقت الذي استغرقناه للوصول إلى الأسفل، لكن أخيرًا، انفتح الممر الضيق ليكشف عن كهف واسع، من الواضح أنه مِن صنع الإنسان. كنت أرى سلالم أخرى تؤدي إلى المكان نفسه، وفتيات أخريات يسرعن نحو ما بدا كأنه باب معدني سميك بسُمك قدمين. وأخذنا نركض نحو الأمان.

قال أحد الحراس موجهًا حديثه لخادماتي: «شكرًا لإيصال هذه الفتاة، يمكنكن المغادرة الآن».

قلت بحزم، مستخدمة كل سلطتي: «لا! هنّ معي، سيبقين هنا!».

نظر الحارس إليَّ وقال: «لديهن أماكنهن الخاصة ليختبئن فيها يا آنسة».

«حسنًا، إذا لم تسمح لهن بالدخول فلن أدخل أنا أيضًا. أنا واثقة بأن الأمير ماكسون سيتصرف بشأنك إن علم أن غيابي كان بسببك، هيا لنرحل يا فتيات»، وسحبت يدي ماري ولوسي، لكن آن وقفت صامتة في حالة من الصدمة.

«انتظرن! حسنًا، ادخلن. لكن إذا اعترض أي شخص على وجودهن، فستكون مسئوليتكِ ».

«لا مشكلة»، وسِرت بصحبتهن بخطى واثقة، رافعة رأسي إلى داخل الغرفة الآمنة.

داخل الغرفة، كان هناك صخب واضح. تجمعت بعض الفتيات معًا يبكين، بينما انهمكت أخريات في الدعاء. وعلى الجانب الآخر من الغرفة، كان الملك والملكة يجلسان وحدهما، تحيط بهما حراسة مشددة. وبالقرب منهما، كان ماكسون يقف ممسكًا يد إيلاينا. كانت تبدو متوترة قليلًا، لكنها بدت مطمئنة بوجوده بقربها. نظرت إلى العائلة الملكية الجالسة بالقرب من الباب. فكرت هل سيفعلون مثل قبطان السفينة الذي يظل على متنها حتى تغرق؟ هل سيفعلون المستحيل لإنقاذ المكان، لكن إذا غرقت السفينة، فسيكونون أول من يغرق.

تحولت جميع العيون إليَّ عندما دخلت، وإلى خادماتي اللاتي اصطحبتهن معي، نظرت سريعًا إلى تعبيراتهم المندهشة، وأومأت بتحية قصيرة، وتابعت المشي دون تردد، واثقة أن إظهار الثقة سيمنع أي اعتراض.

ولكنني كنت مخطئة.

خطوت بضع خطوات فقط قبل أن تقترب مني سيلفيا، بدت هادئة كأنها اعتادت هذه المواقف.

قالت وهي تنظر إلى خادماتي: «من الجيد أن نحظى ببعض المساعدة»، ثم أمرتهن: «يا فتيات، اذهبن فورًا إلى مخازن المياه في الخلف وقمن بتقديم المرطبات للعائلة الملكية والآنسات هنا، هيا تحركن بسرعة».

قلت على الفور: «لا».

التفتُّ إلى آن، ومنحتها أول أمر حقيقي يصدر عني: «من فضلك يا آن، خذي بعض المرطبات إلى الملك والملكة والأمير، ثم عودي إليَّ»، ثم وجّهت نظري إلى سيلفيا وقلت: «البقية يمكنهن تدبير أمورهن بأنفسهن. إذا اخترن ترك خادماتهن بمفردهن، فليحصلن على الماء بأنفسهن. ستظل خادماتي معي، هيا تعالين يا فتيات».

كنت أعلم أن صوتي المرتفع قليلًا سيصل إلى مسامع العائلة الملكية القريبة منا. لم أعبأ بما إذا كانوا سيعدُّونني وقحة؛ ما كان يهمني في تلك اللحظة هو حماية لوسي. كانت مرتعدة بشكل يفطر القلب، من رأسها حتى أخمص قدميها. لم أكن لأسمح لها بخدمة أحد لا يشعر بنصف ما تشعر به من الرعب هنا وهي في هذه الحالة.

ربما كان ذلك إحساسي الفطري كأخت كبيرة، لكن كان عليَّ أن أضمن سلامة الفتيات.

توجهنا إلى ركن صغير في آخر الغرفة. بدا كأن المسئولين عن تجهيز المكان لم يتوقعوا هذا العدد الكبير من الناس بسبب مسابقة الاختيار القائمة؛ لأن عدد الكراسي لم يكن كافيًا. ومع ذلك لاحظت وجود مخزون كبير من الطعام والماء. كان من الواضح أنهم جهزوا المؤن بما يكفي لدعمنا لعدة أشهر، إذا لزم الأمر.

كانت الغرفة مزيجًا غريبًا من الناس. المسئولون الذين عملوا طوال الليل ظهر عليهم الإرهاق الشديد، مرتدين بدلاتهم الرسمية. أما ماكسون فكان لا يزال في ملابسه اليومية، في حين كانت معظم الفتيات يرتدين ثياب النوم الرقيقة التي تناسب حرارة الغرف

بالأعلى. بعضهن لم يتمكن من ارتداء شيء فوق ثيابهن في عجلة الهروب، حتى أنا رغم ردائي شعرت ببعض البرودة.

تجمّعت الفتيات في مقدمة الغرفة. كان من الواضح أنهن سيكنَّ أول من يلقى مصيره إذا نجح أحدهم في اقتحام الباب. لكن إن لم يحدث ذلك، فكرت في كم الوقت الذي سيقضينه أمام ماكسون. كان بعضهن أقرب إلى حيث كنت أقف، معظمهن في حالة تشبه حال لوسي؛ أجسادهن ترتجف، ودموعهن تُغرق وجوههن، وعيونهن تتوسل النجاة.

أخذت لوسي تحت ذراعي، محاوِلة أن أمدَّها ببعض الطمأنينة. ومن الجهة الأخرى، احتضنتها ماري. لم يكن هناك ما يُقال لتهدئة أنفسنا، لذا التزمنا الصمت وأخذنا نستمع إلى ضجيج الغرفة، ذكّرني الضجيج بيومنا الأول هنا، عندما كانت الفتيات يجهِّزن أنفسهن للتجميل. أغمضت عيني، وحاولت استعادة ذلك المشهد؛ في محاولة مني لأشعر بالهدوء بقدر ما كان يبدو عليَّ.

«هل أنتِ بخير؟».

رفعت بصري إلى مصدر الصوت، لأجد أسبن واقفًا أمامي، متألّقًا في زيه الرسمي. كان صوته رسميًّا، ولم يبد عليه التأثر على الإطلاق. تنهدت وقلت: «نعم، شكرًا لك».

ساد الصمت بيننا للحظة، راقبنا فيها الحاضرين وهم يتحركون بتوتر في أنحاء الغرفة. بدا التعب واضحًا على ماري، فقد استسلمت للنوم بالفعل وأسندت رأسها بثقل إلى كتف لوسي. أما لوسي فقد هدأت إلى حد ما؛ توقفت عن البكاء، وجلست تنظر إلى أسبن بعينين تملؤهما الدهشة.

قال أسبن: «من اللطف منك أن تجلبي خادماتك معك، ليس الجميع يتحلَّون بهذه الرحمة تجاه مَن هم أدنى منهم».

قلت بهدوء: «الطبقات لا تعني لي الكثير»، فارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة.

أخذت لوسي نفسًا عميقًا، كما لو كانت تستجمع شجاعتها لطرح سؤال على أسبن، لكن فجأة اجتاح الغرفة صياح عالٍ. كان أحد الحراس في الطرف البعيد يصدر أوامر صارمة لنا جميعًا بالالتزام بالصمت.

خطا أسبن بعيدًا، وهو ما كان في الواقع أمرًا جيدًا. فقد خفت أن يلاحظ أحد أي شيء علينا.

سألتني لوسي: «هذا الحارس نفسه الذي رأيناه من قبل، أليس كذلك؟».

«بلى، إنه هو».

قالت: «لقد رأيته مؤخرًا يحرس بابكِ، يبدو ودودًا جدًّا».

كنت واثقة بأن أسبن يتحدث إلى خادماتي باللطف نفسه الذي يُظهره لي، في النهاية، كانوا جميعًا من الطبقة السادسة.

أضافت لوسي: «إنه وسيم جدًّا».

ابتسمت، لكنني لم أجب. فكرت في قول شيء، غير أن الحارس نفسه أمرنا بالصمت. ومع تلاشي الأحاديث المتناثرة تدريجيًّا، خيَّم على الغرفة صمت ثقيل.

كان الصمت أسوأ من أي صوت. في غياب أي شيء حقيقي أركز عليه، انطلق خيالي، يأخذني إلى مشاهد مرعبة: غرف مدمرة، جثث متراكمة في كل زاوية، وجيش لا يرحم يقترب من الباب. ووجدت نفسي أحتضن الفتيات بقوة إلى جانبي، وكأن هذا القرب يمكن أن يشكل درعًا تحمينا من أي خطر قد يداهمنا.

الصوت الوحيد في الغرفة كان لخطوات ماكسون الهادئة وهو يتفقد كل فتاة على حدة. عندما وصل إلى الركن الذي نجلس فيه، كانت لوسي الوحيدة المستيقظة بجانبي. من حين لآخر، نهمس لبعضنا بكلمات مكتومة، نعتمد على قراءة شفاه بعضنا. اقترب ماكسون

بابتسامة وهو يرى الفتيات المستندات إليَّ. في تلك اللحظة، اختفى أي أثر للغضب على وجهه إثر الشجار الذي كان بيننا. كنت أرغب بشدة في تسوية خلافنا، لكن ابتسامته الممتنة، التي عبَّرت عن سعادته برؤيتي بخير كانت كافية لتحرك داخلي شعورًا موجعًا بالذنب...ماذا فعلت بنفسي؟

سألني: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت برأسي، فانتقل بنظره إلى لوسي ومال قليلًا عليَّ ليخاطبها. استنشقت رائحته بعمق، كان لماكسون رائحة فريدة، لا تشبه أي شيء يمكن أن يُعبأ في زجاجة. لم يكن عبيرًا من القرفة أو الفانيليا، أو حتى الصابون المنزلي. كانت رائحته الخاصة، مزيجًا مميزًا ينبعث من كيانه.

سأل لوسي: «وأنتِ؟».

أومأت لوسي برأسها أيضًا.

حاول تخفيف توتر الموقف العصيب بابتسامة دافئة للوسي: «هل أنتِ متفاجئة بوجودك هنا بالأسفل؟».

ردّت لوسي وهي تومئ باتجاهي: «لا، جلالتك. ليس مع آنستي».

التفت ماكسون إليَّ، وكان قريبًا جدًّا لدرجة جعلتني أشعر بعدم ارتياح. كان هناك الكثير من العيون التي يمكنها أن تلاحظنا، بما في ذلك عينا أسبن. لكن اللحظة كانت قصيرة، فقد أعاد تركيزه بسرعة إلى لوسي.

ابتسم مجددًا: «أفهم قصدك»، وبدا كأنه على وشك إضافة شيء آخر، لكنه تراجع عن ذلك. وابتعد ليستأنف جولته.

أمسكت ذراعه بسرعة وسألته بصوت خافت: «هل هم من الشمال أم الجنوب؟».

همس: «هل تذكرين جلسة التصوير؟».

صُدمت وأومأت برأسي دون أن أنطق بكلمة. عرفت فورًا ما يعنيه. هؤلاء المتمردون كانوا يشقون طريقهم نحو الشمال الغربي، يحرقون المحاصيل ويذبحون الأبرياء في طريقهم بلا رحمة. لقد أمر ماكسون باعتراض طريقهم. لكن هذه الوحوش التي لا تعرف الرحمة، كانوا يتقدمون نحونا طوال هذا الوقت، دون أن نتمكن من إيقافهم. هؤلاء السفاحون كانوا من الجنوب.

«لا تخبري أحدًا»، همس بهذه الكلمات قبل أن يتحرك بعيدًا عني، متجهًا نحو فيونا التي كانت جالسة في ركن بالغرفة، تحتضن نفسها وتبكي بصمت.

بدأت أتمرن على التنفس ببطء، وحاولت تخيل طرق للهروب إذا وصل المتمردون إلينا، لكنني كنت أعلم أنني أخدع نفسي. إذا وصلوا إلى هنا، فإن النهاية ستكون محتومة، لم يكن هناك مهرب.

مرت الساعات ببطء ولم تكن لديّ فكرة كم مر من الوقت. لكنني لاحظت أن الذين استسلموا للنوم استيقظوا، بينما نحن الذين تحمّلنا اليقظة طوال هذا الوقت صرنا ننهار تدريجيًّا.

أخيرًا، انفتح الباب وخرج بعض الحراس لتفقُّد الوضع. تلت ذلك دقائق طويلة من الترقب بينما كانوا يمشطون القصر، وفي النهاية عادوا.

وقف أحد الحراس في منتصف الغرفة ونادى: «سيداتي وسادتي، تمت السيطرة على المتمردين. نرجو من الجميع العودة إلى غرفهم عبر السلم الخلفي. هناك فوضى كبيرة، وعدد كبير من الحراس المصابين. من الأفضل أن تتجنبوا الغرف والممرات الرئيسية حتى يتم تنظيفها. بالنسبة لمشارِكات مسابقة الاختيار، يرجى التوجه إلى غرفكن والبقاء فيها

حتى إشعار آخر. لقد تحدثت مع الطهاة، وسيتم جلب الطعام إليكن خلال ساعة. وسأحتاج من جميع أفراد الطاقم الطبي أن يرافقوني إلى الجناح الطبي».

مع هذه الكلمات، وقف الناس وبدأوا يتحركون وكأن شيئًا لم يحدث. بدا كأن الهجوم كان أمرًا عاديًّا بالنسبة لهم. بل ان البعض بدوا كأنهم يشعرون بالملل، باستثناء وجوه قليلة مثل لوسي، التي عكست ملامحها الخوف والقلق.

صعقت عندما عدت إلى غرفتي، إذ كانت في حالة من الفوضى العارمة؛ الأغطية والمرتبة على الأرض، والفساتين مبعثرة خارج الخزانة بشكل عشوائي، وصور عائلتي ممزقة وملقاة على الأرض. بحثت عن برطماني، ووجدته في النهاية سليمًا تحت السرير، والقرش لا يزال بداخله. حاولت أن أتمالك نفسي وألا أبكي، لكن عيني استمرتا في ذرف الدموع. لم يكن بكائي بسبب الخوف وحده، رغم أنني كنت خائفة بالفعل. بل لأنني كرهت فكرة أن الأعداء تمكنوا من وضع أيديهم على ممتلكاتي الشخصية والعزيزة وإفسادها.

استغرق الأمر وقتًا طويلًا لإعادة ترتيب كل شيء. كنا مرهقين جدًّا، لكننا بذلنا كل جهد ممكن. وجدت آن بعض الشريط اللاصق لأستخدمه في إصلاح الصور الممزقة. ثم أرسلت خادماتي إلى النوم، رغم احتجاج آن ومحاولتها البقاء للمساعدة. أخذت أصر عليهن بحزم، خصوصًا أنني اكتشفت فيَّ القدرة على القيادة، ولم أعد أخشى استخدامها عندما يكون الأمر ضروريًّا.

وبمجرد أن صرتُ بمفردي في الغرفة، سمحت لنفسي بالاستسلام للبكاء. كان بعض الخوف لا يزال يتملكني، حتى بعد انتهاء الأمر.

بحثت في خزانتي وأخرجت بنطال الجينز الذي أهداني إياه ماكسون، والقميص الوحيد الذي أحضرته معي من المنزل. شعرت بشيء من الراحة هكذا، كأنني أستعيد جزءًا صغيرًا من حياتي الطبيعية. كان شعري مبعثرًا بفعل أحداث اليوم، فرفعته في كعكة بسيطة أعلى رأسي، تاركةً بعض الخصلات تتساقط حول وجهي.

وضعت الصور الممزقة على السرير، أحاول بصعوبة ترتيبها لتعود كما كانت. كان الأمر أشبه بمحاولة حل أربعة ألغاز مختلفة مختلطة معًا في صندوق واحد. في النهاية، تمكنت من تجميع صورة واحدة فقط قبل أن أسمع طرقًا على الباب.

ماكسون؟ تمنيت من أعماق قلبي أن يكون هو، فجريت نحو الباب وفتحته بسرعة.

لكنها كانت سيلفيا.

ألقت التحية عليَّ: «مرحبًا عزيزتي»، كان على وجهها ابتسامة خفيفة، ربما حاولت بها أن تواسيني. وسرعان ما تجاوزتني ودخلت الغرفة، ثم توقفت وألقت نظرة على ما أرتديه من ملابس.

قالت بتذمر: «أوه، لا تقولي لي إنكِ ستغادرين أيضًا!»، ثم بحركة عدم اكتراث من يدها تابعت: «لم يكن هذا الهجوم شيئًا يُذكر».

لا يمكنني تسمية الهجوم الذي حدث بشيء لا يذكر! كيف لها أن تستخف بما حدث؟ ألا يبدو على وجهي أنني كنت أبكي للتو؟

رددت عليها بينما أبعد خصلة من شعري عن وجهي: «لا، لن أغادر. هل الأخريات سيغادرن؟».

تنهدت قبل أن تجيب: «نعم، ثلاث فتيات حتى الآن. ماكسون، ذلك الفتى الطيب، كان كريمًا بما يكفي ليأمر بالسماح لأي فتاة ترغب في المغادرة بالعودة إلى منزلها. يتم ترتيب هذا بينما نتحدث الآن. الأمر غريب، وكأن لديه حدسًا بأن بعض الفتيات لن يحتملن البقاء. لو كنت مكانك، لفكرت مرتين قبل أن أترك كل هذا بسبب بعض الترهات».

بدأت تتجول في الغرفة وكأنها في جولة تقييم للديكور، بينما كنت أفكر كيف لها أن تصف ما حدث بمجرد تراهات؟ ماذا يدور في رأس هذه السيدة؟

سألتني بلا مبالاة: «هل أخذوا أي شيء؟».

«لا، سيدتي. أحدثوا فوضى كبيرة، لكن، على حد علمي، لم يأخذوا شيئًا».

«ممتاز». اقتربت مني وسلمتني هاتفًا صغيرًا.

«هذا هو الخط الأكثر أمانًا في القصر، عليكِ الاتصال بعائلتك وإخبارهم بأنكِ بخير. لكن لا تأخذي وقتًا طويلًا، فما زالت هناك بعض الفتيات اللاتي سيستعملنه بعدك».

حدقتُ بدهشة إلى الجهاز الصغير بين يدي. لم يسبق لي أن استخدمت هاتفًا محمولًا من قبل. لقد رأيته في أيدي الطبقات الثانية والثالثة، لكن لم يخطر ببالي قط أنني سأمسك واحدًا يومًا ما. ارتجفت يداي من الحماس، سأسمع أصوات عائلتي أخيرًا!

ضغطت الأزرار بسرعة واتصلت بهم. بعد كل ما مررت به، شعرت بأن هذه اللحظة تمنحني دفقة من السعادة. ابتسمت عندما سمعت صوت الجرس يرن، ثم ردت عليَّ أمي.

«مرحبًا؟».

«أمي؟».

«أميريكا! هل هذه أنتِ؟ هل أنتِ بخير؟ لقد اتصل بنا أحد الحراس ليخبرنا بأنه قد لا نتمكن من التواصل معك لبضعة أيام، وكنا نعلم أن هؤلاء المتمردين اللعينين اخترقوا القصر، كنا خائفين جدًّا» وبدأت البكاء.

حاولت تهدئتها: «لا تبكي يا أمي، أنا بخير وبأمان»، ونظرت نحو سيلفيا فرأيتها تقف غير مبالية.

جاءني صوت أمي: «انتظري»، قبل أن أسمع حركة في الخلفية.

وهنا أمسكت ماي الهاتف: «أميريكا؟» كان صوتها متأثرًا بالبكاء، ومن الواضح أنها عاشت لحظات رعب وقلق بسببي.

شعرت بدموعي تنساب مجددًا وأنا أقول لها: «ماي! عزيزتي ماي، اشتقت إليكِ كثيرًا!».

انتحبت ماي: «ظننتك متِّ! أنا أحبك كثيرًا يا أميريكا، عِدِيني بأنكِ لن تموتي».

ابتسمت بينما أؤكد لها: «أَعِدك».

بدا صوتها كأنها على وشك الانهيار وهي تتوسل لي: «هل ستعودين إلى المنزل؟ ألا يمكنك ذلك؟ لا أريد أن تبقي هناك بعد الآن».

سألتها: «أعود إلى المنزل؟».

غمرتني موجة من المشاعر المتناقضة. كنت أفتقد عائلتي، ومرهقة من مواجهة الخوف والاختباء من المتمردين. علاوة على ذلك، كانت مشاعري تجاه أسبن وماكسون تتضارب بداخلي، وتبقيني تائهة في دوامة لا نهاية لها. بدا الخيار الأسهل هو العودة إلى المنزل، لكن رغم ذلك، شيء ما جعلني أبقى.

«لا يا ماي، لا يمكنني العودة إلى المنزل. يجب أن أبقى هنا».

تذمرت: «لماذا؟».

قلت ببساطة: «هكذا».

«هكذا؟ لماذا؟».

«دون سبب».

صمتت ماي للحظة، كأنها تستوعب ردي. ثم سألتني: «هل وقعتِ في حب ماكسون؟».

وللحظة، سمعت في نبرة صوتها تلك الفتاة الصغيرة المهووسة بالحديث عن العلاقات الرومانسية، هذه ماي التي أعرفها جيدًا. شعرت بالراحة وقلت لنفسي إنها ستكون بخير.

«لا أعرف إن كان ذلك صحيحًا، لكن...».

قاطعتني ماي: «أميريكا! أنتِ واقعة في حب ماكسون! يا إلهي!».

سمعت صوت أبي في الخلفية يسأل بصوتٍ عالٍ: «ماذا؟».

بينما كانت أمي متحمسة وتقول: «نعم! نعم! رائع!».

«ماي، أنا لم أقل...» حاولت تدارك الموقف، لكن ماي لم تعطني فرصة.

استمرت ماي تضحك بلا توقف وقالت: «كنت أعلم ذلك!»، وبهذا اختفت كل مخاوفها من فقداني في لحظات.

«عليَّ إنهاء المكالمة يا ماي، الأخريات بحاجة إلى الهاتف، لكنني أردت فقط أن أخبركم بأنني بخير. أَعد بأنني سأكتب إليكم قريبًا».

صاحت ماي: «حسنًا حسنًا. أخبريني بالمزيد عن ماكسون! وأرسلي المزيد من الحلويات! أحبكِ!».

«وأنا أحبكِ أيضًا، وداعًا».

أغلقت الهاتف بسرعة قبل أن تتمكن ماي من طلب أي شيء آخر. لكن حالما اختفى صوتها، شعرت بشوق مضاعف لها، أكثر مما كنت أشعر به قبل المكالمة.

كانت سيلفيا سريعة، في غضون ثوانٍ، أخذت الهاتف من يدي واتجهت نحو الباب.

قالت: «أحسنتِ، صغيرتي»، ثم اختفت في الممر.

لم أشعر قط بأنني بخير، لكنني كنت أعرف أنه بمجرد أن أجد طريقة لإصلاح الأمور مع أسبن وماكسون، وحين أتمكن من فهم ما أريده حقًّا، سأكون بخير.

الفصل 24

غادرت كلٌّ من إيمي وفيونا وتالولا خلال ساعات معدودات. لم أستطع الجزم إن كان ذلك بسبب كفاءة سيلفيا في التعامل مع الأمور أم توتر الفتيات ورغبتهن في الرحيل بسرعة. ومع رحيلهن، أصبح عددنا تسع عشرة، وبدأ كل شيء فجأة يبدو كأنه يتحرك بوتيرة أسرع مما اعتدنا. ومع ذلك لم أكن أتخيل كم ستتسارع الأحداث بعد ذلك.

في صباح يوم الاثنين بعد الهجمات الأخيرة، عدنا إلى روتيننا المعتاد. كان الإفطار شهيًّا كما هو دائمًا، وقد وجدت نفسي أتساءل إن كان سيأتي يوم لن أتمكن فيه من تذوق هذه الوجبات الرائعة.

سألت كريس: « أليس هذا لذيذًا؟» بينما كنت أقضم قطعة من فاكهة على شكل نجمة لم أرَ مثلها قبل مجيئي إلى القصر. كان فمها ممتلئًا بالطعام، لكنها أومأت بالموافقة. شعرت بإحساس دافئ بالأخوة، هذا الصباح. ها نحن قد نجونا جميعًا من هجوم عنيف للمتمردين، وقد أصبحت علاقتنا أقوى من ذي قبل. فها هي إميلي بجوار كريس تمرر لي العسل. وإلى جانبي، كانت تايني تحدق بعينين مليئتين بإعجاب إلى عقد الطائر المغرد الذي أرتديه، وتسألني من أين حصلت عليه. كان الجو يشبه تمامًا العشاء مع عائلتي قبل سنوات، قبل أن يتغير كوتا وقبل أن نخسر كينا بسبب زواجها. كل شيء كان ينبض بالحياة، مشرقًا، ومليئًا بالأحاديث الدافئة.

فجأة، أدركت ما كان أخبرني به ماكسون عن والدته وبعض المتسابقات من زمانها، موضحًا أنني سأظل على اتصال ببعض هؤلاء الفتيات في المستقبل. سأرغب بمعرفة مَن اختارت كل منهن شريكًا لحياتها، وسأرسل لهن بطاقات تهنئة بذكرى الميلاد. وبعد عشرين عامًا أو نحو ذلك، إذا أنجب ماكسون ولدًا، فسأحرص على سؤاله عن فتياته المفضلات في مسابقة الاختيار الجديدة. سنتذكر كل ما مررنا به ونضحك عليه وكأنها مغامرة لا منافسة.

لكن وسط هذا الجو المفعم بالدفء في الغرفة، كان الشخص الوحيد الذي بدا عليه القلق هو ماكسون. لم يمسَّ طعامه، بل كان يتنقل بنظره بين صفوف الفتيات، وملامح وجهه كلها تركيز. وبين الحين والآخر، كان يتوقف كأنه يستشير نفسه في أمر، ثم يستأنف مراقبة الفتيات.

عندما وصل بنظره إلى الصف الذي أجلس فيه، أدرك أنني كنت أراقبه، فمنحني ابتسامة خفيفة. باستثناء حديثنا القصير ليلة أمس، لم نتبادل كلمة منذ خلافنا الأخير، وهناك الكثير مما يجب قوله. لكن، هذه المرة، كان عليَّ أن أبدأ أنا الحديث. شددت أذني بخفة، وتعبيرات وجهي توحي بأنه طلب وليس أمرًا. لم تتغير تعبيرات التوتر على وجهه، لكنه شد أذنه هو الآخر.

تنهدت بارتياح والتفتُّ إلى أبواب الغرفة الضخمة. كما توقعت، كانت هناك عينان أخريان تنظران باتجاهي. كنت قد لاحظتُ أسبن عندما دخلت، لكنني حاولت ألا ألتفت إليه. أظن أنه من المستحيل تجاهل شخص أحببته بجنون.

وقف ماكسون، وأدى تحركه المفاجئ إلى إصدار صرير لكرسيه بطريقةٍ لفتت انتباهنا جميعًا. وعندما استدرنا نحوه، بدا كأنه يتمنى لو أنه يستطيع الجلوس دون أن يلاحظه أحد. لكن عندما أدرك أن ذلك لم يعد ممكنًا، قرر إلقاء كلمة قصيرة.

قال حانيًا رأسه، والأسى بادٍ عليه: «آنساتي. بعد الهجوم الذي وقع بالأمس، اضطررت آسفًا إلى إعادة التفكير بشكل جدي في طريقة سير عملية الاختيار. كما تعلمن، طلبت ثلاث فتيات المغادرة بالأمس، وقد وافقتُ على ذلك، لا أريد أن يبقى هنا أحد ضد إرادته. علاوة على ذلك، لا أشعر بالراحة في إبقاء أي فتاة القصر، في مواجهة هذا التهديد المستمر، بينما أعلم أنه لن يكون لنا مستقبل معًا».

في أرجاء الغرفة، تحولت الحيرة إلى فهم واستياء واضحين.

همست تايني: «هل يقصد...؟» .

أجبتها: «نعم، هذا قصده».

تابع ماكسون بنبرة رجل أعمال: «على الرغم من أنه يحزنني بشدة القيام بذلك، فإنني ناقشت الموضوع مع عائلتي وبعض مستشاريَّ المقربين وقررت أن أواصل تقليص عدد المشارِكات في الاختيار إلى النخبة. ومع ذلك، بدلًا من عشر، قررت إرسالكن جميعًا إلى منازلكن باستثناء ست».

شهقت كريس: «ست؟».

همست تايني وقد بدأت بالفعل البكاء: «هذا ليس عدلًا».

نظرتُ حول الغرفة، وصوت الهمسات المليء بالشكاوى يرتفع تارة وينخفض أخرى. تصلبت سيليستي كما لو أنها على وشك خوض معركة لتضمن مكانًا لها. أما باريل فقد أغمضت عينيها وضمت يديها معًا، وكأنها تحاول استجداء بعض التعاطف. وعلى الجانب الآخر رأيت مارلي، التي اعترفت مسبقًا بأنها لا تكترث كثيرًا بماكسون، وقد بدت متوترة على نحو غريب. ما الذي يدفعها للتمسك بالبقاء هكذا؟

«لا أريد أن أطيل الأمر أكثر من اللازم، النساء التالية أسماؤهن فقط سيبقين: الآنسة مارلي والآنسة كريس».

تنفست مارلي الصعداء واضعة يدها على صدرها في ارتياح. بينما كريس، التي لم تستطع إخفاء فرحتها، تمايلت على كرسيها بعفوية، ونظراتها تتجول بيننا كما لو أنها تتوقع منا أن نشاركها بهجتها.

ابتسمتُ في البداية، راغبة حقًّا في أن أكون سعيدة لأجلهما. لكن بعد لحظة أدركت أن مكانين من الأماكن الستة شُغلا بالفعل. مع الخلاف القائم بيني وبين ماكسون، هل سيختار

إعادتي إلى المنزل؟ هل فَقَد الأمل في أن يكون لنا مستقبل معًا؟ وهل أريده حقًّا أن يفعل؟ ماذا سأفعل إذا اضطررت للرحيل؟

وطوال هذه المنافسة، كنت أمتلك القرار في يدي متى أردت الرحيل. والآن، وللمرة الأولى، أدركت كم كان بقائي مهمًّا لي.

تابع ماكسون وهو ينظر إلى مَن ذكر أسماءهن بالتوالي: «الآنسة ناتالي والآنسة سيليستي». شعرت بصدمة باردة تعصف بكياني عند سماع اسم سيليستي. كيف يمكنه إبقاؤها هنا ويجعلني أغادر؟ لم أستطع حتى تصديق وجودها بيننا في الأساس. أكان هذا إشارة إلى أنني أنا التي ستعود إلى المنزل؟ لقد تشاجرنا بسبب وجودها في الأساس.

استمر في نطق الأسماء: «الآنسة إليس».

علا صوت أنفاس الجميع في توتر بانتظار الاسم الأخير، وكانت يدي تمسك يد تايني.

«والآنسة أميريكا».

رفع ماكسون نظره نحوي، وشعرت فورًا بأن التوتر الذي شد أعصابي بدأ يتلاشى رويدًا، وكأن موجة من الراحة أغرقت جسدي بالكامل. إلى جانبي، انهارت تايني في البكاء على الفور، ولم تكن الوحيدة التي فعلت.

تنهد ماكسون بعمق، وقال: «لكل من سيغادرننا اليوم، أنا آسف جدًّا. أرجو منكن تفهُّم أنني أردت أن يكون هذا القرار لصالحكن. لم أكن لأرفع آمالكن بلا سبب، ولا أرغب في أن أعرِّض حياتكن للخطر لمجرد البقاء هنا. إذا رغبت أي منكن في التحدث معي، فسأكون في المكتبة نهاية الممر. يمكنكن زيارتي بعد انتهائكن من الفطور».

أنهى حديثه وغادر الغرفة بسرعة. ظللت أنظر إليه حتى تجاوز أسبن، ثم صرفت انتباهي سريعًا. كان وجه أسبن مشوشًا، وكنت أعلم السبب. لقد أخبرته مسبقًا بأنني لا أحب

ماكسون؛ لذا كان من المفترض أنني لا أعني لماكسون شيئًا أيضًا. لكن لماذا بدوت متوترة بشأن البقاء أو الرحيل؟ ولماذا أراد ماكسون أن أبقى؟

وقبل أن أتمكن من الاستغراق في هذه الأفكار، ركضت إيميكا وتيوزداي خلف ماكسون، لا شك في أنهما كانتا تبحثان عن المزيد من التوضيح. في تلك اللحظة، كانت بعض الفتيات غارقات في دموعهن، بقلوبٍ محطمة، وكان على من يبقين منا محاولة مواساتهن.

كان الجو في الغرفة خانقًا ومشحونًا بالمشاعر المضطربة. دفعت تايني يدي بعيدًا فجأة وركضت خارج الغرفة، وأملتُ ألا تحمل تجاهي أي ضغينة.

غادر الجميع الغرفة في غضون دقائق قليلة؛ لم تعد أيٌّ منا تشعر بالجوع، ولم أتمكن من البقاء أنا أيضًا. تلك العواطف الجارفة التي أحاطت بي كانت أكثر مما أحتمل. عندما مررت بجوار أسبن همس لي: «الليلة»، أومأت بإيماءة صغيرة برأسي قبل أن أواصل طريقي.

حملت ساعات الصباح المتبقية في طياتها غرابة غير معتادة. لم تكن لديَّ صديقات حقًّا أفتقدهن، وفي الوقت نفسه شعرت بالغرف في الطابق الثاني، التي كانت مفعمة بالحيوية قبل ساعات، خاوية وصامتة. كانت الفتيات يركضن ذهابًا وإيابًا في الممرات، يتبادلن الرسائل والعناوين. لقد ضحكنا معًا وبكينا معًا، وبحلول فترة الظهيرة، بدا القصر مختلفًا تمامًا عما كان عليه عندما وصلنا، إذ عاد القصر غارقًا في سكونه وبرودته التي لاحظتهما عندما دخلته.

لم يتبقَّ أحد في جناحي الصغير من القاعة. غاب صوت الخادمات اللاتي كنَّ يركضن ذهابًا وإيابًا، وهدأ وقع الأبواب التي كانت تُغلق باستمرار. جلست على طاولتي أقرأ كتابًا، بينما كانت خادماتي منهمكات في تنظيف الغبار. تساءلت إن كان القصر دائمًا بهذه الوحدة الموحشة، وحينها افتقدت عائلتي.

فجأة، طرق الباب، فهرعت آن لتفتحه، والتفتت نحوي لتتأكد من أنني مستعدة لاستقبال الزائر. منحتها إيماءة صغيرة.

عندما دخل ماكسون الغرفة، قفزت من مقعدي.

قال، موجهًا حديثه إلى خادماتي: «آنساتي، يسعدني أن أراكن مجددًا».

بادلنه التحية وضحكن. أومأ لهن ثم توجه بنظره إليَّ، لم أدرك مدى اشتياقي لرؤيته حتى تلك اللحظة. ووقفت مشدوهة كليًا في مكاني عند الطاولة.

«أرجو أن تعذرنني، لكنني بحاجة للتحدث مع الآنسة أميريكا على انفراد. هل يمكنكن منحنا بعض الوقت؟».

أخذن ينحنين له وضحكاتهن الخافتة تزداد، وسألته آن بإحترام إذا كان يريد أن تحضر له شيئًا، فرفض بلطف وخرجن جميعًا.

وقف ماكسون أمامي، ويداه في جيبيه، فبقينا صامتين بعض الوقت.

أخيرًا، قررت كسر الصمت: «ظننتُ أنك لن تبقيني هنا».

ارتسمت على وجهه علامة حيرة حقيقية وسألني: «لماذا؟».

«لأننا تشاجرنا؛ لأن كل شيء بيننا... معقد وغريب. لأن...»، ثم توقفت، غير قادرة على البوح بالحقيقة التي تثقل قلبي. الحقيقة التي تقول: لأنك، رغم أنك تواعد خمس نساء أخريات، أشعر كأنني أخونك.

اقترب ماكسون مني بخطوات هادئة، بينما كان يختار كلماته. عندما وصل إليَّ أخيرًا، أمسك يديَّ وشرح كل شيء، كانت نبرته صادقة: «أولًا، دعيني أعتذر لكِ، لم يكن يجدر بي أن أرفع صوتي عليكِ. المشكلة أنني تحت ضغط هائل. اللجان... ووالدي... الجميع يضغطون

عليَّ لاتخاذ القرار الذي يناسبه. أريد حقًّا أن أكون قادرًا على اتخاذ هذا القرار بنفسي. كان من المحبط تمامًا أن أجد نفسي في موقف آخر لا يُؤخذ فيه رأيي على محمل الجِد».

سألته: «موقف آخر؟».

«أنت ترين الخيارات المتاحة لي. مارلي هي المفضلة لدى الشعب، وهذا لا يمكن تجاهله. سيليستي قوية جدًا ومن عائلة كبيرة، وهذا مفيد لتحالفاتنا. ناتالي وكريس، كلتاهما ساحرة وتتمتع بحب بعض أفراد عائلتي. أما إليس فعائلتها لديها علاقات مهمة مع نيو آسيا، وهذا شيء يجب التفكير فيه بجدية إذا أردنا إنهاء هذه الحرب اللعينة. إنهم يضغطون عليَّ من جميع الجوانب بخصوص هذا القرار، لقد كنت مُحاصَرًا بآرائهم».

لم يكن هناك أي تفسير واضح فيما يخصني، ولم أكن واثقة إن كنت أمتلك الجرأة لطلبه. كنت أعلم أننا صديقان قبل كل شيء، وأنني لا أملك أهمية سياسية تُذكر. ومع ذلك كنت بحاجة إلى سماع الحقيقة حتى أتمكن من اتخاذ قراري بنفسي.

لم أستطع النظر إلى عينيه، همست بصوت يكاد يُسمع: «لماذا ما زلتُ هنا؟».

كنت متأكدة من أن الإجابة ستؤلمني. كنت على يقين من أن بقائي هنا لم يكن سوى انعكاس لطيبته، لرغبته في الوفاء بوعدٍ قطعه.

رد ماكسون بهدوء: «أميريكا، أعتقد أنني أوضحت موقفي بالفعل». تنهّد بنفاد صبر لكنه بقي لطيفًا في الوقت نفسه. رفع ذقني بيده برفق، وفي اللحظة التي التقت فيها نظراتنا، اعترف وقال: «لو كان الأمر بهذه البساطة، لكنت قد أقصيت الجميع الآن. أعلم تمامًا كيف أشعر تجاهكِ، قد يبدو هذا تهورًا، لكنني واثق بأنني سأكون سعيدًا معكِ».

احمرَّ وجهي على الفور. كادت دموعي تنهمر، لكنني طرفت بعيني سريعًا كي أمنعها من السقوط. كان تعبيره يحمل الكثير من الحب، ولم أرغب في خسارة هذه اللحظة.

«هناك لحظات أشعر فيها بأن كل الحواجز بيننا تحطمت، وأننا نتقارب أكثر مما كنت أتوقع. لكن في لحظات أخرى، يبدو كأنك ترغبين في البقاء فقط من أجل راحتك. لو كنت واثقًا بأنني وحدي السبب في بقائكِ، وأنك تريدينني أنا فقط...».

توقف فجأة، هز رأسه وكأن هذه الكلمات كانت حُلمًا بعيد المنال.

ثم سألني: «هل سأكون مخطئًا إذا قلت إنكِ ما زلتِ غير متأكدة من مشاعركِ تجاهي؟».

لم أُرد جرحه، لكنني لم أستطع الكذب عليه: «لا، لست مخطئًا».

«إذن، عليَّ أن أحمي نفسي. قد تقررين في النهاية الرحيل، وإذا فعلتِ، فلن أُوقفكِ. في الوقت نفسه، يجب أن أجد زوجة. أحاول اتخاذ أفضل قرار في ظل هذه الظروف، لكن من فضلكِ، لا تشكّي للحظةٍ في حبي لكِ».

لم أستطع كبح دموعي بعد الآن، بكيت وفكرت في أسبن وفي الذنب الذي يثقل كاهلي. شعرت بالخجل الشديد من نفسي.

تمتمت بين شهقاتي: «ماكسون... هل يمكنك... هل يمكنك أن تسامحني يومًا...؟». لم أستطع إكمال اعترافي. اقترب مني أكثر وبدأ يمسح دموعي بأصابعه القوية.

قال ماكسون: «أسامحكِ على ماذا؟ شجارنا السخيف؟ لقد نسيته بالفعل. مشاعركِ التي تأخرت قليلًا عن مشاعري؟ أنا مستعد للانتظار»، ثم ابتسم واستطرد: «لا أعتقد أن هناك شيئًا لا يمكنني مسامحتكِ عليه. هل أحتاج إلى أن أذكّركِ بركلتكِ القوية لي؟».

لم أتمالك نفسي من الضحك، فضحك هو الآخر ضحكة قصيرة. لكن سرعان ما عاد إلى الجدية.

سألته بقلق: «ما الأمر؟».

هز رأسه وقال: «لقد كانوا سريعين جدًّا، هذه المرة».

أدركت أنه يتحدث عن المتمردين. كان صوته مغلفًا بالقلق من مهاراتهم المتزايدة. فجأة شعرت بالخوف، وتساءلت كم كنت قريبة من حدوث كارثة أثناء محاولتي إنقاذ خادماتي.

«يتملكني قلق متزايد يا أميريكا؛ فسواء أكانوا من الشمال أم الجنوب، فقد أصبحوا أكثر تصميمًا من أي وقت مضى. يبدو أنهم لن يتوقفوا حتى يحصلوا على ما يريدونه، وليس لدينا أدنى فكرة عنه». كان صوته مليئًا بالحزن والارتباك وهو يتابع: «أشعر بأن الأمر مجرد مسألة وقت قبل أن يدمروا شخصًا مهمًّا بالنسبة لي».

نظر في عينيَّ مباشرة، وأردف: «تعلمين أنه ما زال لديكِ خيار في هذا. إذا كنتِ تخافين البقاء، فيجب أن تقولي». توقف للحظةٍ يفكر قبل أن يتابع: «أو إذا كنتِ تعتقدين أنكِ لن تتمكني من حبي على الإطلاق، فسيكون من الأفضل أن تخبريني الآن. سأدعكِ تمضين في طريقكِ، ويمكننا أن نفترق كصديقين».

مددت ذراعيَّ واحتضنته، وأسندت رأسي إلى صدره. شعرت بأنه تفاجأ، لكنه سرعان ما استجاب بحنان، وضمني بذراعيه بشدة.

قلت له: «ماكسون، أنا لست متأكدة تمامًا من مشاعري، لكننا بالتأكيد أكثر من مجرد صديقين».

أطلق تنهيدة طويلة، وكأن كلماتي هي ما يحتاج لسماعه. ومع بقاء رأسي مستندًا إلى صدره، استطعت بالكاد أن أميز صوت دقات قلبه المتسارعة من خلال سترته. امتدت يده بلطفه المعتاد لتمسح وجنتي، وعندما نظرت إلى عينيه، شعرت بذلك الشعور الغريب؛ ذلك الذي كان ينمو بيننا.

طلب بعينيه شيئًا كنا قد اتفقنا على الانتظار عليه، لكنني كنت سعيدة بأنه لم يعد يريد الانتظار. أومأت له فاقترب ببطء ليغلق تلك الفجوة الصغيرة بيننا، واحتضنني برقةٍ لا

توصف.

كان حضنًا دافئًا بالمشاعر، وأضاءت وجهه ابتسامة ظلت لفترة طويلة بعدها.

الفصل 25

شعرت بوخزة خفيفة على ذراعيَّ. عمَّ الظلام المكان، بينما كان الزمن عالقًا بين ساعة متأخرة من الليل وبدايات الصباح الأولى. للحظةٍ خاطفة، اجتاحني شعور بأنه قد يحدث هجوم جديد؛ لكن سرعان ما تبددت تلك الفكرة بمجرد أن سمعت كلمة واحدة أيقظتني: «مير؟».

كان ظهري مستديرًا للجانب الآخر، وأخذت بضع لحظات لألتقط أنفاسي وأستجمع شتات نفسي قبل أن أستدير لمواجهة أسبن. كنت أدرك أن هناك أمورًا كثيرة تحتاج إلى التوضيح بيننا، لكنني لم أكن متأكدة إن كان قلبي سيمنحني القوة لقول ما يجب قوله.

استدرت ببطء، وعندما التقت عيناي بعينيه الخضراوين الساطعتين، أدركت كم سيكون الحديث القادم مؤلمًا. لكنني لاحظت أن أسبن ترك الباب مفتوحًا خلفه.

همست له: «أسبن، هل فقدت عقلك؟ أغلق الباب».

«لا، فكرت في الأمر جيدًا. إذا كان الباب مفتوحًا، فيمكنني أن أخبر أي شخص يمر بأنني سمعت صوتًا وجئت لأطمئن عليكِ، وهذا جزء من عملي. لن يشكَّ أحد في شيء».

كانت فكرته بسيطة وذكية بما يكفي لتجنب أي شبهة، أومأت برأسي وقلت: «حسنًا».

مددت يدي لإضاءة المصباح الصغير بجانب سريري، ليبدو المشهد طبيعيًا لأي شخص قد يمر وأننا لا نخفي شيئًا. وبفعل الضوء رأيت أن الساعة كانت الثالثة والربع صباحًا.

زينت ابتسامة واسعة وجه أسبن، تلك الابتسامة التي اعتدت رؤيتها وهو يرحب بي في بيت الشجرة.

«لقد احتفظتِ به».

«ماذا؟».

أشار إلى الطاولة بجوار سريري. هناك، كان يوجد البرطمان الصغير الذي يحمل القرش المتبقي منه.

أجبته: «نعم، لم أستطع التخلص منه».

رأيت الأمل يتسلل إلى ملامحه ببطء، فالتف ينظر إلى الباب ليتأكد من عدم وجود أحد، ثم انحنى ليقبّلني.

همست وأنا أبتعد قليلًا: «لا، لا يمكنك فعل ذلك».

تصارعت الحيرة والحزن في عينه، وعرفت أن كلماتي التالية ستجعل الأمور أسوأ.

«هل ارتكبتُ خطأ؟».

قلت بحزم: «لا، لقد كنت رائعًا. لقد أدخلت البهجة على قلبي عندما رأيتك مجددًا وعلمت أنك ما زلت تحبني، هذا غيَّر كل شيء بالنسبة لي».

ابتسم وقال: «جيد؛ لأنني أحبكِ فعلًا، وأريدكِ أن تعرفي أنه لن يكون لديكِ أبدًا سبب للشك في ذلك».

تحركت بقلق، محاولة إيجاد الكلمات المناسبة لتوضيح ما شعرت به: «أسبن، مهما كان ما كنا عليه من قبل، ومهما كانت مشاعرنا الآن... فلا يمكننا أن نستمر فيها الآن. ليس في هذا المكان».

سألني وهو يعتدل في وضعيته: «ماذا تعنين؟».

«أنا جزء من مسابقة الاختيار الآن. أنا هنا من أجل ماكسون، ولا يمكنني أن أكون معك، أو أن أسمح بوجود شيء بيننا، بينما يستمر هذا الوضع»، وأخذت أصابعي تعبث بطرف الغطاء من التوتر.

أخذ لحظة ليزن كلماتي، ثم قال: «إذن، هل كنتِ تكذبين عليَّ عندما قلتِ إنكِ لم تتوقفي عن حبي قط؟».

قلت له مؤكِّدة: «لا، لم أكذب عليك، كنتَ دائمًا في قلبي يا أسبن. أنت السبب في بطء الأمور الآن، ماكسون معجب بي، لكنني لا أستطيع أن أترك نفسي أهتم به حقًّا بسببك».

قال بسخرية: «رائع. كم يسعدني معرفة أنني لو لم أكن موجودًا، كنتِ ستواعدينه بسهولة».

رأيت خلف غضبه قلبًا منكسرًا، لكن لم يكن خطئي أن الأمور آلت إلى ما هي عليه الآن.

ناديته بهدوء، محاوِلة أن ألفت نظره إليَّ: «أسبن .. عندما تركتني في بيت الشجرة، تركتني محطمة».

«مير، قلت لكِ إنني...».

قاطعته قائلةً: «دعني كي أنتهي من حديثي»، زفر بضيق ثم سكت، عندها تابعت: «لقد دمرت أحلامي، والسبب الوحيد لوجودي هنا أنك أصررت على أن أُسجل اسمي».

هز رأسه منزعجًا من تلك الحقيقة المؤلمة.

«كنت أحاول أن ألملم شتات نفسي، وماكسون يهتم بي حقًّا. لا يعني ذلك أنك لم تكن تعني لي شيئًا، أنت تعني لي الكثير، وأنت تعلم ذلك. لكنني الآن جزء من مسابقة الاختيار، ولن يكون من الذكاء أن أترك هذه الفرصة دون أن أرى إلى أين ستقودني».

كان صوته مليئًا بالبؤس عندما سأل: «إذن، تختارينه بدلًا مني؟».

«لا، المسألة ليست اختيارك أم اختياره، أنا أختار نفسي».

كانت تلك هي الحقيقة. لم أكن أعلم ما أريده، ولم أستطع أن أسمح لنفسي بأن أتأثر بالخيار الأسهل أو بما يراه الآخرون صحيحًا. كان عليَّ أن أمنح نفسي الوقت لأقرر الأفضل لي.

تأمل أسبن كلماتي للحظةٍ، لكنه بدا غير راضٍ عما أقوله. أخيرًا، ابتسم وقال بصوت يحمل تحديًا واضحًا: «أنتِ تعلمين أنني لن أستسلم، أليس كذلك؟»، فابتسمت رغمًا عني. فمن الصحيح أن أسبن ليس من النوع الذي يعترف بالهزيمة.

«هذا ليس المكان المناسب لتقاتل من أجلي، إصرارك قد يشكل خطرًا عليك هنا».

قال بسخرية واضحة: «أنا لا أخشى هذه البدلة».

رمقته بنظرة مستنكرة، مستمتعة بكوني في هذا الجانب من العلاقة. لطالما كنت خائفة من أن تأتي إحداهن وتأخذ أسبن مني. شعرت بالذنب قليلًا لأنني استمتعت برؤيته، الآن، قلقًا من أن يخطفني أحدهم منه بدلًا من ذلك.

«حسنًا. قلتِ إنكِ لا تحبينه... لكن لا بد أنكِ تحملين له ما يكفي من المشاعر لتبقي هنا، أليس كذلك؟».

خفضت رأسي قليلًا، ثم أجبته بإيماءة صغيرة: «بلى، إنه أكثر لطفًا مما تخيلته يومًا».

فكر أسبن في كلامي للحظةٍ، محاولًا استيعاب ما قلته.

قال وهو يتحرك باتجاه الردهة: «أعتقد أن هذا يعني أنني سأضطر للقتال أكثر مما كنت أتصور»، ثم توقف عند الباب وغمز لي مجددًا: «تصبحين على خير، آنسة أميريكا».

«تصبح على خير، أيها الضابط ليجر».

أغلق الباب خلفه، تاركًا شعورًا عميقًا بالسلام يغمر المكان. منذ بداية المسابقة، كنت قلقة من أن تكون كارثة تغير حياتي إلى الأسوأ، لكن الآن... بدأت أشعر بأنني أمتلك زمام الأمور أخيرًا.

جاء الصباح، وسرعان ما بدأت خادمتي التحرك بنشاط. سحبت آن الستائر، وعندما اخترق ضوء الشمس الغرفة وأضاء وجهي، شعرت كأن هذا هو أول يوم حقيقي لي بالقصر.

لم تعد مسابقة الاختيار مجرد شيء مفروض عليَّ، بل أصبح شيئًا أشارك فيه بفاعلية، لقد أصبحت الآن من النخبة.

سحبت الأغطية عن جسدي وقفزت من السرير، وبدأت يومًا جديدًا.

نهاية الجزء الأول

شكر وتقدير

إذا كنتم الآن متعبين من السهر من أجل إنهاء قراءة هذه الرواية فأنا أود أن أشكركم من أعماق قلبي لقراءتها. أحبكم كثيرًا.

والآن، دعونا نعد قليلًا إلى مَن جعلوا هذه الرواية ترى النور.

أولًا وأخيرًا، شكرًا لله الذي منحنا نعمة التعبير بالكلمات. أنا ممتنة جدًّا لأنني تمكنت من سرد القصة لكم بهذه الوسيلة المميزة. الكلمات هدية ثمينة، وسأظل أحتفي بجمالها دائمًا.

كالواي: شكرًا لكونك مصدر دعم دائمًا وكونك شخصًا رائعًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ابني جايدن: شكرًا على احتمالك كل الشخصيات التي تسكن خيالي ومشاركتها لك في وقتي.

والدتي ووالدي وأخي الصغير: شكرًا لأنكم شجعتموني على أن أكون نفسي، مهما كنت غريبة. كما أشكر أصهاري، وعائلتي الثانية؛ حماي وحماتي وأخا زوجي العزيز، شكرًا لكونكم داعمين ومشجعين دائمًا. أنتم الستة تمنحونني الحماسة والقوة للمضي قدمًا، وأنا ممتنة لكم بلا حدود.

شكر خاص أيضًا للرفاق في « إن إل سي إف»، و «إف تي دبليو»؛ فاحتفالكم الدائم ودعمكم المستمر أضافا الكثير من البهجة لهذه الرحلة. أرسل لكم محبتي الكبيرة.

أود أن أوجِّه شكرًا خاصًّا لماري، أول شخص قرأ الرواية؛ لأنها آمنت بها منذ البداية وأخبرتني بأنها رائعة. وأيضًا أوجِّه شكرًا كبيرًا إلى ليز وميشيل، لكونهما قارئتين ذكيتين وعقلانيتين بعمق، وهو ما أعجز عن أن أكونه. وبفضل ملاحظاتكما القيِّمة أصبحت الرواية أفضل. حقًّا إنكما مذهلتان بكل المقاييس.

كذلك أشكر آشلي برويليت على إعداد مقطع فيديو مذهل للرواية. جهد رائع يا عزيزتي! وأشكر أيضًا إليزابيث أوبراين، وإميلي أرنولد، وكايلي بولين على دعمي خلال مرحلة هوسي بالعمل. شكرًا أيضًا لأنكن سمحتن لي باستخدام أسمائكن في الرواية.

أما عن الأسماء الأخرى التي استعرتها، مثل: جينا، وإليز، وماري، ولوسي، وجيراد، وإيمي، وغيرهم، شكرًا لظهوركم في ذهني عندما كنت أبحث عن الإلهام!

إلى إيلانا روث، وكيلتي الأدبية المذهلة: أشكركِ بعمق على منحي هذه الفرصة، رغم أنني أُشبه الكارثة عندما أحادثك على الهاتف! ما زلت أعجب كيف قبلتِ العمل معي مما دفعكِ إلى قبولي، لكنني ممتنة جدًّا لذلك. وأيضًا، شكرًا على سماحكِ لي بعناقكِ! كل الحب!

كارين وكولين في «جيه إل إيه»: شكرًا لوجودكما ودعمكما المستمر، أنتما بالفعل مذهلتان.

إريكا سوسمان: أنتِ رائعة جدًّا. فهمكِ العميق لشخصية أميريكا وطريقتكِ الفريدة في العمل جعلت التجربة بأكملها ممتعة بدلًا من أن تبدو عملًا مرهقًا. أنا أحبك وأحب قلمك البنفسجي، أشكركِ من أعماق قلبي.

تايلر: أنتِ كتلة من الطاقة! وأشعر بحيويتك في كل شيء. شكرًا على كل جهودكِ ودعمكِ المستمر.

إلى الجميع في «هاربر تين»، شكرًا جزيلًا! كان النشر معكم حلمًا لم أكن أجرؤ حتى على تخيله. شرف لي أن أكون ضمن عائلتكم الأدبية، وأقدّر كل ما فعلتموه من أجلي، بداية من تصميم الغلاف إلى التسويق، وكذلك طريقة التواصل معي، كل شيء كان أكثر من رائع، أشكركم من أعماق قلبي.

وأخيرًا، شكر كبير لجينيت، وكاثرين، وكاتي، وسيارا، وكريستينا، والسيدات في دار جاي لرعاية الأطفال، ولكل من نسيت ذكرهم هنا. شكرًا لمساعدتي في رعاية جايدن خلال أوقات عملي. ولن أنسى أبدًا دعمكم وأنكم كنتم سندًا لي ولم أكن وحدي خلال ذلك.

إذا وصلتم إلى هذه المرحلة من القراءة، فأنتم تستحقون شكرًا مضاعفًا! بعضكم كان معي منذ أول مرة جلست فيها أمام الكاميرا وقلت: «مرحبًا يا عالم الإنترنت!»، وبعضكم قرأ روايتي السابقة، The Siren، وبعضكم عرفني من خلال تويتر. وربما رأى بعضكم صورة الغلاف الجميلة فقرر شراء الرواية. لا يهم كيف أو متى وصلتم إلى عالمي، ففي كل الأحوال أشكركم على قراءة الرواية. وأتمنى من أعماق قلبي أن تكون قد تركت أثرًا جميلًا عليكم.

الغلاف الخلفي

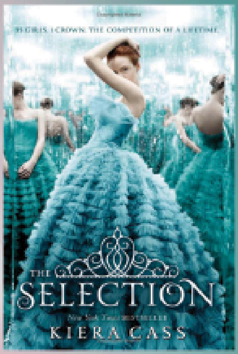

خمـــس وثلاثون فتـــاة، تتمنى كل منهـــن أن يقع الاختيار عليها وتنال فرصتها الذهبية!

تتمنـــى كل الفتيات أن تنـــال هذه الفرصـــة الذهبية لدخـــول عـــالم الـــثراء، حيـــث العبـــاءات المبهرجة والمجوهـــرات التـــي لا تُقـــدَّر بثمن؛ فرصـــة للإقامة بقصر مهيب والفوز بحب الأمير ماكسون الوسيم.

كل الفتيـــات تتمنـــى ذلك عـــدا أمريكا ســـينجر، التي وقـــوع الاختيار عليها أشـــبه بكابوس، فـــإن وقع الاختيار عليها، فســـتضطر إلى التخـــلي عن الحب الـــسري الذي تكنه إلى آســـبن، الـــذي ينتمي إلى طبقة اجتماعيـــة أقل منهـــا، وتترك منزلهـــا الحبيب وتدخل في منافســـة محتدمة على تاج لا يهمها أمره على الإطلاق.

ومن ثـــم تلتقـــي أمريكا بالأمـــير ماكســـون، وبالتدريـــج تبـــدأ أمريكا في اســـتيعاب أن الحيـــاة التـــي لطالمـــا أرادتهـــا لا قيمـــة لها أمـــام هذا المستقبل الذي لم تتخيله لنفسها قط.

"رواية جميلة وأخَّاذة، وبها القدر المناسب من العواطف الجياشة".
- كيرستن وايت، مؤلفة ثلاثية Paranormalcy الأكثر مبيعًا

ISBN 628-1072-15-275-8
6 281072 152758
282209040

امســـح الكود للنســـخـــة الإلكترونيـــة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

1. الغلاف
2. الغلاف الأمامي
3. حقوق الطبع والنشر
4. إهداء
5. الفصل 1
6. الفصل 2
7. الفصل 3
8. الفصل 4
9. الفصل 5
10. الفصل 6
11. الفصل 7
12. الفصل 8
13. الفصل 9
14. الفصل 10
15. الفصل 11
16. الفصل 12
17. الفصل 13
18. الفصل 14
19. الفصل 15
20. الفصل 16
21. الفصل 17
22. الفصل 18
23. الفصل 19
24. الفصل 20

25. الفصل 21
26. الفصل 22
27. الفصل 23
28. الفصل 24
29. الفصل 25
30. شكر وتقدير
31. الغلاف الخلفي